شبكة الألوكة
www.alukah.net

حكمة القرآن

الجزء الثاني

د. رواء محمود حسين

حكمة القرآن

الجزء الثاني

تأليف

د. رواء محمود حسين

حكمة القران

الجزء الثاني

تأليف

رواء محمود حسين

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

{ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ } (البقرة: 269).

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، [آل عمران: 102].

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }، [النساء: 1].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }، [الاحزاب: 70 – 71].

أما بعد[1]:

[1] تنظر خطبة الحاجة عند: النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الاردن، بدون تاريخ، باب: كيفية الخطبة، حديث (1404)، [فيه] أبو عبيدة لم يسمع من أبيه شيئاً، ص 165، البيهقي (المتوفى: 458هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، 1413 هـ، 7/ 164، غير مرفوع، أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1389 هـ، (2118)، سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]،الاصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423 هـ، 208/7، (تفرد به عفان عن شعبة)، النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط1، مكتبة المؤيد، 1408 هـ، ص355، إسناده صحيح، الالباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط1، المكتب الاسلامي، بيروت، 1400 هـ، ص 255، (الحديث صحيح)، الألباني: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط1، 1421 – 2000 م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص 3.

فهذا الجزء الثاني من تفسير (حكمة القرآن)، ويتضمن مجموعة من الفصول والحكم، والتي حاولنا فيها أن نبين معاني العلم القرآني الحكيم، والأبحاث المرتبطة به.

وقد وفقنا الله سبحانه وتعالى لنشر الجزء الأول من تفسير القرآن الكريم والموسوم "حكمة القرآن"، وصدر عن دار الألوكة للنشر، بتاريخ 2019/11/13 ميلادي - 1441/3/15 هجري.[2]

يتضمن الجزء الثاني من تفسير (حكمة القرآن) الفصول والأبحاث الآتية:

الفصل الأول: مفهوم العلم في الحكمة القرآنية، وفيه:

الحكمة الأولى: في العلم القرآني، حاولنا في هذه الحكمة أن نبين معنى العلم في القرآن الكريم. وبينا القواعد المثلى التي أشار إليها العلماء المسلمون في استنباط الحكمة القرآنية.

الحكمة الثانية: المنهج القرآني للعقل، بحث في مجالات العقلانية في القرآن الكريم، وفي هذه الحكمة تناولنا تدبر القرآن، وبينا الفرق بين التفسير والتأويل.

الحكمة الثالثة: القراءة والكتابة، (اقرأ باسم ربك) ... (الذي علم بالقلم).

الفصل الثاني: القرآن والتوحيد، وفيه:

الحكمة الأولى: (بسم الله الرحمن الرحيم)،

الحكمة الثانية: القرآن والتوحيد والتاريخ.

[2] ملاحظة: ينظر تفسير حكمة القران، الجزء الأول على الرابط الآتي: https://www.alukah.net/sharia/0/137156/
أشار الشيخ محمد خير رمضان يوسف ، في كتابه: "الدليل إلى مؤلفات علوم القران الكريم"، الجزء الثاني، 1442، هـ، ص 86 إلى تفسير حكمة القران، وعده من التفاسير المعاصرة للقران الكريم.

الحكمة الثالثة: القرآن التوحيد والحياة.

الفصل الثالث: القرآن والنبوة، وفيه:

الحكمة الأولى: (إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ): معنى وحكمة.

الحكمة الثانية: نداء زكريا الخفي.

الحكمة الثالثة: حكمة يونسية (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين).

الحكمة الرابعة: قميص يوسف.

الحكمة الخامسة: ضيف إبراهيم المكرمين.

الحكمة السادسة: نملة سليمان.

الفصل الرابع: من مسائل العلم القرآني، وفيه الحكم الآتية:

الحكمة الأولى: {وفتحت أبوابها}.

الحكمة الثانية: تغريدات قرآنية.

الحكمة الثالثة: لحن القول.

الحكمة الرابعة: موعظة لقمان.

الحكمة الخامسة: تأملات في سورة الجمعة.

الحكمة السادسة: المعرفة الدينية.

الحكمة السابعة: عدم الإكراه في الدين.

الحكمة الثامنة: الاختلاف.

نهدف من هذا الجزء الثاني من تفسير (حكمة القرآن) أن نبين أن القرآن الحكيم هو الكتاب الشامل الذي يجد فيه الإنسان المتدين حلولاً لمشكلاته في أي زمان ومكان. فإذا عرضت على الإنسان نازلة ما وبحث في كتاب الله سبحانه وتعالى فسيجد بإذن الله الحل لتلك المشكلة في الكتاب الحكيم إذا صدق نيته في طلب الحكمة والحقيقة والمنهج العلمي الأمثل، وإذا طبق القواعد القرآنية ذاتها لطلب الحكمة والحقيقة، وهي ما نهدف إلى بيانها في هذا الجزء إن شاء الله.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا التفسير حجة لنا لا علينا، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به ووالدينا ومشايخنا والمؤمنين والمؤمنات يوم القيامة، وأن يرزقنا رضاه والفردوس الأعلى. وأن لا يجعلنا مع ذلك القارئ للقران الذي سيكون من أول من تسعر بهم النار لأنه لم يرد بقراءته للقران وجه الله سبحانه وتعالى.

رواء محمود حسين

6 / رمضان / 1441 هـ

الأربعاء 29 / 4 / 2020 م

الفصل الأول

مفهوم العلم

في الحكمة القرآنية

الحكمة الأولى

في العلم القرآني

مدخل إلى العلم في القرآن الحكيم:

ورد مصطلح العلم في القرآن الحكيم في آيات مباركة عديدة، ومن ذلك:

يقول ربنا تبارك وتعالى: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: ٧].

فيبين القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى هو من أنزل القرآن على نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، وأن فيه ايات محكمة تمثل أم الكتاب، وفيه ايات متشابهة، فالمتشككون والذين لم يصلوا إلى العلم اليقيني الذي يضفي الأيمان والتصديق على القلب والعقل فيتبعون المتشابه في القرآن الحكيم وليس مقصدهم في ذلك الوصول إلى العلم والتحقق اليقيني بل مقصدهم في ذلك الفتنة، وفي مقابل أولئك فئة المؤمنين الراسخين في العلم الذي يؤمنون بكل ما في القرآن من محكم ومتشابه لأنهم يعتقدون أن كله من عند الله.

القرآن الحكيم كتاب كله محكم كما قال تعالى {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾} (هود: 1) فهو في غاية الإتقان والإحكام والعدل والإحسان {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ } (المائدة: 50) وكله متشابه في الحسن والبلاغة وتصديق بعضه لبعضه ومطابقته لفظاً ومعنى، وأما الإحكام والتشابه المذكور في هذه الآية فإن القرآن كما ذكره الله {مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ} أي: واضحات الدلالة، ليس فيها شبهة ولا إشكال {هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ} أي: أصله الذي يرجع إليه كل متشابه، وهي معظمه وأكثره، {و} منه آيات {وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} أي: يلتبس معناها على كثير من الأذهان: لكون دلالتها مجملة، أو يتبادر إلى بعض الأفهام غير المراد منها، فالحاصل أن منها آيات بينة واضحة لكل أحد، وهي الأكثر التي يرجع إليها، ومنه آيات تشكل على بعض الناس، فالواجب في هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم والخفي إلى الجلي، فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضاً ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة. [3]

ولكن الناس انقسموا إلى فرقتين {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ} أي: ميل عن الاستقامة بأن فسدت مقاصدهم، وصار قصدهم الغي والضلال وانحرفت قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد {فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ} أي: يتركون المحكم الواضح ويذهبون إلى المتشابه، ويعكسون الأمر فيحملون المحكم على المتشابه {ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ} لمن يدعونهم لقولهم، فإن المتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه، وإلا فالمحكم الصريح ليس محلا للفتنة، لوضوح الحق فيه لمن قصده اتباعه، وقوله {وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} للمفسرين في الوقوف على {اللَّهُ} من قوله {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} قولان، جمهورهم يقفون عندها، وبعضهم يعطف عليها {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} وذلك كله محتمل، فإن التأويل إن أريد به علم حقيقة الشيء وكنهه كان الصواب الوقوف على {إِلَّا اللَّهُ} لأن المتشابه الذي استأثر الله بعلم كنهه وحقيقته، نحو حقائق صفات الله وكيفيتها،

[3] عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ): "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق"، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م، ص 122.

وحقائق أوصاف ما يكون في اليوم الآخر ونحو ذلك، فهذه لا يعلمها إلا الله، ولا يجوز التعرض للوقوف عليها، لأنه تعرض لما لا يمكن معرفته. [4]

فأهل الزيغ يتبعون هذه الأمور المشتبهات تعرضا لما لا يعني، وتكلفا لما لا سبيل لهم إلى علمه، لأنه لا يعلمها إلا الله، وأما الراسخون في العلم فيؤمنون بها ويكلون المعنى إلى الله فيسلمون ويسلمون، وإن أريد بالتأويل التفسير والكشف والإيضاح، كان الصواب عطف {الرَّاسِخُونَ} على {اللَّهُ} فيكون الله قد أخبر أن تفسير المتشابه ورده إلى المحكم وإزالة ما فيه من الشبهة لا يعلمها إلا هو تعالى والراسخون في العلم يعلمون أيضا، فيؤمنون بها ويردونها للمحكم ويقولون {كُلٌّ} من المحكم والمتشابه {مِّنْ عِندِ رَبِّنَا} وما كان من عنده فليس فيه تعارض ولا تناقض بل هو متفق يصدق بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض وفيه تنبيه على الأصل الكبير، وهو أنهم إذا علموا أن جميعه من عند الله، وأشكل عليهم مجمل المتشابه، علموا يقينا أنه مردود إلى المحكم، وإن لم يفهموا وجه ذلك. ولما رغب تعالى في التسليم والإيمان بأحكامه وزجر عن اتباع المتشابه قال {وَمَا يَذَّكَّرُ} أي: يتعظ بمواعظ الله ويقبل نصحه وتعليمه إلا {إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} أي: أهل العقول الرزينة لب العالم وخلاصة بني آدم يصل التذكير إلى عقولهم، فيتذكرون ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وأما من عداهم فهم القشور الذي لا حاصل له ولا نتيجة تحته، لا ينفعهم الزجر والتذكير لخلوهم من العقول النافعة. [5]

ثم أخبر تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يدعون ويقولون {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا} (آل عمران: 8) أي: لا تملها عن الحق جهلاً وعناداً منا، بل اجعلنا مستقيمين هادين مهتدين، فثبتنا على هدايتك وعافنا مما ابتليت به الزائغين {وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ} (آل

[4] عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، ص 122.

[5] عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، ص 122.

عمران: 8) أي: عظيمة توفقنا بها للخيرات وتعصمنا بها من المنكرات {إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ} (آل عمران: 8) أي: واسع العطايا والهبات، كثير الإحسان الذي عم جودك جميع البريات. {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾} (آل عمران: 9) فمجازيهم بأعمالهم حسنها وسيئها، وقد أثنى الله تعالى على الراسخين في العلم بسبع صفات هي عنوان سعادة العبد: إحداها: العلم الذي هو الطريق الموصل إلى الله، المبين لأحكامه وشرائعه، الثانية: الرسوخ في العلم وهذا قدر زائد على مجرد العلم، فإن الراسخ في العلم يقتضي أن يكون عالماً محققاً، وعارفاً مدققاً، قد علمه الله ظاهر العلم وباطنه، فرسخ قدمه في أسرار الشريعة علماً وحالاً وعملاً، الثالثة: أنه وصفهم بالإيمان بجميع كتابه ورد لمتشابهه إلى محكمه، بقوله {يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ} (آل عمران: 7)، الرابعة: أنهم سألوا الله العفو والعافية مما ابتلي به الزائغون المنحرفون، الخامسة: اعترافهم بمنة الله عليهم بالهداية وذلك قوله {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا } (آل عمران: 8)، السادسة: أنهم مع هذا سألوه رحمته المتضمنة حصول كل خير واندفاع كل شر، وتوسلوا إليه باسمه الوهاب، السابعة: أنه أخبر عن إيمانهم وإيقانهم بيوم القيامة وخوفهم منه، وهذا هو الموجب للعمل الرادع عن الزلل. [6]

الحكمة القرآنية:

عقد الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه: (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) فصلاً بعنوان (منزلة الحكمة)، وعد الحكمة من منازل {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.ونقل ابن القيم قوله تَعَالَى: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ

[6] عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، ص 123.

عَلَيْكَ عَظِيمًا} [النساء: 113] وقال عن المسيح عليه السلام: {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [آل عمران: 48]. وبين ابن القيم أن "الحكمة في كتاب الله نوعان: مفردة. ومقترنة بالكتاب. فالمفردة: فسرت بالنبوة، وفسرت بعلم القرآن. ونقل ابن القيم قول ابن عباس رضي الله عنهما: هي علم القرآن: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه. ومقدمه ومؤخره. وحلاله وحرامه. وأمثاله. [7]

ونقل ابن القيم أقوال العلماء في مفهوم الحكمة ثم عرج على ذكر مفهومها مقترنة بالكتاب:

قال الضحاك: هي القرآن والفهم فيه. وقال النخعي: هي معاني الأشياء وفهمها. وقال مجاهد: هي القرآن والعلم والفقه. وفي رواية أخرى عنه: هي الإصابة في القول والفعل. وقال الحسن: الورع في دين الله. كأنه فسرها بثمرتها ومقتضاها. وبين ابن القيم أن الحكمة المقرونة بالكتاب: فهي السنة. وكذلك قال الشافعي وغيره من الأئمة. وقيل: هي القضاء بالوحي. وتفسيرها بالسنة أعم وأشهر. ورجح ابن القيم أن أحسن ما قيل في الحكمة. قول مجاهد، ومالك: إنها معرفة الحق والعمل به. والإصابة في القول والعمل. وقطع ابن القيم أن هذا لا يكون إلا بفهم القرآن، والفقه، في شرائع الإسلام، وحقائق الإيمان. والحكمة حكمتان: علمية، وعملية. فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء. ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، خلقا وأمرا. قدرا وشرعا.والعلمية كما قال صاحب " المنازل " وهي وضع الشيء في موضعه. [8]

درجات الحكمة عند ابن القيم:

[7] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ – 1996م، 2/ 447 – 448.

[8] ابن القيم: "مدارج السالكين"، 1/ 448.

وهي على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: أن تعطي كل شيء حقه ولا تعديه حده، ولا تعجله عن وقته، ولا تؤخره عنه.فالحكمة بأن تعطى كل مرتبة حقها الذي أحقه الله بشرعه وقدره. ولا تتعدى بها حدها. فتكون متعديا مخالفا للحكمة. ولا تطلب تعجيلها عن وقتها فتخالف الحكمة. ولا تؤخرها عنه فتفوتها. فالحكمة إذا: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي. والله تعالى أورث الحكمة آدم وبنيه. فالرجل الكامل: من له إرث كامل من أبيه، ونصف الرجل – كالمرأة – له نصف ميراث، والتفاوت في ذلك لا يحصيه إلا الله تعالى. وأكمل الخلق في هذا: الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. وأكملهم أولو العزم. وأكملهم محمد صلى الله عليه وسلم. ولهذا امتن الله سبحانه وتعالى عليه، وعلى أمته بما آتاهم من الحكمة. كما قال تعالى: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ} [النساء: 113] . وَقَالَ تَعَالَى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 151]. [9]

والدرجة الثانية من درجات الحكمة أن تشهد نظر الله في وعده. وتعرف عدله في حكمه. وتلحظ بره في منعه. أي تعرف الحكمة في الوعد والوعيد، وتشهد حكمه في قوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 40] . فتشهد عدله في وعيده، وإحسانه في وعده، وكل قائم بحكمته. وكذلك تعرف عدله في أحكامه الشرعية، والكونية الجارية على الخلائق، فإنه لا ظلم فيها، ولا حيف ولا جور. وإن أجراها على أيدي الظلمة. فهو أعدل العادلين. ومن جرت على يديه هو الظالم.وكذلك تعرف بره في منعه. [10]

ويضيف ابن القيم:

[9] ابن القيم: "مدارج السالكين"، 2/ 448-449.

[10] ابن القيم: "مدارج السالكين"، 2/ 449-450.

" فإنه سبحانه هو الجواد الذي لا ينقص خزائنه الإنفاق، ولا يغيض ما في يمينه سعة عطائه. فما منع من منعه فضله إلا لحكمة كاملة في ذلك. فإنه الجواد الحكيم. وحكمته لا تناقض جوده. فهو سبحانه لا يضع بره وفضله إلا في موضعه ووقته. بقدر ما تقتضيه حكمته. ولو بسط الله الرزق لعباده لفسدوا وهلكوا. ولو علم في الكفار خيرا وقبولا لنعمة الإيمان، وشكرا له عليها، ومحبة له واعترافا بها، لهداهم إلى الإيمان. ولهذا لما قالوا للمؤمنين {أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا} [الأنعام: 53] أَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} [الأنعام: 53].". وينقل عن شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله:

"هم الذين يعرفون قدر نعمة الإيمان، ويشكرون الله عليها". [11]

الدرجة الثالثة من درجات الحكمة عند ابن القيم وهي أعلاها :

أن تبلغ في استدلالك البصيرة. وفي إرشادك الحقيقة. وفي إشارتك الغاية.أن تصل باستدلالك إلى أعلى درجات العلم. وهي البصيرة التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر. وهذه هي الخصيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة. وهي أعلى درجات العلماء. قال تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} [يوسف: 108] أي أنا وأتباعي على بصيرة. وَقِيلَ {وَمَنِ اتَّبَعَنِي} [يوسف: 108] ... أي أنا أدعو إلى الله على بصيرة. ومن اتبعني كذلك يدعو إلى الله على بصيرة. فالآية تدل على أن أتباعه هم أهل البصائر الداعين إلى الله على بصيرة. فمن ليس منهم فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة. وإن كان من أتباعه على الانتساب والدعوى. وقوله: وفي إرشادك الحقيقة. إما أن يريد: أنك إذا أرشدت غيرك تبلغ في إرشاده إلى الحقيقة، أو تبلغ في إرشاد غيرك لك إلى الحقيقة، ولا تقف

[11] ابن القيم: "مدارج السالكين"، 2 / 450.

دونها. ورجح ابن القيم في كتابه (مدارج السالكين) أن أحسن ما قيل في الحكمة. قول مجاهد، ومالك: إنها معرفة الحق والعمل به. والإصابة في القول والعمل.[12]

وقد صرح الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار بأن الإسلام دين العلم والحكمة، فقد ذكر اسم العلم معرفة ونكرة في عشرات من آيات القرآن الحكيم، وذكرت مشتقاته أضعاف ذلك، وهو يطلق على علوم الدين والدنيا بأنواعها، فمن العلم المطلق قوله تعالى في وصايا سورة الإسراء: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} (17: 36)، ومنه قوله في العلم الطبيعي: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) (30: 22) بكسر اللام أي علماء الكون، ومثله قوله بعد ذكر إخراج الثمرات المختلف ألوانها من ماء المطر، واختلاف ألوان الطرائق في الجبال وألوان الناس والدواب: (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (35:28)، ومنه قوله تعالى في علوم البشر المادية: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} (30: 6 و7) إلخ. وقوله فيها دون العلم الروحي: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} (17: 85) . ومنه قوله في العلم المأثور في التاريخ: {ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (46: 4) وقوله في العلم العقلي: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) (22: 8) الظاهر أن المراد بالعلم فيه العلم النظري، بدليل مقابلته بالهدى والكتاب المنير وهو هدى الدين. [13]

وأما الحكمة فقد قال تعالى في تعظيم شأنها المطلق: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (2: 269) : وقال لرسوله ممتنا عليه:

---

[12] ابن القيم: "مدارج السالكين"، 2 / 450-451.

[13] ينظر: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ): "تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م، 11 / 203.

{وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} (4: 113) وقال له: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} (16: 125)، وقال تعالى في بيان مراده من بعثة محمد خاتم النبيين {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ }(62: 2) وفي معناها آيتان في سورة البقرة وآل عمران. وقال له في خاتمة الوصايا بأمهات الفضائل والنهي عن كبائر الرذائل، مع بيان عللها وما لها من العواقب ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة (17: 39) وقال لنسائه رضي الله عنهن: واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة (34 :33). [14]

لذلك يمكن القول باطمئنان كبير ان شاء الله أن علم الحكمة الإسلامية إنما يهدف إلى أن يصيب المسلم الحق في القول والعمل... وأن يعرف الحق ويعمل به. ومن يتضح مدى شمولية هذا العلم وآفاقه الواسعة... والحمد لله الذي يؤت الحكمة من يشاء..

ويرى الشيخ محمد رشيد رضا أن الحكمة أخص من العلم، هي العلم بالشيء على حقيقته وبما فيه من الفائدة والمنفعة الباعثة على العمل، فهي بمعنى الفلسفة العملية كعلم النفس والأخلاق وأسرار الخلق، ويدل عليه قوله تعالى بعد وصايا سورة الإسراء: {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ }(17: 39) ولولا اقتران تلك الوصايا بحكمها وعللها ومنافعها لما سميت حكمة. ألا ترى أنه سمى فيها المبذرين للمال {إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ}لأنهم يفسدون نظام المعيشة بإسرافهم، ويكفرون النعمة بعدم حفظها ووضعها في مواضعها بالاعتدال، ولذلك قال عقبه: {وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} (17: 27) ثم قال: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} (17: 29) فعلل الإسراف في الإنفاق بأن عاقبة فاعله أن يكون ملوما من الناس ومحسورا في نفسه، والمحسور من حسر عنه ستره فانكشف منه المغطى، ويطلق على من

[14] محمد رشيد رضا: "تفسير المنار"، 11 / 204 – 205.

انحسرت قوته وانكشفت عن عجزه، والمحسور المغموم أيضا. وكل هذه المعاني تصح في وصف المسرف في النفقة، يوقعه إسرافه في العدم والفقر إلخ. وحسير البصر كليله وقصيره. وقد آتى الله جميع أنبيائه ورسله الحكمة، فالكتاب أعلى ما يؤتيه تعالى لعباده من نعمه ويليه الحكمة ويليها الملك. وقال في نبيه داود عليه السلام: {وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ} (2: 251) وقال لنبيه عيسى عليه السلام: {وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ} (5: 110) وقال: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ} (31: 12) وذكر من حكمته وصاياه لابنه بالفضائل ومنافعها ونهيه عن الرذائل معللة بمضارها. ويكثر في القرآن ذكر الفقه، وهو الفهم الدقيق للحقائق الذي يكون به العالم حكيماً[15].

قرر الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه "تفسير المنار" أن الإسلام دين العقل والفكر، فقد ذكر العقل باسمه وأفعاله في القرآن الحكيم فيبلغ زهاء خمسين مرة، وأما كلمة ((أولي النهى)) أي العقول فقد جاءت مرة واحدة من آخر سورة طه، وأما ذكر ((أولي الألباب)) ففي بضع عشرة مرة. فآيات النظر العقلي والتفكر والتفكير كثيرة في الكتاب العزيز، فمن تأملها علم أن أهل هذا الدين هم أهل النظر والتفكر والعقل والتدبر، وأن الغافلين الذين يعيشون كالأنعام لا حظ لهم منه إلا الظواهر التقليدية، التي لا تزكي الأنفس ولا تصعد بها في معارج الكمال، بعرفان ذي الجلال والجمال، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ (34: 46). [16]

وأكثر ما ذكر فعل العقل في القرآن قد جاء في الكلام على آيات الله، وكون المخاطبين والذين يفهمونها ويهتدون بها العقلاء، ويراد بهذه الآيات في الغالب آيات الكون الدالة على علم

[15] محمد رشيد رضا: "تفسير المنار"، 11 / 205.

[16] ينظر: محمد رشيد رضا: "تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م، 11 / 202.

الله ومشيئته وحكمته ورحمته، كقوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (2: 164) وجعل إهمال استعمال العقل سبب عذاب الآخرة بقوله في أهل النار من سورة الملك: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (67: 10) وفي معناه قوله تعالى من سورة الأعراف: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (7: 179) وقوله في سورة الحج: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) (22: 46) الآية، ويلي ذلك في الكثرة آيات كتابه التشريعية ووصاياه، كقوله في تفصيل الوصايا الجامعة من أواخر سورة الأنعام: (ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (6: 151) وكرر قوله: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أكثر من عشر مرار كأمر لرسوله أن يحتج على قومه بكون القرآن من عند الله لا من عنده بقوله: (فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)) (10: 16). [17]

عظم القرآن شأن العلم تعظيماً لا تعلوه عظمة أخرى بقوله تعالى: {شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ} (3: 18) الآية، فبدأ عز وجل بنفسه وثنى بملائكته، وجعل أولي العلم في المرتبة الثالثة، ويدخل فيها الأنبياء والحكماء ومن دونهم من أهل الدرجات في قوله: {يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} (58: 11) وأمر أكرم رسله وأعلمهم بأن يدعوه بقوله: {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا} (20: 114) . وبلغ من تعظيمه لشأن العلم والبرهان أن قيد به الحكم بمنع الشرك بالله تعالى والنهي عنه وهو أكبر الكبائر وأقصى الكفر فقال: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا

[17] محمد رشيد رضا: "تفسير المنار"، 11 / 202.

بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (7: 33) السلطان البرهان. ويؤيد الآيات المنزلة في مدح العلم والحث على ما ورد في ذم اتباع الظن كقوله تعالى: {وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} (10: 36) ومثله: {وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا }(28 :53) . [18]

يقول الإمام الرازي: "اعلم أن معرفة الله تعالى جنة حاضرة إذ الجنة أن تنال ما يوافق عقلك وشهوتك، ولذلك لم تكن الجنة جنة لآدم لما نازع عقله هواه، ولا كان القبر سجنا على المؤمن لأنه حصل له هناك ما يلائم عقله وهواه، ثم إن معرفة الله تعالى مما يريدها الهوى والعقل، فصارت جنة مطلقة." [19]

ويضيف الرازي: "وبيان ما قلنا: أن العقل يريد أمينا تودع عنده الحسنات، والشهوة تريد غنيا يطلب منه المستلذات، بل العقل كالإنسان الذي له همة عالية فلا ينقاد إلا لمولاه، والهوى كالمنتجع الذي إذا سمع حضور غني، فإنه ينشط للانتجاع إليه، بل العقل يطلب معرفة المولى ليشكر له النعم الماضية والهوى يطلبها ليطمع منه في النعم المتربصة، فلما عرفاه كما أراده عالما وغنيا تعلقا بذيله، فقال العقل: لا أشكر أحدا سواك، وقالت الشهوة: لا أسأل أحدا إلا إياك، ثم جاءت الشبهة فقالت: يا عقل كيف أفردته بالشكر ولعل له مثلا؟[20]"

ويقول الرازي: "ويا شهوة كيف اقتصرت عليه ولعل هاهنا بابا آخر؟ فبقي العقل متحيرا وتنغصت عليه تلك الراحة، فأراد أن يسافر في عالم الاستدلال ليفوز بجوهرة اليقين فكأن الحق سبحانه قال: كيف أنغص على عبدي لذة الاشتغال بخدمتي وشكري، فبعث الله رسوله وقال: لا

---

[18] محمد رشيد رضا: "تفسير المنار"، 11 / 204.

[19] الرازي: "مفاتيح الغيب"، 32 / 359.

[20] الرازي: "مفاتيح الغيب"، 32 / 359.

تقله من عند نفسك، بل قل هو الذي عرفته صادقا/ يقول لي: قل هو الله أحد فعرفك الوحدانية بالسمع وكفاك مؤنة النظر والاستدلال بالعقل."... [21]

كيف نستنبط الحكمة القرآنية:

ينبغي أن يتم تفسير القرآن الكريم ضمن الضوابط التي سار عليها علماء التفسير منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم إلى اليوم، وهذه الضوابط العامة هي:

(1) تفسير القرآن بالقرآن:

القرآن الحكيم هو كلام الله سبحانه وتعالى الذي نزل به الروح الأمين على قلب محمد بن عبد الله، رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بألفاظه العربية ومعانيه الحقة، ليكون حجة للرسول صلى الله عليه وسلم على أنه رسول مرسل من عند الله تبارك وتعالى، ودستوراً للناس يهتدون بهداه، وقربة يتعبدون بتلاوته. وهو المدون بين دفتي المصحف، بدءاً بسورة الفاتحة، وانتهاءً بسورة الناس، المنقول إلينا بالتواتر كتابة ومشافهة جيلاً عن جيل، محفوظاً من أي تغيير أو تبديل، مصداق قول الله سبحانه فيه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9]. [22]

---

[21] الرازي: "مفاتيح الغيب"، 32 / 359.

[22] عبد الوهاب خلاف (المتوفى : 1375هـ): " علم أصول الفقه"، مكتبة الدعوة – شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم)، ص 23.

أصح طرق التفسير، كما ذهب إلى ذلك علماء التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر، وما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر.[23]

(2) تفسير القرآن بالسنة النبوية:

فإن لم يتمكن المفسر من أن يفسر القرآن بالقرآن فينبغي عليه أن يفسر القرآن بالسنة النبوية، فسنة النبي عليه االصلاة والسلام شارحة للقرآن وموضحة له. وهذا ما أكده الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي بأن كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا} [النساء: 105] ، وقال تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 44] ، وقال تعالى: {وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [النحل: 64] ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه " يعني السنة. والسنة أيضا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن، لا أنها تتلى كما يتلى، وقد استدل الإمام الشافعي وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة. [24]

فالمطلوب أن يصل المفسر إلى أدق وأصح تفسير لآيات القرآن، فإن لم يستطع المفسر أن يجد التفسير في القرآن فعليه البحث في السنة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: " بم تحكم؟ " قال: بكتاب الله. قال: " فإن لم تجد؟ " قال: بسنة رسول الله. قال: " فإن لم تجد؟ " قال: أجتهد رأيي. قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[23] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " مقدمة في أصول التفسير"، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان الطبعة: 1490هـ/ 1980م، ص 39.

[24] ابن تيمية " مقدمة في أصول التفسير"، ص 39 – 40.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في صدره وقال: " الحمد لله الذي وفق رسولَ رَسُولِ الله لما يرضى رسولَ الله "، وهذا الحديث في المساند والسنن بإسناد جيد. [25]

يقول الإمام الشافعي:

"قال الشافعي: فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليلُ على سبيل الهدى فيه". واستدل بالآيات المباركات الآتية:

قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ } (إبراهيم 1).

وقوله سبحانه وتعالى: {أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾}(النحل 44).

وقال: {نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾} (النحل 89).

وقال: {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾} (الشورى 52). [26]

(3) تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

[25] ابن تيمية: " مقدمة في أصول التفسير"، ص 40.

[26] الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ): " الرسالة"، المحقق: أحمد شاكر الناشر: مكتبه الحلبي، مصر الطبعة: الأولى، 1358هـ/1940م، 1/ 19.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فإذا لم نجد التفسير في القرآن الحكيم ولا في السنة النبوية بحثنا في أقوال الصحابة، فإنهم أدرى الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفسير القرآن لما شاهدوه من القرآن، والصفات التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماء الصحابة وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين؛ مثل عبد الله بن مسعود. عن مسروق؛ قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلمُ مكان أحد. علمَ بكتاب الله مني تناوله المطايا لأتيته. وقال الأعمش أيضا عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن. [27]

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن، إذ نال من العلم والمنزلة والفهم في كتاب الله سبحانه وتعالى ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له حيث قال: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل ". عن مسروق؛ قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. وقد مات ابن مسعود في سنة ثلاث وثلاثين على الصحيح، وعَمَّرَ بعده ابن عباس ستًا وثلاثين سنة، فما بالك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود؟ وقال الأعمش عن أبي وائل: استخلف عليٌّ عبدَ الله بن عباس على الموسم، فخطب الناس، فقرأ في خطبته سورة البقرة وفي رواية: سورة النور ففسرها تفسيرا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا. [28]

(4) تفسير القرآن بأقوال التابعين:

[27] ابن تيمية: " مقدمة في أصول التفسير"، ص 40 – 41.

[28] ابن تيمية: " مقدمة في أصول التفسير"، ص 41.

إذا لم يستطع المفسر أن يجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا عند الصحابة، فينبغي أن يرجع إلى أقول الأئمة من التابعين مثل مجاهد بن جبر؛ فإنه كان آية في التفسير، روي عن مجاهد قال: عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها. وروى الترمذي عن قتادة، قال: مافي القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً. وعن الأعمش؛ قال: قال مجاهد: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم أحْتَجْ أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت. وعن ابن أبي مُلَيْكة؛ قال: رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، قال: فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله؛ ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. [29]

عن الفضل بن ميمون، قال: سمعت مجاهداً، يقول: «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة". [30]

ومن التابعين أيضاً سعيد بن جُبَيْر، وعِكْرِمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المُسَيَّب، وأبى العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مُزاحم، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم، "فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ، يحسبها من لا علم عنده اختلافاً، فيحكيها أقوالا وليس كذلك. فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادي". [31]

---

[29] ابن تيمية: " مقدمة في أصول التفسير"، ص 44.

[30] أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ): " الطبقات الكبرى"، المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الأولى، 1968 م، 5/ 466.

[31] ابن تيمية: " مقدمة في أصول التفسير"، ص 45.

ملاحظة: تفسير القرآن بمجرد الرأي حرام:

أما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام. عن ابن عباس؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قال في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار ". وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قال في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار ". وعن جُنْدُب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ "، قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل ابن أبي حزم. [32]

فمن قال في القرآن برأيه فقد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به. فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر، لكن يكون أخف جرما ممن أخطأ، والله أعلم. وهكذا روى بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم، أنهم شددوا في أن يفسر القرآن بغير علم. وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم: أنهم فسروا القرآن، فليس الظن بهم أنهم قالوا في لقرآن وفسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم. وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا، أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم. وهكذا سمى الله تعالى القَذَفَة كاذبين، فقال: {فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [النور: 13] فالقاذف كاذب، ولو كان قد قذف من زنى في نفس الأمر؛ لأنه أخبر بما لا يحل له الإخبار به، وتكلف ما لا علم له به، والله أعلم. [33]

[32] ابن تيمية: " مقدمة في أصول التفسير"، ص 46.

[33] ابن تيمية: " مقدمة في أصول التفسير"، ص 46 – 47.

تعليقة من أجل فهم العلم القرآني:

قال أبو القاسم رحمه الله: سمعت أبا حاتم، يقول: سمعت ابا نصر السراج رحمه الله، يقول: سئل رويم عن أول فرض افترضه الله على خلقه ما هو؟ قال: المعرفة يقول الله عز وجل: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [سورة الذاريات 56]. قال ابن عباس: ليعرفون. ويعلق ابن تيمية على ذلك، فيقول: "قلت هذا الكلام [صحيح] فإن أول ما أوجبه الله على لسان رسوله هو الاقرار بالشهادتين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل لما بعثه إلى اليمن إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أخرجاه في الصحيحين. وكذلك قال المشايخ المعتمدون مثل الشيخ عبد القادر وغيره والإقرار بالشهادتين يتضمن المعرفة. [34]

ويقول الله سبحانه وتعالى: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾}(طه: 123). فالإنسان بعقله وشعوره وكل ما فيه تابع للوحي. الشرع متبوع والعقل تابع، وهذا ما يدحض نظرية كل من قدم العقل على الوحي، فالعقل يستظل بنور الشرع وبه يهتدي إلى الصواب والصراط والمستقيم.وهنا تتلاشى النظريات القائلة بقدرة العقل على الوصول للحقيقة بمفرده!

يبين الشيخ ابن تيمية أنه لوكان العقل وحده السبب والع في معرفة الله، لصار من الواجب أن تحصل المعرفة بوجوده، وتعدم بعدمه، مثل المنظورات تدرك بوجود البصر، وتعدم معرفتها ونظرها بعدم البصر. وكذلك المسموعات وسائر المحسوسات. ولذلك قد نرى المسلم يرتد عن الإسلام، مع وجود كامل عقله الذي كان به قبل الارتداد مؤمناً، ولهذا نعلم أن المعرفة حصلت له بغير ذلك. وكذلك نرى المؤمن بالله يذهب عقله، ويحكم بجنونه، وهو باق على المعرفة، مقر

[34] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "الاستقامة"، المحقق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1403هـ، 1 / 141.

بالتوحيد، عارف بالله. وعقلاء كثيرون يكفرون ويشركون. فهذا دليل على أن المعرفة تستفاد بمعنى غير العقل. [35]

إذاً مجرد الغريزة ولوازمها لا تستلزم المعرفة الواجبة على العباد. وهذا مما لا يخالف فيه أحد، فإن قول القائل: إن المعرفة تحصل بالعقل، يقول: إن أصل الإقرار بالصانع يحصل بعلوم عقلية، ولكن ليس ذلك هو جميع المعرفة الواجبة، ولا بمجرد ذلك يصير مؤمناً. وهذا العقل هوالعقل الذي هو شرط في الأمر والنهي. وقد يراد بالعقل ما تحصل به النجاة. كما قال تعالى عن أهل النار: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾} (الملك: 10)، وقال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾}. (يوسف: 2)، وقال تعالى: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ (الفرقان:44) . وقال: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} ﴿العنكبوت: ٤٣﴾ ، وأمثال ذلك في القرآن. [36]

والتصديق يتضمن المعرفة. ويفرق القرآن بين الإيمان بالله ورسوله وبين الإيمان للرسول إذ الأول هو الإقرار بذلك والثاني هو الإقرار له كما في قوله: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا} [يوسف: 17]. وفي قوله: {يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} [التوبة: 61] . وفي قوله: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ [التوبة: 94]. فليس الغرض أنهم لم يهتدوا لمثل هذا في مثل هذا الأصلي الذي لم يعرفوا فيه لا الإيمان ولا القرآن وهما نور الله الذي بعث به رسوله كما قال تعالى: {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52]

---

[35] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "درء تعارض العقل والنقل"، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991 م، 9/ 18 - 19.

[36] ابن تيمية: ""درء تعارض العقل والنقل"، 9 / 19.

{صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ} [الشورى: 53] . وقد قال: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ} [الأعراف: 158] . فميز الإيمان به من الإيمان بكلماته وكذلك قوله {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا} [البقرة: 136] الآية وقوله {كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} [البقرة: 285]. [37]

والقرآن الكريم، هو العلم الذي يهدي الإنسان إلى الصراط المستقيم، إذ هو منهج الله لخلق الله، يدعو إلى معرفة موحدة، تجمع بين نور الوحي المنزل على رسول الله للبشر كافة، ونور الفطرة المؤسسة للمعرفة، تأسيساً يؤهلها لاثبات النبوة وفهم الشرع. ولقد امتثل المسلمون دعوة القرآن لإعمال الكينونة العارفة في الإنسان فهماً وتفسيراً، فامتلأت الحياة الإسلامية، بالعلوم والمعارف التي تعالج شتى نواحى الحياة، وما من علم إلا وكان خادماً لهدف هذا الدين من توجيه الناس إلى ربهم، وزيادة يقينهم به، وتسهيل مهمة استخلاف الإنسان في الأرض وإزاء هذا، فلم تكن لدى المسلمين عقدة تجاه أي فكر، اعتزازاً منهم بالنور الذي يحملونه، واعتقادا بما فيه من قوة على صهر كل ما لا يتفق. والقرآن مليء بالآيات الموقظة لهذه الفطرة، المدعمة لدورها المعرفي في الحياة. المعمقة لأصالتها، الداعية لها إلى النظر والتفكير والفقه والتدبر والتعقل والذكر والتذكر. [38]

{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: ١٨].

---

[37] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "الفتاوى الكبرى لابن تيمية"، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م، 6 / 510.

[38] د. راجح الكردي: "نظرية المعرفة بين القران والفلسفة"، ط1، مكتبة المؤيد – الرياض، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، 1412 هـ - 1992م، ص 14.

{ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [آل عمران: ١٩].

{ لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ١٦٢].

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٨٥].

{ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا} [الإسراء: ١٠٧].

{ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا} [مريم: ٤٣].

{ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الحج: ٥٤].

{ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} [العنكبوت: ٤٩]

19 .وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [الروم: ٥٦]

{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [سبإ: ٦].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة الثانية

المنهج القرآني للعقل

بحث في مجالات العقلانية في القرآن الكريم

تدبر القرآن:

قال الله سبحانه وتعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} وقال: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ}، وقال: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}. فأمر بتدبر الكتاب كله وقال: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}، وقد قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} وجمهور سلف الأمة وخلفها على أن الوقف على قوله: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} وهذا هو المأثور عن أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم ... [39]

---

[39] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ): "مجموع الفتاوى"، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م، الكتاب مشكول ومقابل مع إضافة: 1- العناوين التي وضعها محققا طبعة دار الوفاء (أنور الباز وعامر الجزار) ط 3، 1426 هـ / 2005 م، 2- في الهامش أضيف كتاب صيانة مجموع الفتاوى من السقط والتصحيف، للشيخ ناصر بن حمد الفهد / نشر: دار أضواء السلف، الطبعة الأولى: 1423 هـ / 2003 م، 3 / 54.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد قامت الحجة القاطعة عند من نظر في القرآن الكريم، وعرف أسلوبه، وتدبر معناه ومحتوياته ، ثم أحاط بنشأة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والبيئة التي نشأ فيها، والمجتمع الذي ظهر فيه على أنه لا يمكن أن يكون من تأليف النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا من عمل بشر تلقاه عنه ، و بذلك آمن من يخضع قلبه للحق بأنه من الله سبحانه وتعالى، ، أوحاه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي اصطفاه رسولاً ، و بلغه النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس ، وكان القرآن بذلك عند من آمنوا به مصدراً لعقائد الدين، ولأصول أحكامه وشرائعه . وقد بين الله سبحانه وتعالى في القرآن نفسه عجز البشر عن الإتيان بمثله ، ودل عليه واقعهم الذي فشلت فيه محاولة الإتيان بمثله ، وجابه المعرضين عنه بالعجز الدائم المستمر فقال

{ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} ﴿البقرة: ٢٣﴾ .

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} ﴿يونس: ٣٨﴾ (يونس: 38). [40]

ويقرر الشيخ شلتوت أن الفهم الإنساني في الإسلام ليس ديناً يلتزم، وقد انشغل العلماء بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في محاولة الفهم للقران فيما لم يكن من آياته نصاً في معنى واحد ؛ ومن هذا الجانب اتسع ميدان الفكر الإنساني ، وكثرت الآراء والمذاهب في النظريات والعمليات ، لا على أنها دين يلتزم، وإنما هي آراء وأفهام فيما هو من القرآن محتمل للآراء والأفهام، يرد فيها كل ذي رأى منها به إلى الدلالة التي فهمها هو من النص القرآني ، بمعونة عنده من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم أو أفعاله، أو من القواعد العامة التي ترمي إليها روح الدين عامة ؛ وهذا الاجتهاد لم يكن من هؤلاء الأئمة إلا اجتهاداً فردية ، لايوجب واحد منهم على

[40] الإمام الأكبر محمود شلتوت: " الإسلام عقيدة وشريعة"، ط 18، دار الشروق،القاهرة، 1421هـ – 2001م، ص 7 – 8.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحد من الناس أن يتبعه ؛ بل تركوا لغيرهم ممن له أهلية الفهم حرية التفكير والنظر فرصة الاجتهاد أيضاً، أما العقائد الأصلية كالإيمان بالله واليوم الآخر ، وأصول الشريعة كوجوب الصلاة والزكاة وحرمة النفس والعرض والمال ، فإن نصوصها جاءت في القرآن بينة واضحة لا تحتمل اجتهاداً ولا أراءاً. ومن هنا كثرت الاجتهادات والاراء والمذاهب فيما يتصل بالفروع التابعة للعقائد الأصلية، وفيما يتعلق بالعمليات التابعة لأصول الشرائع والأحكام. [41]

وفي سبيل الحجة العقلية وجه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الإنسان إلى النظر والتفكير في هذا الكون .. في أرضه وسمائه، وما أودع فيه من أسرار، وبنى عليه من نظام و إحكام، وأفرغ عليه من وحدة جعلته متماسك الحلقات .. و يوجب في الوقت نفسه الاعتراف القلب بأنه لابد لهذا الكون البديع المنسق المترابط السائر بحكم نظام واحد لا يلحقه خلل ولا انتكاس – من مصدر خالق مدبر له ، مهيمن عليه، متصرف فيه عن طريق العلم الشامل، والقدرة النافذة، والحكمة البالغة ؛ الأمر الذي يحيل في نظر العقل صدور الكون عن نفسه، أو عن قوى متضادة متعارضة، وأن هذا الكون سائر بتدبير هذا الخالق إلى الغاية التي حددها له بعلمه وحكمته. وعندئذ يفعل به ما يشاء مما أرشدت إليه كتبه ، ودل عليه وحيه لأنبيائه ورسله، من ظواهر انحلاله وفنائه التي كثر الإخبار بها في القرآن. وتجيء بعدها الدار الآخرة {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾}. [42]

وهذا العقل هو ما يسميه الدكتور طه عبد الرحمن بالعقل المسدد، وهو "عبارة عن الفعل الذي يبتغي به صاحبه جلب منفعة أو دفع مضرة ، متوسط في ذلك بإقامة الأعمال التي فرضها الشرع". إن الفعل المعتبر في العقل المسدد ليس أي فعل كان ، وإنما هو فعل شرطه أن يتصف

[41] الإمام محمود شلتوت: " الإسلام عقيدة وشريعة"، ص 8.

[42] الإمام محمود شلتوت: " الإسلام عقيدة وشريعة"، ص 21.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بالأوصاف الثلاثة الاتية، وهي : « الموافقة للشرع و « اجتلاب المصلحة ، ثم الدخول في الاشتغال، موافقة الشرع : إن العمل الذي يخالف الشرع قصداً أو الذي لا يبالي صاحبه ، سواء أخالف الشرع أم لم يخالفه ، لا يمكن أن يقع به التسديد، وأن يصح أن يقع به التوجيه، إلا أن « التوجيه ، غير التسديد، فليس كل عمل منوط بالتوجيه عملاً منوطاً بالتسديد. فقد وجه العمل هنا إلى ما يضره أو يضر غيره ولو يكون قد استفرغ الوسع في تحري ما يراه أنفع الأعمال، وفي اتخاذ ما يظنه أنجع الطرق لأداء عمله؛ فما لم يقم شاهد من الشرع على هذا العمل وعلى وسائله، وما لم يقصد به المرء صريح الموافقة، لم ينج من الوقوع في الإتيان بالفساد حيث يحسب أنه صنعة. والعقل المسدد يحاول اجتلاب المنفعة على أساس الشرع. ومقصوده الاشتغال أو العمل على أساس من الشرع. [43]

فالذي يقرأ القرآن بحضور قلب وتدبر، لا شك أنه يتأثر به تأثراً عظيماً، وقوله سبحانه وتعالى: {لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} هو بيان الحكمة من ذلك ، أن نتدبر آياته ، لا أن نقرأه بدون تدبر ، ولا تفهم لمعناه ؛ لأننا لو قرأناه هكذا لم نستفد منه سوى ألفاظ نرددها ، ونحن لا نعرف معناها ، ولا نتدبرها . والحكمة الثانية : قال : {وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} ، فتدبر الآيات مطلوب لقوله : {يَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾} (ص: 29)، والتذكر به خاص بأولي الألباب ، أي : العقلاء ؛ لأنه كم من إنسان يعرف معنى القرآن ، ويتدبر القرآن ، ويستنتج منه الفوائد العظيمة ، لكنه لا يتذكر ! {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [البقرة : 299]. والألباب: هي العقول، ذكر الله هذا القرآن العظيم ، ووصفه بأنه مبارك ، وبين الحكمة من إنزاله ، وهي أولا : تدبر الآيات، وثانياً: التذكر [44].

---

[43] طه عبد الرحمن: "العمل الديني وتجديد العقل"، ط 2، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997، ص 58، 59، 60، 61.

[44] محمد بن صالح العثيمين: "شرح أصول في التفسير"، ط1، موسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، عنيزة، المملكة العربية السعودية، 1434هـ، ص 44.

ويؤكد الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي أن هذا القرآن العظيم أنزله الله لهداية الخلق وإرشادهم ، وأنه في كل وقت وزمان يرشد إلى أهدى الأمور وأقومها {إِنَّ هَٰذَا القرآن يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء : 9] ؛ فعلى الناس أن يتلقوا معنى كلام الله كما تلقاه الصحابة رضي الله عنهم ، فإنهم كانوا إذا قرؤوا عشر آيات ، أو أقل ، أو أكثر ، لم يتجاوزوها حتى يعرفوا ما دلت عليه من الإيمان والعلم والعمل ، فينزلونها على الأحوال الواقعة ، فيعتقدون ما احتوت عليه من الأخبار ، وينقادون لأوامرها ونواهيها ، ويدخلون فيها جميع ما يشهدون من الحوادث والوقائع الموجودة بهم وبغيرهم ، ويحاسبون أنفسهم : هل هم قائمون بها ، أم لا؟ وكيف الطريق إلى الثبات على الأمور النافعة ، وإيجاد ما نقص منها ؟ وكيف التخلص من الأمور الضارة ؟ فيهتدون بعلومه ، ويتخلقون بأخلاقه وآدابه ، ويعلمون أنه خطاب من عالم الغيب والشهادة، وهم مطالبون بفهمه حق الفهم ، والعمل بمقتضاه. ويبين الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي كيفية تلقي التفسير، فيشير أن كل من سلك طريقة ، وعمل عملاً، وأتاه من أبوابه وطرقه الموصلة إليه ، فلا بد أن يفلح وينجح ؛ كما قال تعالى : {وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ} [البقرة : 189] . وكلما عظم المطلوب تأكد هذا الأمر ، وتعين البحث التام عن أمثل وأحسن الطرق الموصلة إليه ، ولا ريب أن ما نحن فيه هو أهم الأمور واجتها وأصلها[45].

ويبين الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي طريقة القرآن في تقرير التوحيد ونفي ضده . فيوضح أن القرآن يكاد أن يكون كله لتقرير التوحيد ، ونفي الشرك، وأكثر الآيات يقرر الله فيها توحيد الإلهية وإخلاص العبادة الله له وحده لا شريك له، ... ويوضح الشيخ محمد بن صالح العثيمين كلام الشيخ السعدي ببيان أن ينبغي أن يكون الإنسان موحداً في القصد والعمل ، في

[45] محمد بن صالح العثيمين: "التعليق على القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القران"، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، عنيزة، ودار ابن الجوزي، الدمام، 1435هـ، ص 15-16 .

القصد لا يريد بذلك إلا وجه الله ، وفي العمل لا يتبع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا بد من هذين التوحيدين : توحيد القصد وهو الإخلاص ، وتوحيد الاتباع أو العمل وهو الاتباع للرسول ، فإذا تحقق التوحيدان صحت الأعمال ، وإذا اختل أحدهما ، فإنه يختل من عمله بقدر ما اختل من توحيده . [46]

ويشير الشيخ العثيمين أن الكتب والرسل اتفقت على الأصل الذي هو أصل الأصول كلهاوهو التوحيد ، وأن من لم يدن بهذا الدين – الذي هو إخلاص العمل لله – فعمله باطل { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾} [الزمر : 65] ، و قوله تعالى: {وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿88﴾} [الأنعام : 88] . ويدعو القرآن الناسأيضا إلى هذا الأصل بما يتمدح به ويثني على نفسه الكريمة ، من تفرده بصفات العظمة ، والمجد ، والجلال ، والكمال ، وأن من له هذا الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه مشارك أحق من أخلصت له الأعمال الظاهرة والباطنة ، ويقرر هذا التوحيد بأنه الحاكم وحده ، فلا يحكم غيره شرعا ولا جزاء {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ} [يوسف : 40]. ويدعو القرآن العباد إلى ما تقرر في فطرهم وعقولهم من أن المتفرد بالخلق والتدبير ، والمنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة ، هو الذي لا يستحق العبادة وحده ، وأن سائر الخلق ليس عندهم خلق ، ولا نفع ، ولا دفع ، ولن يغنوا عن أحد من الله شيئاً. [47]

وتدبر القرآن إنما يكون عن طريق إمعان النظر في سوره وآياته ، وجمله وكلماته ، وتراكيه ومفرداته ، والوقوف أمامها طويلاً ، ونفاذ النظر إلى مضامينها ومراميها وأغراضها ، وملاحظة حقائقها ودقائقها ، والأنس والسعادة والاستمتاع بالحياة معها ، والاسترواح في ظلالها ، وقضاء

[46] محمد بن صالح العثيمين: "التعليق على القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القران"، ص 30.

[47] محمد بن صالح العثيمين: "التعليق على القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القران"، ص 31.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أسعد الأوقات معها والمؤمن يفعل ذلك ليتعرف على معالم الحياة التي يريد القرآن إيجادها ، ومناهج الإصلاح التي يفرزها ، . وقد أوجب الله على المسلمين تدبر آيات القرآن ، فقال تعالى : { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿82﴾} (النساء: 82)، وقال تعالى : { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿24﴾} (محمد: 24). [48]

والمؤمن بكتاب الله يتدبر القرآن ليعرف ماذا يريد الله منه أن يكون ليكون ، إنه يريد أن يتعلم الأحكام التي يقرها القرآن ، والواجبات التي أوجبها الله عليه في القرآن ليفعلها ، والمنهيات التي نهاه الله عنها في القرآن ليتجنبها . وإذا كان هذا المؤمن صاحب علم وفقه ، وطالب فائدة وبحث ، فإنه في تدبره للقرآن ، ونظره في سوره وآياته ، يحقق ما سبق ذكره ، ويؤديه ويلتزمه ، ويجعل حياته وقفاً على تحقيقه ، ثم يضيف إليه أحياناً أخرى مطالب سامية ، واغراضاً رفيعة عالية، المؤمن يفعل ذلك ليتعرف على أسس الدعوة في القرآن ، لينطلق من خلال القرآن داعيًا إلى الله ، ناصحاً للمسلمين ، ناشراً لهدي القرآن بشيراً ونذيراً ، أمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ،إنه يعيش مع بيان القرآن ، واسلوب القرآن ، وحديث القرآن ومفردات القرآن ، ومصطلحات القرآن ، وموضوعات القرآن ، ومعاني القرآن ، وحقائق القرآن إنه مع القرآن في أوقاته وساعاته ، في ليله ونهاره ، في مشاعره وتطلعاته ، في نظراته وعباراته والقرآن الكريم كتاب الله العظيم ، وكلامه المعجز ، أنفس ما تنفق فيه الأوقات ، وتوجه له النظرات ، وتقضى فيه الأعمار ، وتدور معه الأفكار. إن هذا المؤمن بتدبره القرآن ، يمعن النظر فيه ، ويتعرف على أسلوبه ، ويذوق بلاغته وفصاحته ، ويقف على اسرار ومظاهر إعجازه ، واساليب بيانه ، وروعة كلماته وتعبيراته.[49]

[48] د. صلاح عبد الفتاح الخالدي: "التفسير والتأويل في القران"، 1، دار النفائس، عمان، 1416هـ- 1996م، ص 5 .

[49] د. صلاح عبد الفتاح الخالدي: "التفسير والتأويل في القران"، ص 5-6.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

التفسير والتأويل:

وروي عن ابن عباس أنه قال: التفسير على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله من ادعى علمه فهو كاذب وقد روي عن مجاهد وطائفة: أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله وقد قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية وأسأله عن تفسيرها ولا منافاة بين القولين عند التحقيق فإن لفظ التأويل قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعملا في ثلاثة معان:

أحدها: أن التأويل بمعنى التفسير وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كما يقول ابن جرير وأمثاله – من المصنفين في التفسير – واختلف علماء التأويل ومجاهد إمام المفسرين؛ قال الثوري: " إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به " وعلى تفسيره يعتمد الشافعي وأحمد والبخاري وغيرهما فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه فالمراد به معرفة تفسيره. [50]

الثاني من معاني التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام كما قال الله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} . فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به فيه مما يكون: من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك كما قال الله تعالى في قصة يوسف لما سجد أبواه وإخوته قال: {يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ} فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا الثاني: هو تفسير الكلام وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه أو تعرف علته أو دليله وهذا التأويل الثالث هو عين ما هو موجود في الخارج ومنه قول عائشة. {كان النبي صلى الله عليه وسلم

[50] ابن تيمية: "مجموع الفتاوى"، 3 /54.

يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي} يتأول القرآن يعني قوله: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ}. [51]

الثالث:وهو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله: أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح؛ لدليل يقترن به وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وترك تأويلها؛ وهل ذلك محمود أو مذموم أو حق أو باطل؟ [52]

فالقرآن العظيم قد عالج حيرة الناس وحيرة من سبقهم من الأمم في سائر أمور الغيب التي كان العقل قد أعلن عجزه عن الإجابة السليمة عن أي تساؤل حولها ، ويأسه بعد الجهود الفلسفية الهائلة لسائر الأمم من الوصول الى إجابة شافية عنها ، فإذا بالقرآن العظيم يشفي الصدور من حيرتها، ويطلق العقول من عقالها، وينقذ القلوب من ضلالاتها، ويحررها من سجونها في دهاليز البحث الضيقة عما لا يمكن أن تدركه بوسائلها، أو تناله بقدراتها المحدودة. فعوالم الغيب قد أصبحت من خلال نصوص الوحي العظيم والقرآن الحكيم كأنها مشاهدة من خلال ابداع الوحي في عرض أمور الانسان منذ النشأة الأولى إلى أن تحول إلى أمم وشعوب وقبائل، وأقوى بيان لسنن الله في بتلك الأمم والشعوب ومواطن العبرة والعظة من أحوالها. كما اشتمل على عرض بداية خلق السموات والأرض والبحار والأنهار والكواكب وكيفية تسخيرها، وغاية خلقها وإيجادها، والعلاقة بينها وبين الإنسان . كذلك عرض بشكل شامل لأحوال الآخرة ومشاهد القيامة كأنها تشاهد كما يشاهد عالم الشهادة ، وتضمن الوحي في سياقات الحديث عن عالم الغيب والشهادة. وهكذا استنهض القرآن الحكيم كل طاقات الناس العقلية والفكرية حين نزوله على رسول الله صلى

[51] ابن تيمية: "مجموع الفتاوى"، 3 /55.

[52] ابن تيمية: "مجموع الفتاوى"، 3 /54.

الله عليه وسلم، وتحداهم أن يأتوا بمثله سورة أو اية فعجزوا عن ذلك. ولما ثبت لهم عجزهم بعد التحدي التام والفرصة الكاملة واستثارة جميع إمكانات الاستجابة ، لم يكن لهم مجال إلا الانقياد والانبهار والتسليم بهذا الوحي المعجز بناء ومضموناً، ولم يعد أحد يفكر الا بالتفقه في الوحي و وفهم مقاصده وتطبيقه. [53]

كان الملك يلقي الوحي في روع النبي صلى الله عليه وسلم وقلبه" وإطلاق الوحي على ذلك مجاز من إطلاق المصدر بمعنى اسم المفعول وحقيقة الوحي هنا الإعلام في خفاء أو الإعلام بسرعة، وشرعًا الإعلام بالشرع، قاله الشامي. "من غير أن يراه" وعلم أنه وحي دون الإلهام الذي لا يستلزم. كانت الرؤيا الصادقة" بعد النبوة أو قبلها لأنها مقررة لما بعدها. نعم، المختص بما بعدها الوحي بالأحكام التي يعمل بها، "فكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" كما روي عن عائشة واستدل السهيلي وغيره على أنها من الوحي، يقول إبراهيم {يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} [الصافات: 102] ، فدل على أن الوحي يأتيهم منامًا كما يأتيهم يقظة، وبرواية ابن إسحاق: أن جبريل أتاه ليلة النبوة وغطه ثلاثًا وقرأ عليه أول سورة {اقْرَأْ} [العلق: 1] ، ثم أتاه وفعل ذلك معه يقظة، وفي الصحيح عن عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحي، وقرأ {يَا بُنَيَّ} الآية. [54]

---

[53] د. طه جابر العلواني: " نحو منهجية معرفية قرآنية: محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة، ط 1، دار الهادي، بيروت، 1425 هـ - 2004، ص 44.

[54] ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: 1122هـ): "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1417هـ-1996م، 1 / 420.

الوحي منهاجاً للتفكير:

لم يكن لدي المسلمين في عصر الرسالة أو العصر الذي تنزل فيه الوحي المجال ولا الدافع للبحث في حاكمية الوحي أو حجية العقل. فقد كان المطلوب من أن الإنسان الذي عايش تنزيل الوحي أن يسخر كل امكاناته للبحث في الشيء قبل أن يصل إلى تصور كامل له يدفعه إلى الإيمان . لكنه بعد أن يصبح مؤمناً بالوحي ، ويصبح الإيمان مستقراً في قلبه ، عندذاك تصبح الحدود واضحة لا تستدعي أحكاماً قانونية تكشف أبعادها ، فالعقل يبذل جهده في الملاحظة والتحليل والاستقراء والاستدلال والاستنباط والتعليل. فإذا آمن القلب اتجه العقل ليمارس مجالات المعرفة في عالم يستطيع أن يسخر الحواس الإنسانية للعمل فيه لتجتمع له كل الوسائل التي تمكنه من الوصول إلى أحكام ناتجة عن التجربة أو الحس أو قوانين الاستدلال والاستقراء والاستنباط. [55]

ولو عدنا إلى معاني الوحي وطريقة تعامل المسلمين معه في عصر الرسالة لاتضح الكثير من مجال بحثنا الحالي حول المنهج القرآني للعقل. عقد المقريزي فصلاً عن الوحي ومعناه وذكر من ذلك له مراتب ووجوه في القرآن: ومنه وحي إلى الرسول، وهو أن يخاطبه الملك شفاهاً ويلقي ذلك في روعه، وذلك قوله تعالى: { وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ} والمقصود بذلك خطاباً يلقى فهمه في قلبه حتى يعيه ويحفظه.

[55] د. طه جابر العلواني: " نحو منهجية معرفية قرآنية: محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة، ص 45.

وما عداه من غير خطاب، فإنما هو ابتداء إعلام وإلهام وتوقيف من غير كلام ولا خطاب كقوله تعالى: {وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ }، {وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى} وما في معناهما. [56]

وهكذا فهم المسلمون أن النبوة "هي سفارة العبد بين الله وبين ذوي الألباب من خليقته، ولهذا يوصف أبداً بالرسالة والبعثة"، وقيل: "إن النبوة إزاحة علل ذوي الألباب فيما تقصر عقولهم عنه من مصالح الدارين، ولهذا يوصف دائما بالحجة والهداية ليزيح عللهم على سبيل الهداية...". ومعنى النبي وذو النبأ والخبر أن "يكون مخبراً عن الله بما خصه به من الوحي"، وقيل إنها مشتقة من النّبوة التي هي المكان المرتفع عن الأرض، وهو أن يخص بضرب من الرفعة، فجعل سفيراً بين الله سبحانه وتعالى وبين خلقه، يعنى بذلك وصفه بالشرف والرفعة. [57]

كانت العلاقة بين المنهج العقلي والمبادئ الوحيانية واضحة جداً عند سلف الأمة. ولم يكن هناك خلط في العلاقة بينهما بطريقة خاطئة كما حدث فيما بعد عصر الصحابة، فتعذر العمل المجدي وشاع التفلسف البعيد عن روح المنهجية العقلانية القرآنية المطلوبة مما عرض الأمة للانهيار. لم يكن ذلك الخلط موجوداً في عصر الصحابة فقد كان الأمر أشبه بالبديهي عندهم. فالحباب بن المنذر، رضي الله عنه، يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن المنزل الذي اختاره في بدر، ليعلم ما اذا كان اختياره وحياً من الله عز وجل، أو أن اختياره كان للرأي، وذلك لأن القائد هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعندما يخبر بأنه الرأي ، يقترح تغيير المنزل ويوضح العلة في ذلك . وكذلك الحال بالنسبة لحديث تأبير النخل ونحوه من الأمور الدنيوية والسياسات التنظيمية. في كل هذه الأمور، كان ارشاد الوحي وتوجيهاته الكلية وأهداف

---

[56] أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: 845هـ): " إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع"، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، 2 / 370.

[57] المقريزي: "إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع"، 2 / 374.

الإسلام ومقاصده التشريعية مع العقل المنهجي المنظم والقلب المطمئن بالإيمان ، كان ذلك كله يشكل فريق عمل متكاتف، مع ادراك واع لميادين التخصص: فالجانب العقيدي المتعلق بأمور الألوهية والرسالة والبعث والقدر والآخرة والملائكة والجن وباقي الغيبيات أمور تدرك بالوحي، ولا سبيل للوصول إلى الموقف الحق فيها إلا بواسطته بعد أن يحدث الوحي والعقل المعرفة ، ليحيلها العقل بعد ذلك إلى القلب من أجل أن يؤمن بها ويؤسسان بوجودها من غير أن يبحث فيها . وحتى تحصل للعقل المعرفة ، استخدم القرآن الحكيم عالم الشهادة للوصول إلى ما يريد . فهو يلفت العقل إلى الكون وظواهر الطبيعة والخلق والإبداع المشاهد ، ثم يركب الأدلة منها ، ليحمل العقل على ادراك ما بينه وبين الكون والخلق من علائق. [58]

واخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم والبيهقي وأبو نعيم بسند جيد عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي نسمع عنده دوياً كدوي النحل وفي لفظ يسمع عند وجهه كدوي النحل .

وأخرج الشيخان عن عائشة ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي قال أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول .

اخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف عن أبي جعفر قال: كان أبو بكر يسمع مناجاة جبرئيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يراه .

[58] د. طه جابر العلواني: " نحو منهجية معرفية قرآنية: محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة"، ص 46.

وقالت عائشة: لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقاً.

وأخرج ابو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله إذا نزل عليه الوحي وجد ثقلا قال الله تعالى {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} ﴿المزمل: ٥﴾ .

وأخرج ابن سعد عن أبي سلمة انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:" كان الوحي يأتيني على نحوين يأتيني به جبرئيل فيلقيه علي كما يلقي الرجل على الرجل فذاك يتفلت مني ويأتيني في شيء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي فذاك الذي لا يتفلت مني.

وأخرج مسلم عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد له وجهه. [59]

بين الله في كتابه الكريم لعباده المؤمنين الأحكام التي علم أن بها سعادتهم في الدنيا والآخرة، وصلاحهم أفرادا وجماعات. والقرآن يُبين تلك الأحكام من خلال طريقين : الطريق الذي يبدأ بسؤال: أحدها: وهو الأصل والكثير الغالب – توجيه الأوامر والنواهي إلى المؤمنين توجيهاً مبتدأغير مسبوق بسؤال سائل، وهو في ذلك الطريق مرة يناديهم أولاً بالمؤمنين، فيهيئهم للاستماع، ويحفزهم إلى العمل والامتثال للاوامروباجتناب النواهي، ويرشدهم إلى أن تلك الأحكام من مقتضيات الإيمان ومن عهده و ميثاقه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ} (البقرة: 178)، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ } (البقرة: 183). وهكذا إلى آخر ما في القرآن من الآيات الأحكامية التي لم يمهد فيها بنداء المؤمنين، وهذاالطريق بنوعيه: المسبوق

[59] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): "الخصائص الكبرى"، دار الكتب العلمية – بيروت، 1 / 198.

بالنداء، وغير المسبوق به هو الأصل في بيان كل تشريع يراد إخبار الناس به وأن يعملوا بموجبه. [60]

أما الطريق الثاني فهو البيان المسبوق في القرآن بسؤال سائل. وهذا يكون بياناً لشأن لم يسبق فيه بيان واحتاج الناس إلى معرفة حكم اللهفيه فسألوا عنه . أو بياناً لشان نزل فيه بيان من قبل ولكن كان عند الناس اعتبارات جعلتهم في حاجة إلى توضيحه، فسألوا من أجل لتوضيحوالكشف . وقد سجل القرآن جملة الأسئلة الموجهة إلى الرسول وذكر معها أجوبتها . وجاء من هذه الأسئلة في سورة البقرة على سبيل المثال،جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأل : أقريب ربنا فناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فنزل قوله تعالى : {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾} (البقرة: 186) . وقد أخذ العلماء هذا أنه لا ينبغي رفع الصوت في العبادة والدعاء إلا بالمقدار الذي لا يخل بالخشوع ،ولا يحدث رجة في نفوس السامعين. [61]

ويتحدث الشيخ محمود شلتوت عن (مصادر المعرفة اليقين) عن علماء الدين ، الذين هم علماء الدين حقاً ، وهم الذين يفهمون مبادئ الدين منمصادره اليقينية غير متأثرين بتقليد غيرهم ولا بأوهامهم وظنونهم. إن مقدمات البحث التي لا تعتمد على مصادر العلم الصحيح الحسالسليم، والنظر العقلى الصحيح، والخبر الصادق الذي قامت على صدقه الأدلة، التي يخضع لها العقل، ولا يجد بديلاً عن حكمها. فهم بحكمدينهم يرفضون الإيمان بشيء ما عن طريق التقليد والسير في معتقدهم على مجرد ما نقل عن الآباء والأجداد، ولا يوجد سبب سوى أنه نقلعن الآباء والأجداد.

[60] الإمام الأكبر محمود شلتوت: "الفتاوى: دراسات لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة"، ط 18، دار الشروق، القاهرة، 1421 هـ - 2001، ص 5.

[61] الإمام الأكبر محمود شلتوت: "الفتاوى: دراسات لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة"، ص 7.

وهم بحكم دينهم يرفضون في معتقدهم الاعتماد على الظنون والمفروضات التي تؤيد بسند يشهد بصحته العقل أو الخبرالصادق هنا جاء القرآن الكريم بدم التقليد، وجرى الخلف وراء السلف دون نظر و استدلال. وفي هذا يقول : {وإذا قيل لهم أتبعوا ما أنزلالله قالوا بل نتبع ما أنا عليه آباءنا}[62].

ويبين البخاري الحنفي في كتابه "كشف الأسرار" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستشير الصحابة لتقريب الوجوه وتخمير الرأي على ما كان يقال المشورة تلقيح العقول ويقال من الحزم أن تستشير ذا رأي ثم تطيعه. إنه عليه الصلاة والسلام معصوم عن القرار على الخطأ وكان اجتهاده ورأيه بعدما قرر عليه صواباً بلا شبهة.فاجتهاده صلى الله عليه وسلم أولى فوجب تقديم الطلب أي طلب النص بانتظار الوحي لاحتمال الإصابة أي إصابة النص بنزول الوحي وصار ذلك أي انتظار الوحي في حقه – عليه السلام – كطلب النص النازل الخفي بين النصوص في حق سائر المجتهدين يعني النص الذي اختفى بين النصوص ولم يصل إلى المجتهد إذ لم يحل له الاجتهاد قبل طلبه قال وقال شمس الأئمة وكان الانتظار في حقه بمنزلة التأمل في النص المؤول والخفي في حق غيره ومدة الانتظار على ما نرجو نزوله أي نزول الوحي يعني هي ما فيه ما دام رجاء نزول الوحي باقيا إلا أن يخاف الفوت أي فوت الغرض أو فوت الحكم في الحادثة يعني يخاف أن يفوت الحادثة بلا حكم وحينئذ ينقطع طمعه عن الوحي فيحكم بالرأي، وقال القاضي الإمام وكان تربصه – عليه السلام – لنزول الوحي بمنزلة تربصنا للتأمل في المنزل. [63]

---

[62] الإمام الأكبر محمود شلتوت: "الفتاوى: دراسات لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة"، ص 401.

[63] عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: 730هـ): "كشف الأسرار شرح أصول البزدوي"، دار الكتاب الإسلامي، بدون طبعة وبدون تاريخ، 3 / 211.

فالمنهج الاسلامي يقرر للمعرفة مصدرين : الوحي والوجود ، ويعد العقل والحواس وسائل ادراك . وقد يمثل العقل نفسه مصدراً في بعض الأحيان لبعض أنواع المعارف ، والاسلام – في شموله وتوازنه – لم يغفل مصدراً واحداً من مصادر المعرفة لم يعطه حقه من الاعتبار ، ولم يضعه موضعه المناسب به ، ودرجته التي يستحقها، كما لم تسمح خاصية التوازن فيه بطغيان أي مصدر على مصدر آخر . فالمنهج منهاج الاسلام والشرعة شرعته . وهذا المنهاج لم ينتج عن اجتهادات بشرية أو تصورات فلسفية وان كان الفكر البشري والاجتهاد الانساني ضروريات لفهم هذا المنهاج وادراك خصائصه ومقوماته ، ومعرفة كيفية تحكمه في حركة الحياة وتوجيهها . وربانية هذا المنهج أعطته جملة من الخصائص أهمها خاصية التوازن الشامل في سائر عناصر المنهج ومقوماته ، وهذه الخاصية قد صانت المنهج الاسلامي من سائر أنواع الاندفاع والتطرف ، والجنوح والانحراف ، وتبرز خاصية التوازن في المنهج الاسلامي في مستويات عديدة ، منها التوازن بين مصادر المعرفة. [64]

القرآن الكريم يتحدث عن القلب والقلوب ويعطي مفاهيم مهمة جداً عن ذلك، كما يرد في الآيات الكريمة:

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} ﴿النحل: ١٠٨﴾.

{وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القرآن وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا} ﴿الإسراء: ٤٦﴾.

[64] د. طه جابر العلواني: " نحو منهجية معرفية قرآنية: محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة، ص 72.

{وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا} ﴿الكهف: ١٤﴾.

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا} ﴿الكهف: ٥٧﴾.

{لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ } ﴿الأنبياء: ٣﴾.

{ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ} ﴿الحج: ٣٢﴾.

{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} ﴿الحج: ٣٥﴾.

{ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ }﴿الحج: ٤٦﴾ .

فاعتبار الوحي الإلهي المعجز الأصل الصادق المهيمن مصدر من مصادر المعرفة لا يلغي دور العقل الإنساني ، ولا يعطل دور الادراك كما أن وجود الكون لا يلغي دور العقل ، بل يفتح أمامه أبوابة للمعرفة لا يأتي عليها الحصر . البشري . فالوحي – وان كان أوثق المصادر وأقواها . له مجالاته وميادينه ، ومواضع همينته ، والكون والحياة والأحياء كذلك مصادر معرفة – بعد الوحي – لكل منها مجدانه والى كل مصدر من هذه المصادر وجه الانسان لتلقي المعرفة

، فهو مطالب بأن يتلقاها من كتاب الله المنزل القرآن وكتاب الله المفتوح الكون ، في تناسق وتوازن لا تشوبه شوائب التنافي أو التعارض والتصادم. [65]

ونجد أن القرآن تحدث عن الأذن بوصفها حاسة يتم تعطيل استخدامها بسبب عدم الإيمان، كما يرد في الآيات الكريمة الاتية :

{ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} ﴿الأنعام: ٢٥﴾.

{ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} ﴿الأعراف: ١٧٩﴾.

{ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ }﴿الأعراف: ١٩٥﴾ .

{وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القرآن وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا} ﴿الإسراء: ٤٦﴾ .

وذكر القرآن الكريم العين بوصفها حاسة من الحواس التي يستخدمها المؤمنون، ويعطل استخدامها غير المؤمنين ، من ذلك:

[65] د. طه جابر العلواني: " نحو منهجية معرفية قرآنية: محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة، ص 72.

{وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} ﴿المائدة: ٨٣﴾ .

{ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا} ﴿الكهف: ١٠١﴾.

ويقول الله سبحانه وتعالى: {كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (15) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (17) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ19) .

فالعقل أنور شيء والحمق أظلمه وقبل العاقل يعيش بعقله حيث كان كما يعيش الأسد بقوته اى ففى العقل قوة. القوة عقل ولهذا قال امير المؤمنين على رضى الله عنه: "وان العقل عقلان فمسموع ومطبوع ولا ينفع مطبوع إذا لم يك مسموع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع"، والى الاول أشار عليه السلام بقوله ما خلق الله شيئاً أكرم عليه من العقل والى الثاني أشار بقوله ما كسب أحد شيأ أفضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى. وهذا العقل هو المعنى بقوله تعالى: {وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾} (العنكبوت: 43)، وكل موضع ذم الذين لا يستخدمون عقلهم بعدم العقل فاشارة الى الثاني دون الاول وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فاشارة الى الاول انتهى وفي الحديث العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل.
66

[66] ينظر: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ): "روح البيان"، دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ، 9 / 422.

الخلاف بين العلماء في محل العقل هل هو القلب أو الدماغ؟ خلاف قديم، فالأطباء يرنه أن محل العقل الدماغ، الأطباء من المتقدمين والمتأخرين يرون أن محل العقل الدماغ؛ لأنه يتأثر العقل بتأثر الدماغ، ولا يتأثر بتأثر القلب؛ لأن القلب قد يصاب بمرض والعقل ثابت، فهما قولان والعلماء يرون أن النصوص الشرعية خطاب الشرع كله يتجه إلى القلب، جميع النصوص تتجه إلى القلب والعقل مناط التكليف، فدل على أن هناك ارتباطاً وثيقاً بينهما، وهنا {قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} [(46) سورة الحج] فدل أن العقل في القلب، والأدلة على ذلك كثيرةٌ جداً، وهذه حجة من يقول: أن العقل محله القلب، لكن إذا نظرنا إلى النصوص وجدنا أن النصوص الشرعية متجهة إلى القلب: ((ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله)) والنصوص كثيرة تدل على هذا، وهم يشترطون للتكاليف بل جاء في النص أن التكاليف معلقة بالعقل، وأن المجنون مرفوعٌ عنه القلم لا يكلف بشيء. والثالث للإمام أحمد –رحمه الله تعالى– يقول: "العقل محله القلب وله اتصال بالدماغ، فيتأثر بهذا وهذا، فإذا تأثر الدماغ تأثر العقل تأثر القلب تأثر العقل والأطباء الآن يذكرون أن العقل يبقى ثابت مع أن القلب سقيم جداً، وقد يكون العقل مفقود والقلب سليمٌ جداً، فهم يرون أنه لا ارتباط بهذا وهذا". [67]

والضابط الذي يضبط حركة الإنسان وعقله وتفكيره لا يمكن أن يكون هو العقل البشري وحده، فلا بد لهذا العقل الذي يضطرب تحت ضغط الأهواء والشهوات والنزعات– وهي شتى– من ضابط آخر يضبطه هو ذاته؛ ويحرسه بعد أن يضبطه من الخلل أيضا، ويرجع إليه هذا العقل بكل تجربة، وكل حكم في مجال الحياة البشرية؛ ليقوّم به تجربته وحكمه وليضبط به اتجاهه وحركته. فالذين يرون أن العقل يكفي ويستغني به الإنسان عن الوحي– حتى عند فرد واحد من

[67] عبد الكريم الخضير: "التعليق على تفسير القرطبي" مؤلف الأصل: أبو عبد الله محمد بن أحمد، شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 22 درسا] , 11/2.

البشر مهما بلغ عقله من الكبر– إنما يقولون في هذه القضية غير ما يقول الله .. لأن الله– سبحانه– يعلم أن العقل وحده يضل، وأن الفطرة وحدها تنحرف. وأنه لا عاصم لعقل ولا لفطرة، إلا أن يكون الوحي هو الرائد الهادي، وهو النور والبصيرة. فالله قد جعل حجته على الناس هي الوحي والرسالة، ولم يجعل هذه الحجّة هي عقلهم البشري، ولا حتى فطرتهم التي فطرهم الله عليها من معرفة ربها الواحد والإيمان به. فحياة الإنسان تتخللها الشهوات والأهواء والنزعات، ولذلك لا بد لها من ضابط يضمن أن تؤدي وظائفها في استمرار حياة البشرية وارتقائها، ولا تتعدى هذا الحد المضمون، فتؤدي إلى تدمير الحياة وانتكاسها. [68]

يقول تعالى: {لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ} أي أبصار العيون ثابتة لهم، {وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [(46) سورة الحج] أي عن ادراك الحق والاعتبار، وقال قتادة: البصر الناظر جُعل بلغة ومنفعة والبصر النافع في القلب، وقال قتادة وابن جبير: نزلت هذه الآية في ابن أم مكتوم الأعمى ... هذا كلام مجاهد، وأما في القلب عينين تبصران أمور الآخرة يكون العمى المذكور في الآية حقيقي لهاتين العينين، يكون العمى حقيقي {تَعْمَى الْقُلُوبُ} بمعنى أنه تذهب العينان المدركتان لما ينفعه في آخرته. وقال مجاهد: لكن عين أربع أعين، يعني لكل إنسان أربع أعين: عينان في رأسه لدنياه، وعينان في قلبه لآخرته فإن عميت عينا رأسه وأبصرت عينا قلبه فلم يضره عماه شيئاً، وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه فلم ينفعه نظره شيئاً. [69]

إن الإسلام منهج حياة يكفل للعقل البشري الضمانات التي تقيه عيوب تركيبه الذاتي، وعيوب الضغوط التي تقع عليه من الأهواء والشهوات والنزعات. ثم يقيم له الأسس، ويضع له

---

[68] سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ): "الأساس في التفسير"، دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، 1424 هـ، 3 / 1637.

[69] التعليق على تفسير القرطبي، مؤلف الأصل: أبو عبد الله محمد بن أحمد، شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 22 درسا] ، 12/2

القواعد تكفل له انطلاقه للعلم والمعرفة والتجربة، كما تكفل له استقامة الحياة الواقعية التي يعيش في ظلها-. فالواقع يشهد أن الحياة البشرية التي قامت أنظمتها على المذاهب الفلسفية أو على العلم، هي حياة بائسة وشقية يشقى فيها «الإنسان» مهما فتحت عليه الحياة من حوله؛ والذين يزعمون أن الفلسفة تغني العقل عن الدين؛ أو أن العلم- وهو من منتجات العقل- يغني البشرية عن هدى الله؛ إنما يقولون قولا لا سند له من الحقيقة ولا من الواقع كذلك .. ومهما تضاعف الإنتاج والإيراد؛ ومهما تيسرت أسباب الحياة ووسائل الراحة فيها على أوسع نطاق، وليس مقابل هذا أن تقوم الحياة على الجهل والتلقائية! فالذين يضعون المسألة هكذا مغرضون. [70]

لكن عمى القلب من هذا النوع، ليس بعمى حسي مثل عمى العيون لكنه عمى يقال له حقيقة في مقابل المجاز، هو استعمال شرعي حقيقة شرعية لا يقال: أنه مجاز، إنما هو حقيقة شرعية، وعمى العين تتضافر فيه الحقائق الثلاث: اللغوية والشرعية والعرفية. ولكن إذا قلنا: إن عمى القلب ليس المراد به ما يراد بعمى البصر، فعمى كل شيء بحسبه، يعني لو أن رجلاً وهو يمشي يضرب برجليه الحجارة وهو يمشي باستمرار ولا ينتبه قيل: إن رجليه عمياوان، فعماه بحسبه، على أساس أنه يقع فيما يقع فيه الأعمى ولو كان مبصراً، ويكون هذا استعمال حقيقي وإن كان الأصل والأكثر العمى في العيون. [71]

ويلاحظ الشيخ الشعراوي في خواطره التفسيرية للقران الكريم في تذييل الآيات مرة يقول سبحانه: {لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم: 21] ومرة {لِّلْعَالَمِينَ} [الروم: 22] أو {لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الروم: 24] ومرة {لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} [الروم: 23] فتختلف الأدوات الباحثة في الآيات. وحين يقول سبحانه:

---

[70] سعيد حوّى: "الأساس في التفسير"، 3 / 1637.

[71] عبد الكريم الخضير: "التعليق على تفسير القرطبي، مؤلف الأصل: أبو عبد الله محمد بن أحمد، شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس - 22 درسا] ، 12/2.

يعقلون يتفكرون يعلمون، حين يدعوك للتدبُّر والعِظَة إنما ينبه فيك أدوات المعارضة لتتأكد، والعقل هنا مهمته النظر في البدائل وفي المقدمات والنتائج. العقلاء يقولون: العقل كالمطية توصلك إلى حضرة السلطان، لكن لا تدخل معك عليه، وهكذا العقل أوصلك إلى الإيمان ثم انتهى دوره، فإذا ما سمعتَ قال الله فأنت اثق من صِدْق القول دون أنْ تُعمل فيه العقل. والبعض يرى أن العقل آلة يُعملها في كل شيء، فالعقل هو الذي يُصدِّق أو لا يُصدِّق، والحقيقة أنك تستعمل العقل في مسألة الدين مرة واحدة تُغنيك عن استعماله بعد ذلك، فأنت تستعمل العقل في أنْ تؤمن أو لا تؤمن، فإنْ هداك العقل إلى أن الكون له إله قادر حكيم خالق لا إله إلا هو ووثقتَ بهذه القضية، فإنها لا تطرأ على تفكيرك مرة أخرى، ولا يبحثها العقل بعد ذلك، ثم إنك في القضايا الفرعية تسير فيها على وَفْق قضية الإيمان الأولى فلا تحتاج فيها للعقل. [72]

لكن لدينا تصور مختلف عما يذهب إليه الشعراوي في موقفه السابق من العقل. نحن نرى أن المؤمن يحتاج إلى استخدام العقل دائماً في المجالات التي أمره الشرع باستخدامها. فقد أمر الشرع المؤمنين باستخدام العقل للتفكر في مجال عالم الشهادة حيث يمكن لعقولهم أن تدرك هذه المجالات لأنها في نطاق الحس .

لنتأمل مثلاً في قول الله سبحانه وتعالى الآتي:

{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ

[72] محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ): "تفسير الشعراوي – الخواطر"، مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997 م، 18 / 11376.

وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾} (البقرة: 164).

فنلاحظ أن الاية الكريمة تتضمنت أموراً من عالم الشهادة يمكن للعقل أن يتفكر فيها، من قبيل:

- خلق السموات والأرض.
- اختلاف الليل والنهار.
- الفلك التي تجري في البحر.
- الماء الذي ينزله الله من السماء.
- الدواب المبثوثة في الأرض.
- تصريف الرياح.
- السحاب المسخر بين السماء والأرض.

وذكر في نهاية الاية الكريمة التي أشارت إلى هذه الأمور المشاهدة قوله تعالى : {لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} لأن هذه الأمور من الممكن أن تدرك بالعقل لأنها تدخل في مجال امكاناته البحثية وقدراته على التأمل والبحث والتفكير .

بخلاف عالم الغيب حيث لا يمكن للعقل أن يتوغل فيه بالبحث العقلاني والتحليلي إذ أن ذلك العالم أصلاً خارج مجالات العقل. ولهذا نرى أن الله سبحانه وتعالى قد حدد الوسيلة المناسبة

للتعامل مع الغيب وهي الإيمان التي هي التصديق القلبي، قال تعالى: {ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ } (البقرة: 1 – 5) .

فالموفقون للحصول على الهداية التي جاء بها كتاب الله من أوصافهم أنهم يؤمنون بالغيب، وهنا لم يقل القرآن يفكرون بالغيب أو يعقلون الغيب بل قال {يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ } إذ أن الوسيلة الصحيحة الوحيدة للتعامل مع الغيب هي التي أشار اليها القرآن الكريم وهي الإيمان والتصديق.

وخلاصة البحث أن الأدلة نوعان: شرعية، وعقلية. وبشكل عام، فإنه من آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم إيماناً تاماً، وعلم مراد الرسول صلى الله عليه وسلم قطعاً تيقن ثبوت ما أخبر به، وعلم أن ما عارض ذلك من الحجج فهي حجج واهية ومعارضة بالحجج الشرعية القوية من قبيل شبه السوفسطائية، كما قال تعالي {والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد} الشورى: 16 . [73]

إن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغ البلاغ المبين، ووضح مراده، وأن كل ما في القرآن والحديث من لفظ يقال فيه إنه يحتاج إلى التأويل الاصطلاحي الخاص الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره، فلا بد أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد بين مراده بذلك اللفظ بخطاب آخر،

[73] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "درء تعارض العقل والنقل"، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991 م، 1/ ص 19- 21.

فلا يجوز أن يتكلم بالكلام الذي مفهومه ومدلوله باطل، ويسكت عن بيان المراد الحق، ولا يجوز أن يريد من الخلق أن يفهموا من كلامه ما لم يبينه لهم ويدلهم عليه، لإمكان معرفة ذلك بعقولهم[74].

قال تعالى {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم} التوبة 128، وقال {إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾} (النحل: 37)، وقد أوجب الله عليه البلاغ المبين، وأنزل عليه الكتاب ليبين للناس ما نزل إليهم، فلا بد أن يكون بيانه وخطابه وكلامه أكمل وأتم من بيان غيره. فالرسول صلى الله عليه وسلم بلغ البلاغ المبين الذي هدى الله به العباد وأخرجهم به من الظلمات إلي النور، وفرق الله به بين الحق والباطل، وبين ما يستحقه الرب من الأسماء والصفات وما ينزه عنه من ذلك، وبين الهدي والضلال، وبين الرشاد والغي، حتى أوضح الله به السبيل، وأنار به الدليل، وهدى به الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

75

مصدر التفكير:

وقال تعالى: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً فَما أَغْنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ} [الْأَحْقَافِ: 26] جعل هذه الثلاثة تمام ما ألزمهم من حجته، والمقصود من ذلك هو الفؤاد القاضي فيما يؤدي إليه السمع والبصر وخامسها: وقال: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِها} [الْأَعْرَافِ: 179] وجه الدلالة أنه قصد إلى نفي العلم عنهم رأسا، فلو ثبت العلم في غير القلب كثباته في القلب لم

[74] درء تعارض العقل والنقل، 1/ ص 22- 23.

[75] درء تعارض العقل والنقل، 1/ ص 23 -24.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يتم الغرض فهذه الآيات ومشاكلها ناطقة بأجمعها أن القلب هو المقصود بإلزام الحجة، وقد بينا أن ما قرن بذكره من ذكر السمع والبصر فذلك لأنهما آلتان للقلب في تأدية صور المحسوسات والمسموعات، قوله تعالى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ} [الْبَقَرَةِ: 7] فجعل العذاب لازما على هذه الثلاثة. [76]

وقوله عليه الصلاة والسلام: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب". وأما المعقول فوجوه: أحدها: أن القلب إذا غشي عليه فلو قطع سائر الأعضاء لم يحصل الشعور به وإذا أفاق القلب فإنه يشعر بجميع ما ينزل بالأعضاء من الآفات فدل ذلك على أن سائر الأعراض النفسانية وثانيها: أن معدن العقل هو القلب وإذا كان كذلك كان الآمر المطلق هو القلب، وثالثها: أن القلب إذا فرح أو حزن فإن حال الأعضاء يتبدل عند ذلك، وهكذا الحال في باقي الأعراض النفسانية، وثالثها: أن القلب مصدر المشاق الباعثة على الأفعال الصادرة من سائر الأعضاء وإذا كانت المشاق مبادئ للأفعال ومنبعها هو القلب كان الآمر المطلق هو القلب. [77]

فالعلوم الكسبية لا يمكن اكتسابها إلا بواسطة العلوم البديهية. وحصول هذه العلوم البديهية إنما يحصل عند حدوث تصور موضوعاتها وتصور محمولاتها. وحدوث هذه التصورات إنما هو بسبب إعانة الحواس على جزئياتها، فكانت الحواس الخمس هي السبب الأصلي لحدوث هذه العلوم، وكان السمع والبصر أول الحواس تحصيلاً للتصورات وأهمها. وإلى النظريات وتسمى الكسبيات، وهي العلم بانتساب أحد المعلومين إلى الآخر بعد حركة العقل في الجمع بينهما أو

---

[76] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ): "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420 هـ، 24 / 531.

[77] الرازي: ""مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، 24 / 531.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التفريق، مثل أن يحضر في العقل: أن الجسم ما هو، وأن المحدث- بفتح الدال- ما هو. فإن مجرد هذين التصورين في الذهن لا يكفي في جزم العقل بأن الجسم محدث بل لا بد فيه من علوم أخرى سابقة وهي ما يدل على المقارنة بين ماهية الجسمية وصفة الحدوث. وللعقل إدراك آخر وهو إدراك اقتران أحد المعلومين بالآخر، وهو التصديقات المنقسمة إلى البديهيات: ككون نفي الشيء وإثباته من سائر الوجوه لا يجتمعان، وككون الكل أعظم من الجزء. [78]

ذهب طائفة من القدماء إلى أن معدن العقل هو الدماغ والذي يدل على قولنا وجوه: الأول: قوله: {إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ} [ق:37] وقوله: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِها} [الْأَعْرَافِ: 179]، أي عقل، أطلق عليه اسم القلب لما أنه معدنه الثاني: أنه تعالى أضاف أضداد العلم إلى القلب، قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها} [الْحَجّ: 46]،وقال: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} [البقرة: 10] ، وقولهم: {قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ} [النِّسَاءِ: 155] ، {خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ} [البقرة: 7]، وقوله تعالى: {يَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِي قُلُوبِهِمْ} [التَّوْبَةِ: 64] ، {يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} [الْفَتْحِ: 11]، {كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ} [الْمُطَفِّفِينَ: 14] ، {فَإِنَّها لَا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الْحَجّ: 46] ، {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها} [مُحَمَّدٍ: 24]، فدلت هذه الآيات على أن موضع الجهل والغفلة هو القلب فوجب أن يكون موضع العقل والفهم أيضاً هو القلب. وكذلك: وهو أن القلب أول الأعضاء تكوناً، وآخرها موتاً، وقد ثبت ذلك بالتشريح ولأنه متمكن في الصدر الذي هو أوسط الجسد، ومن شأن الملوك المحتاجين إلى الخدم أن يكونوا في وسط المملكة لتكتنفهم الحواشي من الجوانب فيكونوا أبعد من الآفات. وأيضاً أنا إذا جربنا أنفسنا وجدنا علومنا حاصلة في القلب، ولذلك فإن الواحد منا إذا أمعن في التفكير وأكثر منه أحس من قلبه ضيقاً

[78] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ): "التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»"، الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: 1984 هـ، 14 /233.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وضجراً حتى كأنه يتألم بذلك، وكل ذلك يدل على أن موضع العقل هو القلب، وإذا ثبت ذلك وجب أن يكون المكلف هو القلب لأن التكليف مشروط بالعقل والفهم. [79]

والعقل بالملكة إنما يخرج بالقوّة إلى الفعل فالفكر والحدس والشجرة الزيتونة إشارة إلى الحدس ويكاد زيتها يضيء إشارة إلى القوّة القدسية فإن قلت هذا لا ينطبق على النظم لأنه وصف الشجرة بتلك الصفات وهذه أمور متباينة لا يجوز وصف أحدها بالآخر. إن هناك استعداداً محضاً واستعداد اكتساب واستعداد استحضار وحصول ولا شك أنّ استعداد الاكتساب بحسب الاستعداد المحض واستعداد الاستحضار بحسب استعداد الاكتساب فتكون الزجاجة وهي عبارة عن العقل بالملكة إنما هي في المشكاة وهي العقل الهيولاني والمصباح وهو العقل بالفعل في الزجاجة التي هي العقل بالملكة لأنه إنما يحصل باعتبار هو حصول العقل أولاً.ويؤدي العقل دوراً (في قبول صور المدركات) وحفظها لها كالزجاجة القابلة للأشعة المنعكسة وضبطها للأنوار ولحفظها المدركات الحس المشترك، وهنا إشارة إلى قوى النفس النظرية ومرتبتها من البداية إلى النهاية لأنها أمّ استعداد الكمال أو نفس الكمال والاستعداد إمّا ضعيف أو متوسط أو قوفي فالضعيف استعداده للمعقولات الأولى كالطفل للكتابة وهو العقل الهيولاني والمتوسط، استعداده للمعقولات الثانية بعد الأولى كالأمي لتعلم الكتابة وهو العقل بالملكة وحصول المعقولات الثانية إمّا بحركة من الذهنية وهو حصول بالفكر أو بحركة الذهن وهو حصول بالحدس ويدخل فيه التعلم. والاستعداد القوفي استعداد المعقولات الثانية بعد حصولها كاستعداد القادر على الكتاب وهو العقل بالفعل والكمال حصول المعقولات الثانية وهو العقل المستفاد. [80]

---

[79] الرازي: ""مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، 24 / 531.

[80] شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ): "حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوي"، دار صادر – بيروت، 6 / 383.

ويبين الرازي أن من جملة العضو المسمى قلباً وفؤاداً موضعا هو الموضع في الحقيقة للعقل والاختيار، وأن معظم جرم هذا العضو مسخر لذلك الموضع، كما أن سائر الأعضاء مسخرة للقلب، فإن العضو قد تزيد أجزاؤه من غير ازدياد المعاني المنسوبة إليه أعني العقل والفرح والحزن وقد ينقص من غير نقصان في تلك المعاني، فيشبه أن يكون اسم القلب اسما للأجزاء التي تحل فيها هذه المعاني بالحقيقة، واسم الفؤاد يكون اسما لمجموع العضو.ويضيف الرازي إلى معاني القلوب أنها قد تضاف إلى الصدر تارة وإلى الفؤاد أخرى، أما الصدر فلقوله تعالى: {وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ }[العاديات: 10]، وقوله تعالى: {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ} [هود: 5] ،وقوله: {وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ} [آل عمران: 154]، {وإِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ} [آل عمران: 29] وأما الفؤاد فقوله: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصارَهُمْ }[الأنعام: 110] ومن الناس من فرق بين القلب والفؤاد فقال: القلب هو العلقة السوداء في جوف الفؤاد دون ما يكتنفها من اللحم والشحم، ومجموع ذلك هو الفؤاد ومنهم من قال القلب والفؤاد لفظان مترادفان. [81]

وهكذا ف"الدين والشرع لا يأتي بالمحال... فالعقل الصريح لا يمكن أن يناقض النقل الصحيح، والمقصود بالعقل العقل الباقي على فطرته، أما العقول التي لعبت بها الأهواء واجتالتها الشياطين، هذا لا عبرة بها، لا عبرة بها، المعول على العقل الباقي على فطرته ." [82]

والعقل: "المنع ومنه عقال البعير لأنه يمنع عن الحركة، ومنه العقل للدية لأنه يمنع ولي المقتول عن قتل الجاني ومنه اعتقال البطن واللسان ومنه يقال للحصن: معقل. والعقل. نقيض

---

[81] الرازي: "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، 24 / 532.

[82] عبد الكريم الخضير: "التعليق على تفسير الجلالين"، مؤلف الأصل: جلال الدين المحلي (محمد بن أحمد) (المتوفى: 864هـ)، وجلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) (المتوفى: 911هـ) الشافعيان، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، لألكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 27 درسا].

الجهل". وقد اتفق المحققون على أن العقل كائن موجود ليس بقديم ولا معدوم لأنه لو كان معدوماً لما اختص بالإنصاف به بعض الذوات دون بعض وإذا ثبت وجوده فيستحيل القول بقدمه، إذ الدليل قد قام على أن لا قديم إلا الله تعالى. وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري والأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني وغيرهما من المحققين العقل هو العلم بدليل أنه لا يقال عقلت وما علمت أو علمت وما عقلت وقال القاضي أبو بكر العقل علوم ضرورية بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو اختيار أبي المعالي في الإرشاد واختار في البرهان أنه صفة يتأتى بها درك العلوم واعترض على مذهب القاضي واستدل على فساد مذهبه وحكي في البرهان عن المحاسبي أنه قال: "العقل غريزة".وقال الزجاج: "العاقل من عمل بما أوجب الله عليه فمن لم يعمل فهو جاهل". وقد ذهبت الفلاسفة إلى أن العقل قديم ثم منهم من يرى أنه جوهر لطيف في البدن ينبث شعاعه منه بمنزلة السراج في البيت يفصل به بين حقائق المعلومات. ومنهم من قال إنه جوهر بسيط أي غير مركب. ثم اختلفوا في محله فقالت طائفة منهم: محله الدماغ لأن الدماغ محل الحس. وقالت طائفة أخرى محله القلب لأن القلب معدن الحياة ومادة الحواس. وهذا القول في العقل بأنه جوهر فاسد من حيث إن الجواهر متماثلة فلو كان جوهر عقلاً لكان كل جوهر عقلاً. وقيل: "إن العقل هو المدرك للأشياء على ما هي عليه من حقائق المعاني". وهذا القول وإن كان أقرب مما قبله فيبعد عن الصواب من جهة أن الإدراك من صفات الحي والعقل عرض يستحيل ذلك منه كما يستحيل أن يكون ملتذاً ومشتهياً. [83]

عند جمهور النظار أن مسألة الحكم العقلي ثلاثة أقسام:

[83] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ): "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م، 1 / 370.

الأول: الواجب عقلاً.

الثاني: المستحيل عقلاً.

الثالث: الجائز عقلاً، وبرهان الحصر الحكم العقلي في الثلاثة المذكورة، أن الشيء من حيث هو شيء، لا يخلو من واحدة من ثلاث حالات: إما أن يكون العقل يقبل وجوده، ولا يقبل عدمه بحال. وإما أن يكون يقبل وجوده وعدمه معاً، وإما أن يكون يقبل عدمه ولا يقبل وجوده بحال. فإن كان العقل يقبل وجوده دون عدمه، فهو الواجب عقلاً، وذلك كوجود الله تعالى متصفاً بصفات الكمال والجلال، فإن العقل السليم لو عرض عليه وجود خالق هذه المخلوقات لقبله، ولو عرض عليه عدمه وأنها خلقت بلا خالق، لم يقبله، فهو واجب عقلا، وأما إن كان العقل يقبل وجوده وعدمه معا، فهو الجائز العقلي، ويقال له الجائز الذاتي، وذلك كإيمان أبي لهب، فإنه لو عرض وجوده على العقل السليم لقبله، ولو عرض عليه عدمه بدل وجوده لقبله أيضاً، كما لا يخفى، فهو جائز عقلاً جوازاً ذاتياً، ولا خلاف في التكليف بهذا النوع الذي هو الجائز العقلي الذاتي. وأما إن كان يقبل عدمه، دون وجوده، فهو المستحيل عقلا ; كشريك الله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، فلو عرض على العقل السليم عدم شريك لله في ملكه، وعبادته لقبله، ولو عرض عليه وجوده لم يقبله بحال ; كما قال تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [21 \ 22] ، وقال: {إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} [23 \ 91] ، فهو مستحيل عقلاً. [84]

وقوله جل وعلا: {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} جملة حالية يعني: أنهم سمعوا كلام الله فحرفوه بعد أن أدركوه بعقولهم وفهموه، والحال أنهم يعلمون أنهم حرفوه وافتروا على الله، فمن [كان] بهذه المثابة

[84] محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ): "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995 مـ، 5 / 523.

لا يطمع أحد في إيمانه. والعقل الصحيح هو الذي يعقل صاحبه عن الوقوع فيما لا ينبغي، كما قال (جل وعلا) عن الكفار: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك: آية 10] أما العقل الذي لا يزجر عما لا ينبغي فهو عقل دنيوي يعيش به صاحبه، وليس هو العقل بمعنى الكلمة. والتحقيق أن العقل في القلب كما دل عليه الوحي، [والذين قالوا: إن العقل في] الدماغ استدلوا: بأن كل ما يؤثر على الدماغ يؤثر على العقل. وهذا لا دليل فيه، لإمكان أن يكون العقل في القلب – كما هو الحق – وسلامته مشروطة بسلامة الدماغ، وهذا لا إشكال فيه. [85]

وقد اختلف الناس في محل العقل من الإنسان، فمذهب بعض الأئمة من المتكلمين أنه في القلب وإليه صار جمهور الفلاسفة. ويحكى عن أرسطاطاليس وهو رئيس الفلاسفة، وقالت الأطباء: إنه في الدماغ، ويحكى هذا عن أبي حنيفة.. وأمَّا الأطباء فإنما عُمْدَتُهُمْ على أن الدماغ يفسُد فيفسُد العقل ويكون منه الصرع والهَوَس عندهم. ويتغير مزاجه فيتغير العقل ويكون منه عندهم المالنخونيا، وغير ذلك من العلل التي يسمونها، فاقتضى ذلك عندهم كون العقل في الدماغ. ولا حجة لهم في هذا لأن الله سبحانه قد يُجري العادة بفساد العقل عند فساد الدماغ وإن لم يكن العقل فيه لا سيما على أصولهم في الاشتراك الذي يذكرونه في كتبهم بين الدماغ والقلب (نعم وهم)، يجعلون بين رأس المعدة والدّماغ اشتراكاً. وقد احتج بعض الأئمة من المتكلمين على أنه في القلب بقوله سبحانه وتعالى: {فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} (83) الآية. فأضاف العقل إلى القلب وقال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ} (84). واحتجوا أيضا بهذا الحديث وقد جعل النبيء – صلى الله عليه وسلم – صلاح الجسد كلِّه وفساده كلِّه تابعا للقلب، والدّماغُ

[85] محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ): "العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ"،المحقق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، 1426 هـ، 1 / 161.

من جملة الجسد، فاقتضى ظاهر الحديث كون فساده وصلاحه تبعًا للقلب. وهذا يدل على أنه ليس بمحلّ للعقل. [86]

[86] أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (المتوفى: 536هـ): "المُعْلم بفوائد مسلم"، المحقق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة، الطبعة: الثانية، 1988 م، والجزء الثالث صدر بتاريخ 1991م، 2 / 314.

الحكمة الثالثة

القراءة والكتابة

(اقرأ باسم ربك)...(الذي علم بالقلم)

نزول الوحي:

قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾} (الفلق: 1 – 5).

تشكل اللحظات الأولى لنزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم البداية من اجل انبعاث المفهوم التوحيدي من جديد، بعد أن اندرس هذا المفهوم، فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم لكي يعيد تجديد مفهوم وعقيدة التوحيد التي جاء بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من جديد.

وبين السيوطي في كتابه "الإتقان"، أن أول سورة اقرأ قد ضم نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها أول ما نزل من القرآن، فإن فيها الأمر بالقراءة، وفيها البدء باسم الله، وفيها الإشارة إلى علم الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل، وفي هذا الإشارة إلى أصول الدين وفيها ما يتعلق بالإخبار من قوله (علم الإنسان ما لم يعلم)، ولهذا قيل إنها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله، والتعرض لعنوان الربوبية المخبر عن التربية والتبليغ إلى الكمال اللائق شيئاً

فشيئاً مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وآله وسلم للإشعار بتبليغه صلى الله عليه وآله وسلم إلى الغاية الشاملة من الكمالات، البشرية، قاله أبو السعود. ثم وصف الرب بقوله (الذي خلق) لتذكير أول النعم الفائضة عليه منه تعالى، لأن الخلق هو أعظم النعم وعليه يترتب سائر النعم، قال الكلبي: "يعني الخلائق" وفيه تنبيه على أن من قدر على خلق الإنسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات قادر على تعليم القراءة. [87]

ولذلك نجد الإمام البخاري يبتدأ "الجامع الصحيح" بالرواية للأحاديث التي تحدثت عن نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سياق الفهم لقول الله تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} [النساء: 163]}. فروى الحديث الآتي:

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: " فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ} [العلق: 2] " فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت

[87] أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ): "فتحُ البيان في مقاصد القرآن"، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: 1412 هـ – 1992 م، 15 / 310.

خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو مخرجي هم»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي. [88]

أهمية القراءة:

{خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾} (العلق: 2)، يعني بني آدم، والعلقة الدم الجامد، وإذا جرى فهو المسفوح، وتخصيص الإنسان بالذكر تشريفاً له لما فيه من بديع الخلق وعجيب الصنع، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، (اقرأ) أي افعل ما أمرت به من القراءة وجملة (وربك الأكرم) مستأنفة لإزاحة ما اعتذر به صلى الله عليه وسلم من قوله (ما أنا بقارىء)، يريد أن القراءة شأن من يكتب ويقرأ، وهو أمي فقيل له {اقْرَأْ وَرَبُّكَ}، الذي أمرك بالقراءة هو الأكرم، قال الكلبي يعني الحليم عن جهل العباد فلم يعجل بعقوبتهم. وقيل إنه أمره بالقراءة أولاً لنفسه ثم أمره بالقراءة ثانياً للتبليغ، فلا يكون

[88] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي:" الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه "، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ، 1/ 6-7.

من باب التأكيد والأول أولى، والأكرم صفة تدل على المبالغة في الكرم إذ كرمه يزيد على كل كرم، لأنه ينعم بالنعم التي لا تحصى. [89]

وإذا كانت الآيات الأولى التي نزلت من القرآن الكريم تبشير الى القرآن فهذا، والله أعلم، من الأمور الاعجازية في الكتاب الحكيم أن يكون قد نبه على أهمية القراءة أول نزوله. وبذلك يكون القرآن الكريم قد سبق كل الدراسات المعاصرة في الإشارة إلى أهمية القراءة. وبالرغم من كون النبي صلى الله عليه وسلم كان امياً حين نزلت عليه هذه الآيات المباركات، ولكن جاء الأمر الرباني بالقراءة تنبيهاً على عظم أهميتها الفائقة.

تحاول الدراسات المعاصرة اثبات أهمية القراءة بالنسبة للطفل مثلاً في تطوير ملكاته وقدراته. وفِي كتابها الموسوم : "حب القراءة"، تضع ماري ليونهاردت 99 طريقة من أجل مساعدة أطفالنا على حب القراءة، وتؤكد أن على الأطفال أن يحبوا القراءة ليصبحوا قراء ممتازين، فإن أحبوها فسوف يمضون وقتاً كبيرة في القراءة، ويتم ذلك بالتدرب عليها. وبالنسبة لها فإن القراء الشغوفين يكتسبون حساً لغوياً أفضل، فيتحدثون بشكل أفضل، ويكتبون بشكل أفضل، ويغدو سلوكهم أفضل . والقراءة توسع الحصيلة المعرفية لدى الأطفال، مما يجعل تعلمهم أيسر، كما أن القراء الشغوفين في مرحلة الدراسة الثانوية يكتسبون المهارات التعليمية اللازمة لهم ، ليبدعوا في أي منهج دراسي يتطلب قدرة كبيرة من القراءة. إن ملكة القراءة الممتازة تمكن الأطفال من تحمل الصدمات والمشكلات الشخصية دون تأثر إمكانياتهم الأكاديمية الدراسية، إذ يستطيعون المتابعة

[89] القِنَّوجي: " فتحُ البيان في مقاصد القرآن"، 15/ 310- 311.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بقليل من وقتهم وطاقتهم ، وعلى عكس ذلك فإن أية صدمة أو أزمة كافية للقضاء على إمكانيات الطفل قليل القراءة . [90]

وتشير ماري ليونهاردت أن قراءة الطفل بشغف وحب واهتمام تعطيه قدرة على التخيل وبعد النظر ، فبعد أن يرى الحياة من خلال وصف كثير من الكتاب لها ، ستتوفر لديه طرق عدة للنظر في المواقف، ويصبح قادراً على رؤية الجوانب المختلفة للأمور. والقراء الشغوفون يطلعون على عالم مليء بالفرص والاحتمالات، فقد يقرأ أحدهم قصة أخرى تثير فيه حب الطيران مثلاً، ومهما كان عالم الطفل محدوداً فإن القراءة تجعله ينطلق إلى أي مكان يريد، ويحلم بأي شيء يحب . والقراءة تعود الطفل على العطف والمحبة ، والعطف يمكنه من فهم وجهات نظر الآخرين ، ثم إن القراءة تكشف للطفل حياة ألوف الشخصيات المختلفة فيفهم منها أنماط الحياة وتعقيداتها ، والقراءة بشغف تنمي لدى الطفل ملكة التفكير السليم بعكس الاستماع ، إذ تأتي المعلومات على شكل نبرات صوتية ، والقراءة تعود الطفل متابعة المناقشات المعقدة ، واستيعاب القضايا متشعبة الجوانب . إن حب القراءة من المتع الرئيسة في الحياة ، وبدون هذه المنع تكون الحياة أكثر رقابة دون شك. [91]

إن القراءة أهم وسيلة لاكتساب المعرفة ، وهي أحد أهم شروط التقدم الحضاري ؛ فينبغي علينا ألا نقصر بأي جهد يتطلبه تعميم القراءة في حياتنا الشخصية ، وفي حياة الأمة عامة ؛ فالمسألة ليست من الأمور الكمالية ولا الترفيهية ، وإنما هي مسألة مهمة للغاية، فيتعين أن نجعل (القراءة) إحدى مفردات أعمالنا اليومية ، وذلك يقتضي تغييرات جوهرية في سلوكاتنا وعاداتنا

[90] ماري ليونهاردت: "حب القراءة: 99 طريقة لجعل الأطفال يحبون القراءة"، نقله إلى العربية بتصرف ابرهيم الغمري، محمد جمال عمرو، بيت الأفكار الدولية، عمان – الرياض، ص 10.

[91] ماري ليونهاردت: "حب القراءة: 99 طريقة لجعل الأطفال يحبون القراءة"، ص 10- 11.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

، كما يتطلب توفير المال والوقت ، وقبل ذلك الأهداف والدوافع . ومع كل ما في ذلك عناء ومشقة ، إلا أنه لا خيار آخر أمامنا ، وعلينا ما دمنا نود أن نحيا الحياة التي تليق بكرامة المسلم وغايات وجوده على هذه الأرض أن نتحمل أعباء ذلك عن طيب خاطر[92].

"إن اصطحاب الكتاب وجعل القراءة أحد برامجنا اليومية ، أسوة بسائر أعمالنا الأخرى التي هي من ضرورات الحياة ... يعد أمراً هاماً في تكويننا العلمي والثقافي ، وهذا يحتاج منا إلى إعادة صياغة أوقاتنا من جديد ، وترتيب الأولويات والمهمات فيها على نحو لا قصور فيه ولا اعوجاج. " [93]

{الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4)} أي علم الإنسان الخط بالقلم فكان بواسطة ذلك يقدر على أن يعلم كل مكتوب، قال الزجاج علم الإنسان الكتابة بالقلم قال قتادة: بالقلم نعمة من الله عز وجل عظيمة لولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش، فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من الفوائد العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو، وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي ما استقامت أمور الدين ولا أمور الدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا القلم والخط لكفى به، وسمي قلماً لأنه يقلم أي يقطع وأول من خط به إدريس. {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)} وقيل الإنسان هنا هو رسول الله صلى الله عليه

[92] د. عبد الكريم بكار: " القراءة المثمرة: مفاهيم واليات"، ط ، 6، دار القلم، دمشق ، الدار الشامية، بيروت، 1429 هـ – 2008م، ص 16.

[93] فهد الحمود: "قراءة القراءة"، ط 2، العبيكان، الرياض، 1427– 2006، ص 17.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسلم، والأولى حمل الإنسان على العموم، والمعنى أن من علمه الله سبحانه من هذا الجنس بواسطة القلم فقد علمه ما لم يعلم. [94]

أهمية الكتابة:

تأتي أهمية الكتابة لكونها وسيلة كبرى من وسائل المعرفة، وأداة هامة لإيصال المعاني، وتؤدي بما تؤدي به الألفاظ في ايراد الأهداف والمرادات. ولذلك لا يخفى على المفكر أهمية الكتابة والتزام المسلمين بها في دينهم ودنياهم.

فقد اعتمد السلف من الصحابة الكرام على الكتابة، فصدرت موافقتهم بالإجماع على تدوين كتاب الله عز وجل الذي هو المصدر الأساس للمسلمين. كما أن المصدر الثاني من الحكمة والتشريع أي السنة النبوية قد وصل إلينا مدوناً ومكتوباً وقد حفظته كتب السنن. وصدق الإمام ابن القيم رحمه الله حين قال: "ولو لم يعتمد على ذلك- أي الكتابة- لضاع الإسلام اليوم، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليس بأيدي الناس- بعد كتاب الله- إلا هذه النسخ الموجودة من السنن، وكذلك كتب الفقه الاعتماد فيها على النسخ ." [95]

[94] القِنَّوجي: " فتحُ البيان في مقاصد القرآن"، 15/ 311- 312.

[95] عوض عبد الله أبو بكر: "نظام الإثبات في الفقه الإسلامي"، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 64/109-63.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفصل الثاني

القران والتوحيد

الحكمة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

عن عامر قال: كان النبيّ صلّى الله عليه وسلم يكتب: باسمك اللهم فلما نزل في سورة هود بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَمُرْساها [هود: 41] كتب: بسم الله فلما نزل في سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ [الإسراء: 110] كتب بسم الله الرحمن فلما نزل في سورة النمل إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ [النمل: 30] كتب: بسم الله الرحمن الرحيم.

ففي هذا الخبر دليل على أنه ليس من أول كل سورة، ولكنه بعض آية من كتاب الله تعالى من سورة النمل. فأما تفسير قوله: بِسْمِ اللَّهِ، يعني: بدأت باسم الله.... وقال بعضهم: معنى قوله بِسْمِ اللَّهِ، يعني: بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته، وهذا تعليم من الله تعالى لعباده، ليذكروا اسم الله تعالى عند افتتاح القراءة وغيرها، حتى يكون الافتتاح ببركة اسم الله تعالى. [96]

وقيل أيضا: سمي اللَّهِ لأنه يوله قلوب العباد بحبه.

---

[96] أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 375هـ): "بحر العلوم"، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1413 هـ - 1993م، 1 / 75.

وأما «الرحمن» فالعاطف على جميع خلقه بالرزق لهم، ولا يزيد في رزق التقيّ لأجل تقاه، ولا ينقص من رزق الفاجر لأجل فجوره. وأما «الرحيم» فالرفيق بالمؤمنين خاصة، يستر عليهم ذنوبهم في الدنيا، ويرحمهم في الآخرة، ويدخلهم الجنة. وقيل أيضا: إنما سمى نفسه رحيما، لأنه لا يكلف عباده جميع ما يطبقون، وكل ملك يكلف عباده جميع ما يطيقون، فليس برحيم. [97]

عن عبد الله بن عباس، قال: إنَّ أول ما نزل به جبريلُ على محمد، قال: "يا محمد، قُل: أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم" ثم قال: "قل بسم الله الرحمن الرحيم". قال: قال له جبريل: قل بسم الله يا محمد، يقول: اقرأ بذكر الله ربك، وقم واقعد بذكر الله. إن المقصودَ إليه من معنى ذلك غيرُ ما توهَّمته في نفسك. وإنما معنى قوله "بسم الله": أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء، أو أقرأ بتسميتي اللهَ، أو أقوم وأقعد بتسميتي اللهَ وذكرِه – لا أنه يعني بقِيلِه "بسم الله": أقوم بالله، أو أقرأ بالله، فيكونَ قولُ القائل: أقرأ بالله، أو أقوم أو أقعد بالله – أولى بوجه الصواب في ذلك من قوله "بسم الله". وكذلك معنى قول القائل عند ابتدائه بتلاوة القرآن: "بسم الله الرحمن الرحيم"، إنما معناه: أقرأ مبتدئًا بتسمية الله، أو أبتدئ قراءتي بتسمية الله. فجُعِل "الاسمُ" مكان التسمية، كما جُعل الكلامُ مكان التكليم، والعطاءُ مكان الإعطاء. [98]

يقول الأستاذ النورسي: "«بسم الله» رأس كل خير وبدء كل أمر ذي بال، فنحن أيضًا نستهل بها.

فيا نفسي إعلمي! ان هذه الكلمة الطيبة المباركة كما أنها شعار الإسلام، فهي ذكر جميع الموجودات بألسنة أحوالها...نعم! إن هذه الكلمة الطيبة ((بسم الله)) كنز عظيم لا يفنى أبدًا، إذ

---

[97] أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ): "بحر العلوم"، 1 / 14.

[98] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 1 / 115 – 117.

بها يرتبط((فقرك)) برحمة واسعة مطلقة أوسع من الكائنات، ويتعلق ((عجزك)) بقدرة عظيمة مطلقة تمسك زمام الوجود من الذرات إلى المجرات، حتى انه يصبح كل من عجزك وفقرك شفيعين مقبولين لدى القدير الرحيم ذي الجلال. ان الذي يتحرك ويسكن ويصبح ويمسي بهذه الكلمة ((بسم الله)) كمن انخرط في الجندية؛ يتصرف باسم الدولة ولا يخاف أحدًا، حيث انه يتكلم باسم القانون وباسم الدولة، فينجز الاعمال ويثبت امام كل شيء". [99]

وَأخرج ابْن أبي دَاوُد فِي الْبَعْث عَن أم خَالِد بن خَالِد بن سعيد بن الْعَاصِ قَالَ: إِنِّي أول من كتب {بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم}.

وَأخرج الْخَطِيب فِي تالي التَّلْخِيص عَن أنس مَرْفُوعا من رفع قرطاسا من الأَرْض فِيهِ {بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم} إجلالا لَهُ أَن يداس كتب عِنْد الله من الصديقين وخفف عَن وَالِديهِ وَإِن كَانَا كَافِرين.

وَأخرج أبوداود فِي مراسيله عَن عمر بن عبد الْعَزِيز أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مر على كتاب فِي الأَرْض فَقَالَ لفتى مَعَه مَا فِي هَذَا قَالَ {بِسم الله} قَالَ: لعن من فعل هَذَا لاتضعوا {بِسم الله} إِلَّا فِي مَوْضِعه. [100]

ويقول الرازي:

[99] النورسي: كليات رسائل النور: "الكلمات"، ترجمة احسان قاسم الصالحي، الكلمة الأولى، من الرابط الآتي: http://www.iqra.rasaelalnour.com/2017/06/08/الكلمة-الأولى/

[100] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): "الدر المنثور"، الناشر: دار الفكر - بيروت)، 1 / 29.

إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا عند البدء في أعمال الخير يبتدئون بذكر بسم الله، وكذلك فعل رسولنا صلى الله عليه وسلم ذلك، وينبغي أن نعمل مثل عمله عليه الصلاة والسلام وإذا ثبت كل ذلك ثبت أن (بسم الله الرحمن الرحيم) آية من سورة الفاتحة، وذكر في المقدمة الأولى أن نوحاً عليه السلام لما أراد ركوب السفينة قال: {وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ} [هود: 41] وأن سليمان لما كتب إلى بلقيس كتب (بسم الله الرحمن الرحيم)، فإن قيل: أليس أن قوله تعالى: {إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾} [النمل: 30] يدل على أن سليمان قدم اسم نفسه على اسم الله تعالى؟ قلنا: معاذ الله أن يكون الأمر كذلك، وذلك لأن الطير أتى بكتاب سليمان ووضعه على صدر بلقيس، وكانت المرأة في بيت لا يقدر أحد على الدخول فيه لكثرة من أحاط بذلك البيت من العساكر والحفظة، فعلمت بلقيس أن ذلك الطير هو الذي أتى بذلك الكتاب، وكانت قد سمعت باسم سليمان، فلما أخذت الكتاب قالت هي من عند نفسها: إنه من سليمان، فلما فتحت الكتاب رأت التسمية مكتوبة فقالت: {وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ}. فثبت أن الأنبياء عليهم السلام كلما بدأوا في عمل من أعمال الخير ابتدءوا بذكر بسم الله الرحمن الرحيم، وذكر الرازي المقدمة الثانية: أنه لما ثبت هذا في حق سائر الأنبياء فقد وجب على رسولنا عليه الصلاة والسلام ذلك، لقوله تعالى: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ} [الأنعام: 90] وإذا ثبت ذلك في حق الرسول وجب أن يجب علينا ذلك لقوله تعالى: {وَاتَّبِعُوهُ} (الأعراف: 158)، وإذا ثبت وجوب قراءته علينا ثبت أنه آية من الفاتحة، لأنه لا قائل بالفرق.[101]

ونقل ابن عطية في تفسيره :

[101] فخر الدين الرازي: "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، 1 / 176.

وروي عن ابن عباس: أن أول ما نزل به جبريل: «بسم الله الرحمن الرحيم» . وفي بعض طرق حديث خديجة وحملها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ورقة، أن جبريل قال للنبي عليهما السلام:

قل: «بسم الله الرحمن الرحيم» فقالها: فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ ... الحديث.

والبسملة تسعة عشر حرفا. فقال بعض الناس: إن رواية بلغتهم أن ملائكة النار الذين قال الله فيهم عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ [المدثر: 30] إنما ترتب عددهم على حروف بسم الله الرحمن الرحيم، لكل حرف ملك، وهم يقولون في كل أفعالهم: «بسم الله الرحمن الرحيم» فمن هنالك هي قوتهم، وباسم الله استضلعوا.

وروى عمرو بن شرحبيل: أن جبريل أول ما جاء النبي عليه السلام قال له: قل: «بسم الله الرحمن الرحيم". [102]

وذكر ابن عطية والشافعي- رحمه الله- أنه يعد «بسم الله الرحمن الرحيم» آية من الحمد، وكثير من قراء مكة والكوفة. ومالك- رحمه الله-، وأبو حنيفة، وجمهور الفقهاء، والقراء، لا يعدون البسملة آية. والذي يحتمله حديث جابر، وأبي هريرة- إذا صحّا- أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى قراءة جابر وحكايته أمر الصلاة قراءة في غير صلاة على جهة التعلم فأمره بالبسملة لهذا لا لأنها آية. وكذلك في حديث أبي هريرة رآها قراءة تعليم، ولم يفعل ذلك مع أبيّ لأنها قصد

[102] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ): "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ، 1/ 61.

تخصيص السورة ووسمها من الفضل بما لها، فلم يدخل معها ما ليس منها، وليس هذا القصد في حديث جابر وأبي هريرة، والله أعلم.

وقال ابن المبارك: «إن البسملة آية في كل سورة» ، وهذا قول شاذ رد الناس عليه. وروى الشعبي والأعمش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب «باسمك اللهم» ، حتى أمر أن يكتب «بسم الله» فكتبها. فلما نزلت {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ} [الإسراء: 110] كتب: «بسم الله الرحمن» . فلما نزلت: {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} [النمل: 30] كتبها. [103]

إذن بسم الله الرحمن خير وبركة من الله سبحانه وتعالى ولا ينبغي لمؤمن ولا مؤمنة أن يتجاهل الشروع بأعماله بالتسمية باسم الله، ففي ذلك معنى التوكل على الله والاعتماد عليه سبحانه وتعالى، والرغبة بطلب الخير منه، وقصد السبيل من خلاله جل وعلا. إن بسم الله الرحمن الرحيم منهاج للعابدين يعلنون فيه محبتهم لله وعبوديتهم له سبحانه وتعالى. فالمؤمن حين يقول بسم الله الرحمن الرحيم سراً أو جهراً في نفسه أو في ملأ فإنه يعلن بذلك عبوديته الخالصة لله رب العالمين. وكل ذلك على قدر المحبة والتوحيد الخالص، فكلما زادت المحبة والإيمان زاد التعلق ببسم الله الرحمن الرحيم. وإذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد شرعوا أعمالهم من قبل ببسم الله الرحمن الرحيم فحري بالمؤمن أن يبدأ بذلك فيعبر عن عبوديته لله سبحانه. إنها اعلان للعبودية وإذعان للربوبية ورغبة خالصة بالمحبة لله سبحانه وتعالى.

فالمسلم مثلاً حينما يتناول الطعام يسمي باسم الله، تأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ورد عن عن عائشة قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل طعاماً في ستة نفر من أصحابه فجاء أعرابي فأكله بلقمتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أنه لو كان"،

[103] ابن عطية: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، 1/ 61.

قال بسم الله لكفاكم فإذا أكل أحدكم طعاماً فليقل بسم الله فإن نسي أن يقول بسم الله في أوله فليقل بسم الله في أوله وآخره». [104]

وقد ورد في سبب نزول (بسم الله الرحمن الرحيم) عن ابن عباس قال: أول ما نزل به جبريل على النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "يا محمد استعذ ثم قل: بسم الله الرحمن الرحيم."

عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يعرف ختم السورة حتى ينزل عليه {بسم الله الرحمن الرحيم}.

عن عبد الله بن مسعود قال: كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى تنزل {بسم الله الرحمن الرحيم}. [105]

قال الله تعالى: {بِسْمِ اللَّهِ الْرَّحمَنِ الْرَّحَيمِ} [الفاتحة:1] افتتح بها الصحابة رضي الله عنهم كتاب الله، واتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة النمل، ثم اختلفوا هل هي آية مستقلة في

---

[104] محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: 1138هـ): " حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه"، دار الجيل – بيروت، 2/ 303. قال النووي: "أجمع العلماء على أن استحباب التسمية على الطعام في أوله، وفي نقل (2) الإجماع على الاستحباب نظر، إلاّ أن أريد بالاستحباب، أنه راجح الفعل، وإلا فقد ذهب جماعة إلى وجوب ذلك، وهو قضية القول بإيجاب الأكل باليمين؛ لأن صيغة الأمر بالجميع واحدة". ينظر: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): " التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير"، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه: محَمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق أبو مصعب الناشر: مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض – المملكة الْعَرَبيَّة السعودية الطبعة: الأولى، 1433 هـ – 2012 م، 7/ 525.

[105] أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ): " أسباب نزول القرآن" المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان قال المحقق: قمت بتوفيق الله وحده بتخريج أحاديث الكتاب تخريجا مستوفى على ما ذكر العلماء أو ما توصلت إليه من خلال نقد تلك الأسانيد الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، 1412 هـ – 1992 م، ص 17، وانظر: سليم بن عيد الهلالي (و) محمد بن موسى آل نصر: "الاستيعاب في بيان الأسباب «أول موسوعة علمية حديثية محققة في أسباب نزول آي القرآن الكريم»، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1425، 15/1.

أول كل سورة، أو من كل سورة كتبت في أولها، أو أنها بعض آية من كل سورة، أو أنها في سورة الفاتحة دون غيرها، أو أنها إنما كتبت للفصل لا أنها آية، على أقوال للعلماء سلفاً وخلفاً. [106]

ويرجح عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي في {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحَيمِ} [الفاتحة:1] أنها آية مستقلة في أول كل سورة، فليست من الفاتحة ولا من غيرها، هذا هو الأقرب, وهي بعض آية من سورة النمل في قوله تعالى: {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [النمل:30]، فهي بعض آية من سورة النمل، وهي آية مستقلة في أول كل سورة, وليست من الفاتحة ولا من غيرها. وقال بعض العلماء: إنها آية من الفاتحة، وهو الموجود الآن في المصاحف فهي الآية الأولى. وقراءتها سنة مستحبة، والاستعاذة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، والبسملة سنة في أول القراءة في أول السورة، وفي أول ركعة من ركعات الصلاة، ولو تركها صحت الصلاة، وأما على القول بأنها آية فلو تركها لم تصح الصلاة. [107]

ويستدل عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي على أن أول آية من الفاتحة هي: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة:2] قول الرب عز وجل في الحديث القدسي: (قال الله: إذا قال العبد: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة:2] قال الله: حمدني عبدي) وفي أول الحديث القدسي: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين) والمراد بالصلاة هنا الفاتحة، فهي من أسماء الفاتحة. قال: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: فإذا قال العبد: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة:2] قال الله: حمدني عبدي)، فدل هذا على أن الآية الأولى هي: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}،

---

[106] عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي: "شرح تفسير ابن كثير"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 116 درسا]، 3/7.

[107] عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي: "شرح تفسير ابن كثير"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 116 درسا]، 3/7.

ولو كانت البسملة هي الآية الأولى لقال الرب سبحانه: فإذا قال العبد: بسم الله الرحمن الرحيم, ولكن قال: فإذا قال العبد: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، قال الله: (حمدني عبدي) فدل على أن الآية الأولى هي: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم. [108]

ويرى عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي أنها ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها، ولكنها آية مستقلة إما للفصل بين السور، أو آية من كل سورة. [وقال داود هي: آية مستقلة في أول كل سورة لا منها، وهذا رواية عن الإمام أحمد بن حنبل، وحكاه أبو بكر الرازي عن أبي الحسن الكرخي وهما من أكابر أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله، هذا ما يتعلق بكونها آية من الفاتحة أم لا]. [109]

ويرى السمرقندي أنها بعض اية من كتاب الله. ويستدل بالنقل عن عامر قال: كان النبيّ صلّى الله عليه وسلم يكتب: باسمك اللهم فلما نزل في سورة هود بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَمُرْساها [هود: 41] كتب: بسم الله فلما نزل في سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ} [الإسراء: 110] كتب بسم الله الرحمن فلما نزل في سورة النمل {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} [النمل: 30] كتب: بسم الله الرحمن الرحيم. ويقول السمرقندي: "ففي هذا الخبر دليل على أنه ليس من أول كل سورة، ولكنه بعض آية من كتاب الله تعالى من سورة النمل ." [110]

---

[108] عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي: "شرح تفسير ابن كثير"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 116 درسا]، 3/7.

[109] عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي: "شرح تفسير ابن كثير"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 116 درسا]، 3/7.

[110] أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ): "بحر العلوم"، بدون بيانات أخرى، 1 / 13.

فأما تفسير قوله: بِسْمِ اللَّهِ، يعني: بدأت باسم الله، ومعنى قوله بِسْمِ اللَّهِ كما قال البعض: بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته، وهذا تعليم من الله تعالى لعباده، ليذكروا اسم الله تعالى عند افتتاح القراءة وغيرها، حتى يكون الافتتاح ببركة اسم الله تعالى. وقوله اللَّهِ هو اسم موضوع ليس له اشتقاق، وهو أجلّ من أن يذكر له الاشتقاق، وهو قول الكسائي. قال أبو الليث رحمه الله: هكذا سمعت أبا جعفر يقول: روي عن محمد بن الحسن أنه قال: هو اسم موضوع ليس له اشتقاق. وروي عن الضحاك أنه قال: إنّما سمي اللَّهِ إلها، لأن الخلق يولهون إليه في قضاء حوائجهم، ويتضرعون إليه عند شدائدهم. وذكر عن الخليل بن أحمد البصري أنه قال: لأن الخلق يألهون إليه، بنصب اللام، ويألهون بكسر اللام أيضا، وهما لغتان وقيل أيضا: إنه اشتق من الارتفاع. [111]

الرحمن: "العاطف على جميع خلقه بالرزق لهم، ولا يزيد في رزق التقيّ لأجل تقاه، ولا ينقص من رزق الفاجر لأجل فجوره ."

الرحيم: "الرفيق بالمؤمنين خاصة، يستر عليهم ذنوبهم في الدنيا، ويرحمهم في الآخرة، ويدخلهم الجنة ." [112]

وهكذا، فإذا كانت (بسم الله الرحمن الرحيم) تؤدي وظيفة الفصل بين السور في القرآن الكريم، فهي تؤدي وظيفة الفصل في الحياة بين ما قبلها ما بعدها. فالمسلم حين يستفتح بها أي عمل يقوم به في الحياة، أي عمل من دراسة وسفر ونكاح وطعام وغير ذلك، فهو يقول بفصل المرحلة التي تسبق العمل بقوله (بسم الله الرحمن الرحيم)، إيذاناً بأنه بدء هذه المرحلة الجديدة من محطات حياته مستفتحاً باسم الله ومتوكلاً عليه، ومتخذاً الأسباب كما أمره الله سبحانه وتعالى،

[111] أبو الليث السمرقندي: "بحر العلوم"، 1 / 13.
[112] السمرقندي: "بحر العلوم"، 1 / 14.

ومتيقناً بأنه يتعبد الله سبحانه وتعالى بقول (بسم الله الرحمن الرحيم) أي أنه فيما بعدها جعل نيته وعمله خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة الثانية

القرآن والتوحيد والتاريخ

الإسلام "هو دين الله الذي أوصى بتعاليمه في أصوله وشرائعه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وكلفه بتبليغه للناس كافة ودعوتهم إليه". وقد تلقى النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن ربه القرآن الكريم، فبلغه كما تلقاه، و بين مجمله بأمر الله و إرشاده، وطبق نصوصه بالعمل، ثم تلقاه عنه الناس جيلاً بعد جيل، كما تلقاه هو عن ربه عز وجل، حتى وصل إلينا – كما نزل – متواتراً لاريب فيه[113] .

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط بيئة اجتماعية وثقافية وقبلية كان قد اندرس فيها مفهوم التوحيد وأصبح غريباً عن المجتمع وثقافته، فقد تحول مفهوم الشرك ليكون هو المفهوم السائد في تلك البيئة، وابتعدت القبيلة ابتعاداً تدريجياً عن مفهوم التوحيد الذي اشتملت عليه الديانة الإبراهيمية التوحيدية.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حال الناس قبل الإسلام، فذكر أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الخلق على فترة انقطعت فيها النبوة والرسالات، وقد مقت أهل الأرض: عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب ماتوا – أو أكثرهم – قبل مبعثه. والناس إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابي متمسك بكتاب: إما محرف، وإما مبدل

[113] الإمام الأكبر محمود شلتوت: " الإسلام عقيدة وشريعة"، ط 18، دار الشروق،القاهرة، 1421هـ – 2001م، ص 7.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

منسوخ ودين قد ذهبت معالمه واختفت واضمحلت، بعضه مجهول، وبعضه متروك، وإمّا أميّ من عربي وعجمي، يشتغل بعبادة أشياء استحسنها، وظن أنها تنفعه: من نجم، أو تمثال، أو وثن، أو قبر، أو غير ذلك. وكان الناس في جاهلية تامة، ولديهم أعمال يحسبونها صلاحاً وهي أعمال فاسدة، ومقالات يظنونها علماً وهي جهل، وغاية الحاذق منهم علماً وعملاً، أن يحصل على قليل من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين، وقد اشتبه عليه الحق بالباطل. أو يشتغل بعمل القليل منه مشروع، وأكثره مبتدع لا يكاد يؤثر في إصلاح حاله إلا قليلاً، أو أن يحاول البحث على طريقة المتفلسفة، فتذوب مهجته في الأمور الطبيعية والرياضية، وإصلاح الأخلاق، حتى يصل – إن وصل – بعد الجهد الكبير الذي لا يوصف، إلى شيء قليل مضطرب، لا يدل على العلم الإلهي ولا يهدي إليه حقاَ، باطله أضعاف حقه – إن حصل – وأنَّى له ذلك مع كثرة الاختلاف بين أهله، والاضطراب وتعذر الأدلة عليه، والأسباب. فهدى الله الناس ببركة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وبما بعث به من البينات والهدى، هداية عظمت على وصف الواصفين، وتغلبت على معرفة العارفين، حتى حصل لأمته المؤمنين به عليه الصلاة والسلام عموماً، ولأولي العلم منهم خصوصاً، من العلم النافع، والعمل الصالح، والسنن المستقيمة، والأخلاق العظيمة، ما لو جمعت حكمة سائر الأمم، علماً وعملاً، الخالصة من كل شوب، إلى الحكمة التي بعث بها لاختلفا اختلافاً يمنع معرفة قدر النسبة بينهما، فلله الحمد رب العالمين. [114]

وقد عبر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في حديثه مع النجاشي ملك الحبشة عن ذلك المفهوم وذلك التحول الذي طرأ على البيئة المكية بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال وهو يخاطب النجاشي:

---

[114] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة: السابعة، 1419هـ - 1999م، 1/ 74 – 75.

"فقال له أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي الضعيف، فكنا على ذلك بعث الله سبحانه إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام... فصدقنا وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث...". [115]

كانت البداية توحيدية خالصة في مكة، وكان المطلوب أن يستمر البناء الذي شيده ورفع قواعده إبراهيم وإسـماعيل عليهما السـلام المرتبط بالتوحيد والمعبر عنه، وقد قص علينا القرآن الكريم ذلك اليوم الذي كان فيه النبي إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام مهمومين ببناء الكعبة من أجل أن تكون مثابة التوحيد في الأرض، فقال ربنا تبارك وتعالى: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْـمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْـلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْـلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِـكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُـولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾} (البقرة: 127-130) .

[115] محمد (أو عبد الله) بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري، أبو عبد الله، جمال الدين ابن حديدة (المتوفى: 783هـ): " المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي" المحقق: محمد عظيم الدين الناشر: عالم الكتب – بيروت، بدون تاريخ، 2 / 22 – 23.

ثم حدد القرآن الكريم بوضوح لا لبس فيه ديانة ابراهيم عليه السلام ومنهجه وملته، فقال: {وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾} (البقرة: 130 – 131) .

يقول ابن كثير: وأما قوله تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنا وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنا مَناسِكَنا وَتُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } فالقواعد مفردها قاعدة وهي الأساس والسارية، يقول تعالى: وأخبر يا محمد صلى الله عليه وسلم قومك حين بنى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام البيت وحين رفعا القواعد منه، وهما يقولان: { رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } وحكى القرطبي وغيره عن أبي وابن مسعود أنهما كانا يقرآن «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ وَيَقُولَانِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العليم»"، ويضيف ابن كثير: ويدل على هذا قولهما بعده { رَبَّنا وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ } الآية، فهما كانا يقومان بعمل صالح، وهما يسألان الله تعالى أن يتقبل منهما ذلك العمل، كما روى ابن أبي حاتم من حديث محمد بن يزيد بن خنيس المكي عن وهيب بن الورد أنه قرأ { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا } ثم يبكي ويقول: " يا خليل الرحمن ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك". وهذا كما حكى الله تعالى عن حال المؤمنين الخلص في قوله {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا} [المؤمنون: 60] أي يعطون ما أعطوا من الصدقات والنفقات والقربات {وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} [المؤمنون: 60] أي خائفة أن ألا يتقبل منهم، كما جاء به الحديث الصحيح عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. [116]

[116] : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): "تفسير القرآن العظيم"، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – 1419 هـــ، 1 / 302 .

وقد شهد ابو سفيان ولم يكن مسلماً حينها بالصدق لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين الأخلاق العظيمة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغيرات التي حدثت في المجتمع المكي بعد البعثة النبوية.

ففي الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن الزهري، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أن عبد الله بن عباس، أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشأم في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبا، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه. فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبا لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. [117]

[117] صحيح البخاري، 1 / 8 – 9.

قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آبائه من ملك، قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك، هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. [118]

وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه. ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين " و {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا

[118] صحيح البخاري، 1 / 9.

وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾}. [119]

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام. وكان ابن الناظور، صاحب إيلياء وهرقل، سقفا على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء، أصبح يوما خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك، قال ابن الناظور: وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مداين ملكك، فيقتلوا من فيهم من اليهود. فبينما هم على أمرهم، أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا، فنظروا إليه، فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. [120]

ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم، فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان،

[119] صحيح البخاري، 1 / 9.

[120] صحيح البخاري، 1 / 9 – 10.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل رواه صالح بن كيسان، ويونس، ومعمر، عن الزهري. [121]

كانت الأرض قبل البعثة النبوية تعاش التداع الشديد في العقيدة والأخلاق والعادات والقيم والعلاقات، غياهب بعضها فوق بعض، لذلك نتبين حقاً أهمية النور الذي أنزله الله عز وجل على الأرض حين بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [المائدة:15 – 16]. فمن الواضح أن الأرض كانت تحتاج في هذا الوقت إلى الإسلام، إلى الهداية إلى الطريق المستقيم، إلى وحي السماء، في زمان تعددت فيه طرق التيه حتى صعب حدها، كان ذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان. [122]

إن أصول الدين إما أن تكون مسائل يجب اعتقادها، ويجب أن تذكر قولاً، أو تعمل عملاً، كمسائل التوحيد والصفات، والقدر، والنبوة، والمعاد، أو دلائل هذه أما القسم الأول فكل ما يحتاج الناس إلي معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه الاعتقادات فقد بينه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بياناً واضحاً قاطعاً للعذر، إذ هذا من أعظم ما بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين، وبينه للناس، وهو من أعظم ما أقام الله الحجة على عباده فيه بالرسل الذين بينوه وبلغوه، وما ورد في كتاب الله، وما نقل الصحابة ثم التابعون عن الرسول صلى الله عليه وسلم لفظه

[121] صحيح البخاري، 1 / 10.

[122] راغب السرجاني: "السيرة النبوية" مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net/ [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 46درساً]، 2/15.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومعانيه، والحكمة التي هي سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم التي نقلوها أيضاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، متضمنة ذلك على أبلغ ما يكون. [123]

ومن الأمور التي تفيد العلم والتي وردت في كتاب الله سبحانه وتعالى الأمثال المضروبة التي يذكرها الله في كتابه التي قال فيها: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾} (الزمر: 27)، فإن الأمثال المضروبة هي الأقيسة العقلية، سواء كانت قياس شمول، أو قياس تمثيل، ويدخل في ذلك ما يسمونه براهين، وهو القياس الشمولي المؤلف من المقدمات اليقينية، وإن كان لفظ البرهان في اللغة أعم من ذلك كما سمي الله آيتي موسى برهانين: { فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ} [القصص: 32]. إن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيلي يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمولي تستوي فيه أفراده، فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يشبه أو يمثل بغيره، ولا يجوز أن يدخل تحت قضية كلية تستوي أفرادها. [124]

فالله تعالى مستحق أن نعبده لا نشرك به شيئاً، وهذا هو أصل التوحيد الذي بعثت به الرسل، وأنزلت به الكتب، قال الله تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف: 45] .

وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36]، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25] .

[123] درء تعارض العقل والنقل، 1/ ص 27.

[124] درء تعارض العقل والنقل، 1/ 29.

وجعل التحسب بالله وحده، فقال تعالى: {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ} [التوبة: 59] ولم يقل ورسوله. كما قال تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: 173].

ويدخل في ذلك أن لا نخاف إلا إياه جل وعلا، ولا نتقي إلا إياه سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور: 52] (4) . فجعل الطاعة لله وللرسول، وجعل الخشية والتقوى لله وحده.

كما قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: 7] (6) فالحلال ما حلله الرسول، والحرام: ما حرمه الرسول، والدين: ما شرعه الرسول.

وكذلك قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} [التوبة: 59]. فجعل الإيتاء لله وللرسول. [125]

بيّن سبحانه أن كل ما يدعى من دونه من الملائكة والجن والإنس لا يملكون كشف الضرّ ولا تحويله، وأن هؤلاء المدعوون من الملائكة والأنبياء يتقربون إلى الله ويرجونه ويخافونه، وكذلك كان قوم من الإنس يعبدون رجالا من الجن فآمنت الجن المعبودون، وبقي عابدوهم يعبدونهم، كما ذكر ذلك ابن مسعود. وقال تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ إلى قوله: وَلا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سبأ: 22، 23]. والله سبحانه وتعالى قد أرسل جميع رسله وأنزل جميع كتبه من اجل تبليغ الناس بأن لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، لا يعبد معه لا ملك ولا نبيّ ولا صالح، ولا تماثيلهم ولا قبورهم، ولا شمس ولا قمر ولا كوكب، ولا ما صنع من التماثيل لأجلهم ولا شيء من الأشياء، وبيّن أن كل ما يعبد من دونه فإنه لا يضر ولا ينفع،

[125] ابن تيمية: "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، 2 / 365.

وإن كان ملكاً أو نبيا ، وأن عبادته كفر، فقال تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلًا }إلى قوله: مَحْذُوراً [الإسراء: 56، 57]. [126]

يبين الإمام ابن باديس حال الناس قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فيشير أنهم كانوا في ظلمة من التخلف والجهل بالله وبأنبيائه وبدينه، ومن الجهل بنعم الله عليهم في ذواتهم بالفكر والفكر والتهيؤ للخير والكمال، ومن الجهل بآيات الله في الكون وفي أنفسهم، وفي العالم المهيأ لهم بما وضع فيه من وسائل الحياة والازدهار والمعيشة، ومن الجهل بقدر ذواتهم البشرية وشرفها واستقلالها. فلما أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم كان بكلمته وبعمله وبنهجه مبيناً للخلق بما كانوا يجهلون؛ فكان نوراً تألق في تلك العتمة الحالكة فبدده عن البصائر. وكما أن الضياء الكوني يجلي الموجودات الكونية للأبصار فكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الضياء الرباني، يجلي تلك الحقائق للعقول. وكما كان النبي صلى الله عليه وسلم نوراً تصدر من حكمه وأعماله تاريخه الأضواء السافرة للحقائق كذلك كان القرآن الكريم الذي أوحاه الله إليه، يبين بسوره وآياته وكلماته تلك الحقائق بشكل واضح تماماً. وكما أن الضياء الكوني يبين المتواجدات الكونية، فلا يسلب منها إلاّ مفقود البصر، فكذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك الضياء الرباني، كاشفاً للحقائق للبشرية كلها، ولا يحرم من إدراكها إلاّ من فقدوت البصائر، الذين زاغوا فأزاغ الله قلوبهم. [127]

---

[126] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "الرد على الأخنائي قاضي المالكية"، المحقق: الداني بن منير آل زهوي الناشر: المكتبة العصرية – بيروت الطبعة: الأولى – 1423هـ ، ص 13.

[127] عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ): "تفسير ابن باديس: في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، 1416هـ – 1995م، 1/ 329.

وفي القصة الآتية التي يرويها الإمام الدارمي توضيح لحال العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وعاداتهم الجاهلية التي كانوا عليها. كتب الإمام الدارمي في مسنده باباً أسماه (باب ما كان عليه الناس قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم. قال الدارمي :

أخبرنا الوليد بن النضر الرملي، عن مسرة بن معبد من بني الحارث بن أبي الحرام من لخم عن الوضين: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان، فكنا نقتل الأولاد، وكانت عندي بنت لي فلما أجابت، وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها، فدعوتها يوماً، فاتبعتني فمررت حتى أتيت بئرا من أهلي غير بعيد، فأخذت بيدها فرديت بها في البئر، وكان آخر عهدي بها أن تقول: يا أبتاه يا أبتاه. فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وكف دمع عينيه، فقال له رجل من جلساء رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحزنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: «كف فإنه يسأل عما أهمه» ثم قال له: " أعد علي حديثك فأعاده، فبكى حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته، ثم قال له: «إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا، فاستأنف عملك. [128]

ولذلك يستنبط الشيخ محمد رشيد رضا من قول الله تعالى: { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } ﴿النساء: 83﴾، المعنى الاتي أنه لولا فضل الله عليكم ورحمته بالمسلمين بما هداهم الله إليه من إطاعة الله والرسول ظاهراً وباطناً، وتأمل القرآن وإرجاع الأمور العامة إلى الرسول وإلى أولي الأمر لاتبعوا وسواس الشيطان كما تبعته تلك الطائفة التي تقول للرسول: طاعة لك، وهي تعتقد غير ذلك، والتي تنشر أمر الأمان والخوف وتفسد على الأمة

[128] ينظر: مسند الدارمي المعروف ب (سنن الدارمي)، تأليف أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 2000م، 1/ 153 - 154. [تعليق المحقق] إسناده رجاله ثقات غير أنه مرسل وقد تفرد بروايته الدارمي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سياستها به، إلا قليلاً من الأتباع، أي لتبعتم الشيطان في غالب أعمالكم بجعلها من الباطل والشر لا فيها كلها، أو إلا قليلاً منكم. [129]

اعلم أخي الحبيب

يا طالب الحكمة الإسلامية:

أن التوحيد يتضمن عبادة الله وحده لا شريك له، وهو التوحيد في القصد والإرادة والعمل، والأول يتضمن التوحيد في العلم والقول، كما دلت على ذلك سورة (قل هو الله أحد) ، ودلت على الآخر سورة (قل يا أيها الكافرون) وهما سورتا الإخلاص، وبهما كان يقرأ صلى الله عليه وسلم بعد الفاتحة في ركعتي الفجر وركعتي الطواف وغير ذلك. أنه لا بد للعبد أن يثبت لله ما يجب إثباته له من صفات الكمال، وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما صفات النقص المضاد للكمال. ولا بدّ له في أحكامه من أن يثبت خلقه وأمره، فيؤمن بخلقه المتضمن كمال قدرته، وعموم مشيئته، ويثبت أمره المتضمن بيان ما يحبه ويرضاه، من القول والعمل، ويؤمن بشرعه وقدره إيمانا خاليا من الزلل. [130]

وتأمل في كمال التوحيد في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يدعو به إذا قام يصلي من الليل.

---

[129] محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ): " تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م، 5/ 245.

[130] ينظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "التدمرية": تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع المؤلف: المحقق: د. محمد بن عودة السعوي الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض الطبعة: السادسة 1421هـ / 2000م، 1 / 4-5.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس «اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، ولك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت» فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه وبعبوديته له، ثم سأله المغفرة. [131]

فعليك بلا اله إلا الله تفلح، فهي مفتاح النجاح في الدنيا والآخرة، وهي حرز الأمان وطوق النجاة، حققها في قلبك وفي نيتك وعملك وأخلص العمل لله سبحانه وتعالى فكل شيء لا محالة زائل ولن ينجيك في دنياك وآخرتك الا كلمة التوحيد الخالص . عن معاذ بن جبل قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه؟»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن لا يعذبهم.« [132]

وحذار حذار من الشرك ومن الرياء:

---

[131] ينظر: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م، 1 / 48).

[132] ينظر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"،: المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ عدد الأجزاء: 9 [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج، ومتن مرتبط بشرحيه فتح الباري لابن رجب ولابن حجر] مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا، 9/ 114.

قال –صلى الله عليه وسلم–: "اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل"، فقيل له: كيف نتقيه، وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ فقال: "قولوا اللهم إنا نعوذ بكأن نشرك بك شيئًا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم"، ذكره أحمد. وقال –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر"، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تُراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً". ذكره أحمد. [133]

وسئل –صلى الله عليه وسلم– عن الأخسرين أعمالًا يوم القيامة، فقال: "هم الأكثرون أموالًا إلا من قال: هكذا وهكذا [إلى] من بين يديه، ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليلٌ ما هم".

ولما نزلت: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: 82]، شقَّ ذلك عليهم، وقالوا: يا رسول الله وأيُّنا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: {يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13]، متفق عليه.

وخرج عليهم [رسول الله –صلى الله عليه وسلم–] وهم يتذاكرون المسيح الدجال فقال: "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم [عندي] من المسيح الدجال؟ " قالوا: بلى، قال: "الشرك الخفي"

[133] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ): "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1423 هـ، 6 / 654.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[قالوا: وما الشرك؟ قال]: "أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل آخر"، ذكره ابن ماجه. [134]

أمر الله سبحانه وتعالى بتدبر كلامه والتفكر فيه وفي أوامره ونواهيه وزواجره وما تضمنه من الحكم والمصالح والغايات المطلوبة والعواقب الحميدة التي هي محل الفكر لما كان للتفكير فيه معنى. ودعاهم إلى التفكر والتدبر ليطلعهم ذلك على حكمته البالغة وما فيه من الغايات والمصالح المحمودة التي توجب لمن عرفها إقراره بأنه تنزيل من حكيم حميد. [135]

قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} وقال عطية في الآية: "ولا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم"، وقال غير واحد من السلف: "إذا قحط المطر فإن الدواب تلعن عصاة بني آدم وتقول: اللهم العنهم فبسببهم أجدبت الأرض وقحط المطر". وقوله تعالى: {وَلا تُفْسِدُوا فِي الأرض بَعْدَ إِصْلاحِهَا} قال أكثر المفسرين: "لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل والدعاء إلى طاعة الله وبيان الشريعة فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به ومخالفة أمره. [136]

فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره ومطاع متبع غير رسول الله هو أعظم الفساد في الأرض ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود والدعوة له لا لغيره والطاعة والأتباع لرسوله ليس إلا وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول فإذا أمر

---

[134] ابن القيم: " أعلام الموقعين عن رب العالمين"، 6/ 566

[135] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل"، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1398هـ/1978م، ص 200.

[136] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "بدائع الفوائد"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 3/ 14.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة فإن الله أصلح الأرض برسوله ودينه وبالأمر بتوحيده ونهي عن إفسادها بالشرك به وبمخالفة رسوله. ومن تدبر هذا حق التدبر وتأمل أحوال العالم منذ قام إلى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه وفي حق غيره عموما وخصوصا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله وكل شر في العالم وفتنة وبلا وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله. [137]

ويبين الشيخ ابن القيم في معرض حديثه عن التدبر والتفكير في آلاء الله أن "رأس الأمر وعموده في ذلك إنما هو دوام التفكر وتدبر آيات الله حيث تستولي على الفكر وتشغل القلب فإذا صارت معاني القرآن مكان الخواطر من قلبه وجلس على كرسيه، وصار له التصرف، وصار هو الأمير المطاع أمره، فحينئذ يستقيم له سيره ويتضح له الطريق وتراه ساكنا وهو يباري الريح {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} ." [138]

يبين علي القاري أن للتوحيد مراتب. فهو ظهور فناء الخلق بتشعشع أنوار الحق، ويذكر أن مراتب التوحيد كما ذكر العلماء.

[137] ابن القيم: "بدائع الفوائد"، 3 / 14-15.

[138] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه"،المحقق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني – جدة، بدون تاريخ، ص 62.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأولى: التوحيد النظري إن علم بالاستدلال، أو التقليدي إن اعتقد بمجرد تصديق المخبر الصادق، وسلم القلب من الشبهة، والحيرة، والريب، وهو الاعتقاد أن الله متفرد بوصف الألوهية واحد باستحقاق العبودية.

الثانية: التوحيد العلمي، وهو أن يصير العبد بخروجه من غشاوة صفاته، وتخلصه من سجن ظلمات ذاته، وانسلاخه عن لباس الاختيار مستغرقاً في أنوار عظمة الجبار، ولهاً تحت سبحات سطوات الأنوار، فيعرف أن الموجد المحقق، والمؤثر المطلق هو الله تعالى، وأن كل ذات فرع من نور ذاته، وكل صفة من علم، وقدرة، وإرادة، وسمع، وبصر عكس من أنوار صفاته، وأثر من آثار أفعاله، ومنشؤه نور المراقبة، وهو دون المرتبة الحالية، لكن مزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون، وعند ذلك ينفي من الظلمة الوجودية، ويرتفع بعض من الشرك الخفي.

الثالثة: التوحيد الحالي، وهو حمل التوحيد الوصف اللازم لذات الموحد بتلاشي ظلمات رسوم وجود الغير إلا قليلا في غلبة إشراق نور التوحيد، واستنار نور حاله في نور علم التوحيد كاستتار نور الكواكب في نور الشمس، فلما استنار الصبح أدرج ضوء نور الكواكب، واستغراقه في مشاهدة جمال وجود الواحد بحيث لا يظهر عند شهوده إلا ذات الواحد، ويرى التوحيد صفة الواحد لا صفته بل لا يرى ذلك، قال الجنيد: التوحيد معنى يضمحل فيه الرسوم، ويندرج فيه العلوم، ويكون الله كما لم يزل.

الرابعة: التوحيد الإلهي، وهو أن الله تعالى كان في الأزل موصوفاً بالوحدانية في الذات، والأحدية في الصفات، كان ولم يكن معه شيء، والآن كما كان. كل شيء هالك إلا وجهه، ولم يقل يهلك؛ لأن عزة وحدانيته لم تدع لغيره وجوداً. [139]

[139] علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ): "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ – 2002م، 1 / 55.

عن أبي سلمة قال سألت عائشة بأي شيء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل قالت كان يكبر ويفتتح صلاته اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. [140]

عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك وإذا ركع قال اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي فإذا رفع رأسه قال اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد فإذا سجد قال اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه فصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني.

عن حذيفة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فافتتح سورة البقرة فقرأ فقلت يقرأ مائة آية ثم يركع فمضى فقلت يقرأها في ركعتين فمضى فقلت يختمها ثم يركع فمضى ثم قرأ

---

[140] أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ): "المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم"، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1417هـ – 1996م، 2 / 367.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سورة النساء ثم قرأ آل عمران ثم ركع وكان نحو من قيامه يقول سبحان ربي العظيم ثم رفع رأسه فقال سمع الله لمن حمده فأطال القيام ثم سجد فأطال السجود ويقول سبحان ربي الأعلى فأطال وكان لا يمر بآية فيها تخويف أو تعظيم إلا ذكره. [141]

التوحيد القوة العظمى الدائمة الفعل في تحرير الإنسان ، وإطلاق طاقاته الفاعلة من أسر قنوة الغرائز والشهوات والأشياء والأغيار والطواغيت هكذا يصبح إفراد الله من نحانه وتعالى بالألوهية والربوبية طاقة خلاقة دائمة الفعل والتأثير. التوحيد السند الأول والأعظم والدائم الذي يعصم الإنسان من الضعف و التسليم والاستسلام لقوى الغرائز والشهوات المنبعثة من داخله ، ولقون المادة والاستبداد المحيطة به ، إن هذا المسند العاصم والملجا الكافل والمدد المعين هو الإيمان بالله الواجب، قوة فوق كل القوى، بل خالقة وقاهرة لكل ما في الكون من قوى. إن التوحيد الإسلامي، ليس كلمة ينطق بها الإنسان، ولا هو مجرد تصور فلسفى لعلاقة الإنسان بالخالق. [142]

يقول الله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: 85]. أول ما يلزم كل أحد ولا يصح الإسلام إلا به أن يعلم المرء بقلبه علم يقين وإخلاص لا يكون لشيء من الشك فيه أثر وينطق بلسانه ولا بد بأن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. وهو قول جميع الصحابة وجميع أهل الإسلام. وأما وجوب عقد ذلك بالقلب فلقول الله تعالى: {{وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البينة: 5]. والإخلاص فعل النفس. وأما

[141] أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ): "المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم"، 2 / 368.

[142] د. محمد عمارة: "معالم المنهج الإسلامي"، ط 2، دار الشروق، القاهرة، 2009 م، ص 31.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجوب النطق باللسان، فإن الشهادة بذلك المخرجة للدم والمال من التحليل إلى التحريم كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا تكون إلا باللسان ضرورة. [143]

إن هذا التوحيد الإسلامي علاقة متميزة تجمع الإنسان بالموجد والموجود .. فالإنسان مخلوق لله ، وهو خليفته المكلف بعمران العالم وفق مقاصد الشريعة – عقده وعهد الاستخلاف – وهو والطبيعة – بقواها وظواهرها مخلوقات تأتلف بعلاقة التساقد والارتفاق .. وكل المخلوقات أم وجماعات . وهي مع كل ما في السماوات والأرضين وما بينهما ترتبط . يرباط العبودية لله والتسبيح له – سبحانه وتعالى – وكذلك الحال بين الجسد والروح .. والنبات والموضوع .. والدين والدنيا .. والعلم والدين .. والعلم والأخلاق .. والدنيا والأخرة .. والكواكب والأجرام والمجرات .. وعالم الغيب والشهادة .. والأسباب والغابات .. والبعد الذاتي والاجتماعي للإيمان ... فالكل مجموع برباط التوحيد ..إن إفراد الله بالوحدانية والربوبية هو الذي يجعل الإيمان بالله الروح السارية والقوة الموجهة لكل أعمال الإنسان .. فيصبح الإبداع البشرى الخير ، أيا كانت ميادينه ، صلاة خاشعة في محراب الكون لمن خلقه ويرعاه .. [144]

ضمن سبحانه وتعالى التوحيد بالأحكام والقصص، والأحكام تفيد الأعمال الصالحة فترفع أستار الغفلة عن القلوب وتكسب الأخلاق الفاضلة لتصقل الصدأ عن النفوس فتتجلى فيها حقائق التوحيد، والقصص تلزم بمواعظها واعتباراتها بالأحكام وتقرر دلائل المعارف فيرسخ التوحيد، وكان هذا التفصيل لأنه أنشط للنفس بالانتقال من نوع إلى آخر مع حسن النظم وبلاغة التناسب والإلهاب ببداعة الربط وبراعة التلاحم. {الله} أي هو الملك في ذلك اليوم ثم أثبت له صفات الكمال منزهاً عن شوائب النقص مفتتحاً لها بالتفرد فقال: {لا إله إلا هو} مقرراً لكمال التوحيد، فإنه

---

[143] أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ): " المحلى بالآثار"، دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ، 1/ 22.

[144] د. محمد عمارة: "معالم المنهج الإسلامي"، ص 32.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقصود الأعظم من جميع الشرائع ولكن الإنسان لما جبل عليه من النقصان لا بد له من ترغيب يشده وترهيب يرده ومواعظ ترفقه وأعمال تصدقه وأخلاق تحققه. [145]

وقد قص الله سبحانه على الناس وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين قصص خلق آدم، ونوح مع قومه، وصالح مع قومه، وهود مع قومه، ولوط مع قومه، وإبراهيم مع قومه، وقصص جميع أنبياء بني إسرائيل، وهكذا دواليك. وذكر لنا قصص شعوب قد بادت وانتهت، وكل هذه القصص لم تكن معلومة عند العرب، فقد كانوا أمة أمية لا يعرفون الحساب أو الكتابة، فمن أين جاءت هذه المعارف إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ وقد قال تعالى مذكراً بنعمته على رسوله صلى الله عليه وسلم ومبيناً لنا بأن ما يذكره من قصص هو الحق: {كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا} [طه:99]. أي: من أنباء القوم السابقين كما لو عشت معهم. والمراد: وكما قصصنا عليك قصة موسى وفرعون ولم تكن تعلمها قبل، وكانت غير مفهومة عند الناس ومبدلة ومحرفة، كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق. [146]

قصص الأنبياء التي يذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم المراد منها: تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وأن يستفيدوا منها الموعظة والعبرة، وأن الله يمهل عباده هؤلاء مدة معينة لعلهم يؤمنون، ولا يتركهم إهمالاً لهم ولكن إمهالاً منه سبحانه وتعالى، يمهلهم، ويحلم بهم سبحانه ويصبر عليهم لعلهم يؤمنون، وهو أعلم سبحانه وتعالى من الذي يستجيب ومن الذي لا يستجيب، ففي قصص الأنبياء الموعظة والعبرة للنبي صلى الله عليه وسلم: اصبر ولا تعجل،

---

[145] إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ): " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ، 4 / 28.

[146] محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني (المتوفى: 1419هـ): "تفسير القرآن الكريم"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net،]الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 357 درسا، 4/40.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

{وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ} [القلم:48 – 49]، فمنها يتعلم النبي صلى الله عليه وسلم ويتعلم المؤمنون عدم العجلة، أي: لا تكن كيونس على نبينا وعليه الصلاة والسلام حين تعجل وغضب من قومه وتركهم؛ لأنهم لم يؤمنوا، وإذا بالله عز وجل يتوب عليه، وقومه تابوا إلى الله. فهذه القصص فيها إخبار النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن الله قد يبادر ويعاجل بالعقوبة، وقد يمهل القوم لحكمة منه سبحانه، فلا تعجل، أي: اصبر لأمر الله سبحانه وتعالى، فإن الفرج يأتي بعد الشدة. [147]

إن هذه هي المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة. فكيف بإنسان، وهو النبي صلى الله عليه وسلم، عاش بين قومه أربعين عاماً لا يعلم شيئاً، وفيه ذكاء ونبوغ، ولكنه لم يقرأ ولم يكتب ولم يدرس على شيخ، وإذا به بعد الأربعين سنة يصبح وقد فاجأ قومه وفاجأ الخلق كلهم في مشارق الأرض ومغاربها بهذه العلوم التي وسعت الأولين والآخرين، بقصص السابقين واللاحقين، بما كانوا عليه وبما يكونون، والسؤال من أين جاءه كل ذلك؟ وأتى به بكلام معجز على فصاحة العرب وبلاغتهم وما أعطوا من تفنن في القول، وقد عجزوا عن أن يأتوا بآية من مثله، بسورة من مثله، ولا يزال العجز قائماً، والتعجيز قائماً، ولم تستطع أي أمة في الماضي، أو الحاضر ولا المستقبل، ولا أي إنسان مهما بلغ من الفصاحة والبلاغة، لن يستطيع الإتيان بسورة من مثل سور القرآن، بل ولا بآية. [148]

---

[147] الشيخ الطبيب أحمد حطيبة: "تفسير الشيخ أحمد حطيبة"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net،]الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 510 درسا[

[148] محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني (المتوفى: 1419هـ): "تفسير القرآن الكريم"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 357 درسا، 4/40.

ولو تتبعنا القرآن الكريم لوجدناه يخترق تاريخ البشرية من أوله إلى اخره، لا بل إنه يخترق تاريخ الكون منذ بدايته القصوى، أي منذ فجر خلق الكون. فيقول ربنا تبارك وتعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ }﴿الأنبياء: ٣٠﴾.

وقص علينا القرآن الكريم قصة أول مخلوق بشري وهو ادم عليه السلام، فقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾} (البقرة: 30 – 37).

وقص علينا قصة نوح عليه السلام في العديد من الايات والمواضع في الكتاب الحكيم وخصه بالذكر في سورة حملت اسمه عليه السلام سورة نوح:

{ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾} (نوح:1) .

وغير ذلك من قصص القرآن الحكيم.

وفي القرآن من قصص خلق آدم وحواء وخروجهما من الجنة وابني آدم ونوح وإبراهيم ولوط ويعقوب ويوسف وإخوته وبين ما ورد من ذلك في سفر التكوين وبين ما ورد في القرآن من قصص موسى وفرعون وسيرة بني إسرائيل في حياة موسى وبعض الشرائع الموسوية وقصة أيوب ويونس وما ورد من ذلك في سفري أيوب ويونان وبين ما ورد في القرآن من قصص طالوت وجالوت وداود وسليمان وحروب بني إسرائيل مع جالوت وقومه وقصة الخصمين مع داود وملك سليمان وزيارة ملكة سبأ ورسالة النبي إلياس، وغير ذلك. [149]

ويرى الشيخ الشعراوي في سياق الفهم لقوله تعالى: {وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرسل مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} [هود: 120]

فكل قصة تثبت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في المواقف التي تزلزلهم فيها الوقائع والأحداث وتكون صعبة عليهم. وقصص القرآن ليست لقضاء الوقت. ولكن الهدف الأسمى للقصة هو تثبيت ونفع حركة الحياة الإيمانية. ولو نظرنا إلى قصص القرآن الكريم نجد أنها تتحدث عن أشياء مضت وأصبحت تاريخاً. والتاريخ يربط الأحداث بأزمانها. وقد يكون التاريخ لشخص لا لحدث. ولكن الشخص حدث من أحداث الدنيا. ولو قرأت تاريخ كل حدث لوجدت أنه يعبر عن وجهة نظر راويه. فكل قصص التاريخ كتبت من وجهات نظر من رووها. ولذلك. فالقصة الواحدة تختلف باختلاف الراوي. [150]

ويؤكد الشيخ الشعراوي أن قصص القرآن الكريم هو القصص الحق. . والعبرة في قصص القرآن الكريم أنها تنقل لنا أحداثاً في التاريخ. تتكرر على مر الزمن. وقصة صالح هي قصة كل قوم طلبوا معجزة من الله. فحققها لهم فكفروا بها. وقصة يوسف عليه السلام هي قصة كل أخوة

[149] دروزة محمد عزت: "التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]"، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: 1383 هـ، 2 / 486.

[150] محمد متولي الشعراوي: "تفسير الشعراوي – الخواطر"، 1 / 236.

نزغ الشيطان بينهم فجعلهم يحقدون على بعضهم. ففرعون مثلا هو كل حاكم يريد أن يُعْبَدَ في الأرض. وأهل الكهف مثلا هي قصة كل فئة مؤمنة هربت من طغيان الكفر وانعزلت لتعبد الله. وقصة ذي القرنين هي قصة كل حاكم مصلح أعطاه الله سبحانه الأسباب في الدنيا ومكنه في الأرض. فعمل بمنهج الله وبما يرضي الله. [151]

لكن ينبغي التنبيه إلى أن العبرة أو الاعتبار من القصص في القرآن الحكيم هو أحد الجوانب المهمة المرادة من القصة، لكن يبقى التوحيد هو الجانب الأهم في القصة القرآنية. فبيان توحيد الله سبحانه وتعالى والصراع بين التوحيد والشرك وبين الحق والباطل يبقى الهدف الرئيس من القصة في القرآن الحكيم.

ولنتأمل مثلاً في جوانب من قصة ابراهيم عليه في القرآن الحكيم.

ومن ذلك:

سياق رفع ابراهيم عليه السلام لقواعد البيت، يقول سبحانه وتعالى:

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾} (البقرة: 127- 131).

[151] محمد متولي الشعراوي: "تفسير الشعراوي – الخواطر"، 1 / 236.

الحوار الذي دار بين ابراهيم عليه السلام وبين من حاجه في ربه:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }﴿البقرة: ٢٥٨﴾ .

فواضح جداً في هذه الاية المباركة أن الحجاج بين ابراهيم عليه السلام وبين ذلك الطاغية حجاج حول قضية توحيد الله سبحانه وتعالى والعبودية الخالصة لله.

ويتجلى مبدأ التوحيد في حوار ابراهيم عليه السلام مع أبيه:

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ } (مريم: 41 –50).

وهكذا في كل قصص القرآن الحكيم نفهم أن المغزى الرئيس للقصة هو مبدأ التوحيد والصراع بين التوحيد والشرك وبين الحق والباطل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة الثالثة

القرآن التوحيد والحياة

قال تعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾} (البقرة: 177).

وهكذا فالمسلم الموحد العابد لله سبحانه وتعالى والمتبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعيش مع التوحيد حياته كله، فهو الغاية الرئيسة من حياته، فهو يعيش ليوحد الله سبحانه وتعالى ويطبق تعاليم دينه وينفذ أوامره وينتهي عند نواهيه... وليس هذا حال الفرد المسلم فقط بل المجتمع المسلم فيصبح التمسك بالتوحيد جماعياً يسعى كل أفراد المجتمع أن يعيشوا في ظله، وهم ما يحقق لهم السعادة والأمن والرخاء والطمأنينة. ولذلك فهناك ارتباط وثيق بين التوحيد والحياة.

فإذا تأملنا قول الله سبحانه وتعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فنجد أن المفعول من أجل قصد الاختصاص، والمعنى نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك. والعبادة غاية الخضوع والتذلل. وعن عكرمة أن جميع ما ذكر في القرآن من العبادة التوحيد ومن التسبيح الصلاة ومن القنوت الطاعة. وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم قل يا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

محمد (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) اى إياك نؤمل ونرجو لا غيرك والضمير المستكن فى (نَعْبُدُ) وكذا فى نَسْتَعِينُ للقارئ ولسائر الموحدين أدرج عبادته في ثنايا عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها وتجاب ولهذا شرعت الجماعة. وسنلاحظ أيضاً إذا تأملنا قول الله عز وجل {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} أن الله سبحانه جعل أول الكلام على ما هو مبادئ حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في أسمائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شانه، والنظر في آلائه وتأثير سلطانه ثم عرج بما هو نهاية أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عياناً ويناجيه شفاهاً. وفيه اشارة أيضاً الى أن العابد ينبغى أن يكون نظره إلى المعبود أولاً وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث أنها عبادة صدرت منه بل من حيث أنها نسبة شريفة ووصلة بينه وبين الحق فإن العارف انما يحق وصوله إذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى أنه لا يلاحظ نفسه ولا حالاً من أحوالها الا من حيث أنها ملاحظة له ومنتسب اليه ولذلك فضل ما حكى عن حبيبه حين قال (لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا) على ما حكاه عن كليمه حيث قال {إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}. [152]

وهكذا فالتوحيد والإيمان الخالص لله عز وجل من كل شوائب الشرك، يرتقي بالنفس إلى عبادة الرب جل وعلا، والتوكل عليه والإخلاص له، والاعتماد عليه وحده، وفي هذا نور القلب، والعزة الكاملة، وصفاء الروح، ونور البصيرة، لذا كانت المعاصي كلها بعد الإيمان تقبل بالمغفرة الإلهية وقبول التوبة، لأن نور الإيمان يسترها، غير أن المغفرة مرتبطة بمشيئة الله، وهي للعباد التائبين الذين يعملون الصالحات التي أمر الله بها، وانتهوا عما نهى الله عنه، لقوله تعالى: إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ [هود: 11/ 114][153].

[152] إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء: "روح البيان"، 17/1.

[153] د وهبة بن مصطفى الزحيلي: "التفسير الوسيط للزحيلي"، دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى – 1422 هـ، 1/ 329.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن أول دعامة للمجتمع المسلم: توحيد الله وعدم الشرك به. وبعد بيان الركن الأعظم في العقيدة والإيمان وهو التوحيد، ذكر تعالى شعائر الإيمان ومظاهره، وهي ما يأتي:

أولا– عبادة الله تعالى وحده: { وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} أي أمر الله تعالى ألا تعبدوا غيره، وهذا يتضمن أمرين: الاشتغال بعبادة الله تعالى، والتحرز عن عبادة غير الله تعالى لأن العبادة نهاية التعظيم، ولا يستحق ذلك غير الله عز وجل لأنه مصدر النعم والإنعام من إعطاء الوجود والحياة والقدرة والعقل. فالخطاب التوحيدي في القرآن الكريم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو بيان لحقيقة الإيمان وهو التوحيد ونفي الشركاء عن الله سبحانه. ومضمونه: لا تجعل أيها الإنسان المكلف شريكاً مع الله تعالى في ألوهيته وعبادته، وإنما أفرد له الألوهية والربوبية، فلا إله غيره، ولا رب سواه، ولا معبود بحق إلا هو، فإن جعلت مع الله إلها آخر، صرت ملوماً على إشراكك به، مخذولاً لا ينصرك ربك، بل يتركك إلى من عبدته معه، وهو لا يملك ضراً ولا نفعاً. روى أحمد وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله، فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل". [154]

ورد ذكر الحياة في القرآن الكريم، سواء كانت الحياة الدنيا أم الاخرة مرات عديدة، فمن ذلك:

قول تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ }﴿البقرة: ٢٠٤﴾ .

[154] د وهبة بن مصطفى الزحيلي: "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، دار الفكر المعاصر – دمشق. الطبعة : الثانية ، 1418 هـ، 15/ 53.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يقول ربنا: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [البقرة:204] الإعجاب: هو "استحسان الشيء والميل إليه مع التعظيم"، وإذ لم يكن هناك شيء من التعظيم ولو يسير فلا يسمى هذا إعجاباً، {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ} [البقرة:204]، وهذا يعجبك قوله لكنه جريء على الله، ومن جرأته على الله أنه يشهد الله على ما في قلبه وهو يعلم أن الله يطلع على أن في قلبه غير الذي يقوله، فالذي يقوله شيء يستخدم فيه فصاحته وبلاغته وحسن كلامه، لكن في قلبه شيء اخر، ومع ذلك حتى يقنعك يشهد الله على ما في قلبه، وهذه جرأة على الله؛ لأنه يعلم أن ما يقوله ليس هو الذي يبطنه، ثم يقول الله جل وعلا: {وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ} [البقرة:204] أي: شديد الخصومة، مع هذا الذي يظهره، وإذا قدر فإنه كما قال الله: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ} [البقرة:205].أكثر المفسرين على أنها نزلت في الأخنس بن شريق، فقد كان فصيحاً بليغاً يظهر الإيمان ويبطن النفاق، ويمكن أن يقال أن في الاية مفهوماً عاماً في كل من هو مبطن كذب أو نفاق أو كفر أو حسد أو غل على أهل الإيمان. [155]

قال الواحدي: قال السدي: "نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، وهو حليف بني زهرة أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأظهر له الإسلام، وأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه، وقال: إنما جئت أريد الإسلام، والله يعلم أنني صادق وذلك قوله: {وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ} ثم خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فأحرق

[155] أبو هاشم صالح بن عوّاد بن صالح المغامسي: "سلسلة محاسن التأويل"،مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 73 درسا]، 2 / 14.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الزرع وعقر الحمر فأنزل الله تعالى فيه {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ} ." [156]

لذلك فالنفاق مذموم، بأن يبطن الإنسان في قلبه غير ما يقوله بلسانه، ولا ريب في أن النفاق يتعارض ويتنافى مع أصل الإيمان الذي يشترط التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، فالمنافق يفعل الشيء المخالف تماماً للإيمان، فبينما يشترط صدق الإيمان على المؤمن التوحيد بينما في قلبه ولسانه وعمله يأتي المنافق ليعمل بالضد من هذه المنظومة التوحيدية فيناقض ما في قلبه ما هو موجود على لسانه وفي عمله.

{زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} ﴿البقرة: ٢١٢﴾. أي يستهزءون بالفقراء من المؤمنين. قال ابن عباس: "أراد بالذين آمنوا عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيباً وبلالاً وخباباً وأمثالهم"، وقال مقاتل: "نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، كانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم"، وذهب أكثر المفسرين أن المزين هو الله تعالى، والتزيين من الله تعالى هو أنه خلق الأشياء الحسنة والمناظر العجيبة، فنظر الخلق إليها بأكثر من قدرها فأعجبتهم ففتنوا بها، وقيل: "نزلت هذه الآية في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه كانوا يتنعمون بما بسط الله لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد"، وقال الزجاج: "زين لهم الشيطان." [157]

---

[156] أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ): "العجاب في بيان الأسباب"، المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس"، دار ابن الجوزي، 1 / 519.

[157] محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ): "معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي"، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ – 1997 م، 1 / 242.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقول الله سبحانه وتعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} ﴿آل عمران: ١٤﴾.

الشهوة توقان النفس إلى الشئ جعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة أو كأنه أراد تخسيسها بتسميتها شهوات إذ الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية. و{زُيِّنَ لِلنَّاسِ} المزين هو الله عند الجمهور من أجل أن يبتلي الناس كقوله {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأرض زينة لها لنبلوهم} قرأ مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان {حُبُّ الشهوات}. [158]

فالناس مأمورون أن يأخذوا الحياة على قدرها. لقد حسن الله عَزَّ وَجَلَّ الحياة للإنسان، فكيف تنسى الذي زينها لك، وجعلها جميلة وجعلها تحت تصرفك. كان يجب أن تأخذها وسيلة للإيمان بمن رزقك إياها، وكلما ترى شيئاً جميلاً في الوجود تقول: «سبحان الله» ، وتزداد إيماناً بالله، أما أن تأخذ المسألة وتفصلها عمن خلقها فذلك هو المقياس النازل. أو أن المراد أن الله سبحانه وتعالى هو الذي زينها بأن جعل في الناس غرائز تميل إلى ما تعطيه هذه الحياة الدنيا، لقد أعلى الغرائز وأعطى المنهج لتعلية الغرائز، فلا تأخذ هذه وتترك تلك. ولذلك يقول الحق: {والباقيات الصالحات خَيْرٌ} [الكهف: 46] والحق عندما يقول: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الحياة الدنيا}

[158] أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ): "تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)"، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م1/ 240.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهو يفضح من يعتقدون أنه لا حياة بعد هذه الحياة، ونقول لهم: هذا مقياس غير دقيق، ودليل على الحمق؛ لأنكم ذهبتم إلى الأدنى وتركتم الأعلى. [159]

ويقول تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} ﴿آل عمران: ١٨٥﴾.

(كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ) أي كل نفس تذوق طعم مفارقة البدن وتحس به، (وَإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ) أي وإنما تعطون جزاء أعمالكم كاملا وافيا يوم القيامة. وخلاصة الاية إن هناك جنة وناراً، وإن من الناس من يلقى فى هذه ومنهم من يلقى فى تلك، وإن هول النار عظيم، وعبر عن النجاة عنها بالزحزحة كأن كل شخص كان مشرفاً على السقوط فيها، لأن أعمالهم سائقة لهم إلى النار، ولا يدخل الجنة أحد إلا إذا زحزح عن النار، فالزحزحة عنها فوز عظيم. [160]

{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} ﴿الأنعام: ٣٢﴾. {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} أي وما أعمال الحياة إلا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يحقق لهم منفعة دائمة ولذة حقيقية في الحياة الاخرة. وهو جواب لقولهم {إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيا}. {وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} لدوامها واستمرار منافعها ولذاتها، وقوله: {لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ } تنبيه على أن أعمال المتقين ليس فيها لعب ولهو. [161]

---

[159] محمد متولي الشعراوي: "تفسير الشعراوي – الخواطر"، 2 / 898.

[160] أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ): "تفسير المراغي"، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م، 4 / 152.

[161] ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ): "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418 هـ، 2 / 165– 166.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿الكهف: ٢٨﴾.

:{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ } أي: احبس يا محمد نفسك {مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} طرفي النهار {يريدون وجهه} أي: يريدون الله لا يريدون به عرضاً زائلاً من الدنيا. {وَلَا تَعْدُ } أي: لا تصرف ولا تتجاوز {عَيْنَاكَ عَنْهُمْ } إلى غيرهم {تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} أي: طلب مجالسة الأغنياء والأشراف وصحبة أهل الدنيا. {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا} أي جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا يعني: عيينة بن حصن. وقيل: أمية بن خلف {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ } أي رغبته ومراده في طلب الشهوات {وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} قال قتادة ومجاهد: ضياعاً، وقيل: معناه ضيع أمره وعطل أيامه وقيل: مخالفاً للحق. وقال الأخفش: مجاوزاً للحد. سلم الناس وهذا إفراط عظيم. وقيل: ندماً. وقال الفراء: متروكاً. وقيل باطلاً. وقال مقاتل ابن حيان: سرفاً. [162]

الآية نزلت في عيينة بن حصن الفزاري أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء فيهم سلمان وعليه شملة قد عرق فيها وبيده خوصة يشقها ثم ينسجها فقال عيينة للنبي صلى الله عليه وسلم: أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها فإن أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحهم عنك حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلساً. فأنزل الله عز وجل. قال قتادة: نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع يصلون صلاة

[162] محيي السنة، البغوي: " معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي"، 2 / 166- 167.

وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم ". [163]

إن القرآن الكريم قدم لنا معنى الحياة بشكل دقيق للغاية، بين لنا معناها وأن هناك حياتان لا حياة واحدة.. الحياة الدنيا والحياة الأخرى ، وبين لنا بوضوح ودقة متناهية أن الحياة الدنيا مزرعة للأخرى، وأننا سنجازى في الحياة الأخرى على أعمالنا التي عملناها في الحياة الدنيا . وذكر الله سبحانه وتعالى أن قد بعث الرسل للجن والأنس من أجل هذه الغاية {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} ﴿الأنعام: ١٣٠﴾.

لذلك ينبغي القول إن هناك حكمة متكاملة للحياة في كتاب الله سبحانه وتعالى ومعنى متكامل ودقيق، وليس معنى قاصراً بالمعنى الذي يذهب اليه الفرد ادلر حين يرى أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش إلا إذا عرف أن لحياته معنى (وهذا ما يمكن أن نتفق به مع ادلير) ، فنحن لا نتعامل مع الأشياء المختلفة باعتبار ما هي عليه ، لكننا نتعامل معها من خلال ما تعنيه بالنسبة إلينا ، أي أننا لا نتعامل مع أشياء مجردة .. بل نعرفها و نتعامل معها من خلال نواتنا . حتى إذا نظرنا إلى جوهر أي خبرة من خبراتنا اليومية ، فإن هذا الجوهر سيكون متأثراً بوجهة نظرنا الإنسانية ، فالخشب مثلا به معنى مرتبط بنا كبشر ، كما أن كلمة حجر لها معنى فقط كعامل من العوامل المؤثرة في الحياة البشرية . [164]

فالحكماء المسلمون لا ينظرون إلى الحياة من وجهة نظر شخصية وفردية ولكنهم يسترشدون بالوحي من أجل فهم معنى الحياة، والذي يخبرهم أن الحياة الدنيا متاع وأن الحياة

[163] البغوي: "معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي"، 2/ 166 – 167.

[164] ينظر: الفرد أدلر: "معنى الحياة"، ترجمة عادل نجيب بشري، ط1، المجلس الاعلى للثقافة، مصر ، 2005، ص 19.

الاخرة هي الحياة الحقيقية، قال تعالى: {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ} ﴿الرعد: ٢٦﴾.

وهكذا فالحكماء المسلمين يتعاملون مع الأشياء ليس من وجهة نظر مجردة وشخصية كما يفكر ادلر لكنهم يفكرون بالحياة كل الحياة بما فيها من معنى ومغزى من خلال حكمة القرآن.

وهنا يتضح الخلاف مع أدلر إذ يقول: "وكل شخص يحاول أن يأخذ في الاعتبار الظروف المحيطة باستبعاد المعانى المرتبطة بها ، فإنه سيواجه بسوء الحظ لأنه سيعزل نفسه عن الآخرين ، وأفعاله ستصبح عديمة الفائدة لنفسه ولأي شخص آخر ، أي أن هذا الشخص سيصبح عديم المعني " . لكن علينا أن نتذكر أنه لا يوجد إنسان بشرى واحد يستطيع أن يهرب من المعاني ، فإن تعرفنا على الحقائق المحيطة بنا يتم من خلال المعنى الذي نلصقه بهذه الحقائق ، وليس بما هي عليه فعلاً و لكن بما فهمناه منها . ولهذا فمن الطبيعي أن نستنتج أن المعنى ما هو إلا شيء ناقص وغير منتهى بل إننا نستطيع أن نقول إن المعنى لا يمكن أن يكون على صواب دائما ، وعلى هذا فإن مملكة المعاني ما هي إلا مملكة للأخطاء. " [165]

فمعنى الحياة في القرآن الحكيم كامل ونهائي ولا نقص فيه، ويمثل أقصى وصف دقيق لمعنى الحياة :

{وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ، ﴿الكهف: ٤٥﴾.

[165] ينظر: الفرد أدلر: "معنى الحياة"، ص 19.

{وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}، ﴿العنكبوت: ٦٤﴾.

ولذلك فإن الدين لم يفشل كما يذهب إلى ذلك اريك فروم في بيان معنى الحياة، وإن كان يقصد ديانات أخرى، إذ يرى أنه على الرغم من أن أغلبية الناس قد يجيبون في استمارة ما بأنهم يعتقدون في وجود الله ، وحتى رجال الدين أنفسهم يعترفون حالياً بأن الدين ، كما نعرفه ، يحتضر . وتوجد هذه السيرورة منذ قرون ، وتتضاعف سرعتها كلما اقتربنا من عصرنا الحاضر . بما أن للدين دورين مزدوجين ، فإن فشله مزدوج كذلك . وحتى وإن كان المرء مقتنعاً بفكرة الداروينية المتعلقة بتطور العالم وتطور الإنسان كنتيجة للاقتناء أو للتطور الطبيعي ، فإن أطروحة الخلق من طرف الله تظهر أسهل وأبسط لكي تفهم وتقبل من أطروحة كون الإنسان كما هو الآن ، هو حصيلة مبادئ تطورات ودامت مئات الآلاف من السنين ، إما عن طريق الصدفة أو على الأقل عن طريق الاقتناء الطبيعي. إن الطريقة التي يشرح بها الدين الطبيعة هي شيء ، والمبادئ والمثل الأخلاقية لهذا الدين هي شيء آخر . في بداية الأمر لم تكن هاتين الوظيفتين متميزتين عن بعضهما لأسباب كثيرة . السبب الأول هو أن فكرة خلق العالم من طرف إله ما ، يمثل أعلى ذكاء وأعلى حكمة وأعلى قوة ، كانت بالفعل فرضية جيدة وعقلية. [166]

فإننا نرى أن حكمة القرآن قد أوضحت المعنى الدقيق للحياة بشكل دقيق للغاية بما يعين العقل الإنساني على فهم وظيفته الحقيقية فيها. فلا يوجد تناقض في معنى الحياة في الكتاب الحكيم بين معناها الحقيقي وبين الوظيفة الأخلاقية للدين فكلاهما مرتبط ببعض ارتباطاً وثيقاً :

[166] اريك فروم: "حب الحياة: نصوص مختارة"، ترجمة حميد لشهب، تقديم راينر فونك، ط1، جداول للنشر، بيروت، 2015م، ص 114.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

{مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} ﴿هود: ١٥﴾.

{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} ﴿الأعراف: ٣٢﴾.

{الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} ﴿الأعراف: ٥١﴾.

{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} ﴿ابراهيم: ٢٧﴾.

{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} ﴿الكهف: ٤٦﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفصل الثالث

القران والنبوة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة الأولى

(إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)

معنى وحكمة [167]

في اللحظات العصيبة يتجلى الإيمان الحقيقي وتتكشف معادن المؤمنين الحقيقيين وتبدو جلية وواضحة للعيان حقيقة الإيمان وتجليات اليقين. هذه الآيات تكشف كم كان موسى عليه الصلاة والسلام مؤمناً بربه ومتوكلاً عليه وواثقاً أنه سيهديه بالرغم من الظرف العصيب الذي كان يحيط به .

يقول ربنا تبارك وتعالى: (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ (الشعراء: 61 – 66).

ولنتأمل فيما حدث حينها :

---

[167] نشرت في الألوكة، تاريخ الإضافة: 2020/8/18 ميلادي – 1441/12/28 هجري، على الرابط الاتي: https://www.alukah.net/sharia/0/141498/

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اجتمع الجيش من أطراف المدائن وازدحموا على باب فرعون وخرجوا خلف بني إسرائيل مسرعين(فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) وقت طلوع الشمس من المشرق .

(فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعانِ) أي تقاربا إلى أن رأى كل من الجمعين صاحبه قالَ أَصْحابُ مُوسى بعد ما رأوا من خلفهم جيشاً لا يعد ولا يحصى وعن أمامهم البحر الذي لا يمكن العبور عنه (إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) ملحقون يلحقنا العدو الآن وبعد غرقنا في البحر .

قالَ موسى ردعا لهم وازالة لرعبهم (كَلَّا) أي ارتدعوا عن هذا ولا تخافوا عن إدراكهم (إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ) ويلهمني إلى طريق النجاة والخلاص إذ قد وعدني ربي اليوم بالخلاص والنجاة فان وعده سبحانه حق ولا يخلف فصبر الى ان قرب العدو ووصل موسى على شاطئ البحر. [168]

فَأَوْحَى الله سبحانه وتعالى إِلى مُوسى (أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ) فضرب على الفور فَانْفَلَقَ البحر وافترق فرقا فرقا وانقطع قطعا قطعا كثيرة فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ بعد انفلاقه وانقطاعه كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ كالجبل الشامخ المرتفع نحو السماء الثابت في مقره بلا حركة وجري وذهاب وانفرج بين الفلق فرجا وسيعة فسيحة فدخل على الفور موسى بإذن الله وقومه تبعا له في تلك الشعوب والفرج كل سبط بشعب

وَبعد ما دخلوا في شعاب البحر المنفلق (أَزْلَفْنا وقربنا ثَمَّ الْآخَرِينَ) أي قربنا فرعون وقومه هناك يعنى قد وصلوا على شاطئ البحر متعاقبة فرأوهم في شعاب البحر المنفلق على العبور فاقتحموا على الفور أثرهم طامعين النجاة والعبور مثلهم.

[168] نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ): "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية"، دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1999 م، 2/ 43.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقد أَنْجَيْنا مُوسى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ حيث حفظنا البحر على انفلاقه وعدم جريه الى ان عبروا سالمين من تلك الفرج (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ)أي فرعون وقومه جميعاً بعد ما دخلوا مغترين مغرورين في تلك الفرج بإطباق البحر واجرائه واعدام انفلاقه وافتراقه واتصاله على الوجه الذي قد كان عليه قبل الانفلاق حسب وضعه الأصلي. [169]

لذلك ف"إِنَّ فِي ذلِكَ الإنجاء والإغراق على الوجه المذكور لَآيَةً عظيمة دالة على كمال قدرة الله ومتانة حكمته بالنسبة الى ذوى الأبصار والنهى واولى العبر والاعتبار من الأبرار الأخيار المشمرين أذيال الهمم والاهتمام نحو التفكر والتدبر في آثار أوصاف الفاعل المختار وَلكن ما كانَ أَكْثَرُهُمْ اى اكثر الناس المجبولين على فطرة الاستدلال والاعتبار مُؤْمِنِينَ بالله موقنين بتوحيده وبأسمائه الكاملة وأوصافه الشاملة حتى يتأملوا في آثار صفاته ليتمكن لهم الاستدلال بها على ذاته

وَبالجملة إِنَّ رَبَّكَ يا أكمل الرسل لَهُوَ الْعَزِيزُ الغالب على امره القادر المقتدر على اجراء أحكامه وإنفاذ قضائه الرَّحِيمُ المشفق لخلص عباده الموفقين من عنده للوصول الى مبدئهم ومعادهم ." [170]

لم يقل موسى عليه السلام كلمته الخالدة (إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) وهو يعيش حياة هانئة حينها، ولم يكن اليوم وقتها يوماً طبيعياً كسائر الأيام، بل كان يوماً فاصلاً بين الإيمان بالله

[169] نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان: "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية"، 2 / 43 – 44.

[170] نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان: "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية"، 2 / 44.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والعبودية الخالصة له وبين ادعاء فرعون الزائف بربوبيته. جيش كبير يتبع موسى عليه السلام وقومه الذين كان جيش فرعون من أمامهم والبحر من أمامهم.

في تلك اللحظات العصيبة تكشف إيمان موسى عليه السلام ويقينه بربه فقال قولته الخالدة (إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ). والدرس المستخلص من ذلك الموقف العصيب وايمان موسى عليه السلام الراسخ أن ايمان المؤمن الحقيقي يتكشف وقت الشدائد، وأن المحن هي الفاصل بين المؤمن الحقيقي وغيره .

الحكمة الثانية

نداء زكريا الخفي

ذات ليلة قام زكريا يدعو ربه بنداء خفي (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾)...

"أخفاه لأنه أحب إلى الله ... إن الله يعلم القلب التقي، ويسمع الصوت الخفي".

"قَامَ مِنَ اللَّيْلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ نَامَ أَصْحَابُهُ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ يَقُولُ خُفْيَةً: يَا رَبِّ، يَا رب، يا رب، فقال الله له: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) أَيْ ضَعُفَتْ وَخَارَتِ الْقُوَى (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)، أَيِ اضْطَرَمَ الْمَشِيبُ فِي السَّوَادِ" ...

كان هذا السلاح، سلاح النداء الخفي في جوف الليل إذ لا أحد يسمع ذلك النداء الا الله سبحانه وتعالى سلاح نبي كريم من الأنبياء، " وَكَانَ نَبِيًّا عَظِيمًا مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.. كان نجارا يأكل من عمل يده فِي النِّجَارَةِ ."

سلاح الأنبياء نداء خفي في جوف الليل لا يسمعه أحد الا الله... [171]

[171] ينظر تفسير الآيات: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق محمد حسين شمس الدين، 5/ 178.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة الثالثة

حكمة يونسية

(لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) [172]

سبحان الله، في لحظة ما، في زمان في مكان ما، أخذت أتأمل في تلك اللحظات التي كان فيها يونس عليه السلام في بطن الحوت.

تخيل وتأمل رجل يلتقمه الحوت، فيمضي به بعيداً إلى أعماق البحر السحيقة، فيكون في ظلمات ثلاث: ظلمة البحر، وظلمة الحوت، وظلمة الليل؟

هلا تأملاتها الان مع نفسك؟

امنح لعقلك المجال لأن تتأمل تلك اللحظات!

وتابع ما يأتي، فسيعينك أكثر للتأمل في هذه (الحكمة اليونسية):

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: " بعثه الله، يعني يونس إلى أهل قريته، فردّوا عليه ما جاءهم به وامتنعوا منه، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه: إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا، فاخرج من بين أظهرهم، فأعلم قومه الذي وعده الله من عذابه إياهم، فقالوا: ارمقوه،

---

[172] نشرت في مدونة الحكمة الإسلامية، بتاريخ 17/ 6 / 2018م، على الرابط الاتي:
https://rawaamahmoudhussain.wordpress.com/

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فإن خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم، فلما كانت الليلة التي وُعدوا بالعذاب في صبحها أدلج ورآه القوم، فخرجوا من القرية إلى براز من أرضهم، وفرّقوا بين كل دابة وولدها، ثم عجوا إلى الله، فاستقالوه، فأقالهم، وتنظّر يونس الخبر عن القرية وأهلها، حتى مر به مار، فقال: ما فعل أهل القرية؟ فقال: فعلوا أن نبيهم خرج من بين أظهرهم، عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب، فخرجوا من قريتهم إلى براز من الأرض، ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها، وعجُّوا إلى الله وتابوا إليه، فقبل منهم، وأخَّر عنهم العذاب، قال: فقال يونس عند ذلك وغضب: والله لا أرجع إليهم كذّابا أبدا، وعدتهم العذاب في يوم ثم رُدّ عنهم، ومضى على وجهه مغاضباً". [173]

عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ} [الأنبياء: 87] قَالَ: " أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْحُوتِ أَنْ لَا تَضُرِّي لَهُ عَظْمًا وَلَا لَحْمًا، ثُمَّ ابْتَلَعَهُ حُوتٌ آخَرُ {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ} [الأنبياء: 87]: ظُلْمَةُ الْحُوتِ، وَحُوتٍ آخَرَ، وَظُلْمَةُ الْبَحْرِ". [174]

وعن قتادة، قوله (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ) قال: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت. [175]

وَقَوله: {فَنَادَى فِي الظُّلُمَات} فِي الْقِصَّة: أَنه لما ذهب ركب السَّفِينَة، وَفِي السَّفِينَة قوم كثير، فجَاء حوت وَحبس السَّفِينَة، وخشي الْقَوْم على أنفسهم الْهَلَاك، وتنبه يُونُس أَنه هُوَ المُرَاد فَقَالَ: ألقوني تنجوا، فامتنعوا عَن ذَلِك، ثمَّ إِنَّهُم استهموا فَخرج السهْم عَلَيْهِ مَرَّات، فألقوه فالتقمه الْحُوت، وَمَرَّتْ السَّفِينَة، قَالَ سَالم بن أبي الْجَعْد: والتقم الْحُوت حوت آخر.

---

[173] أبو جعفر الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن"، 18 / 512.

[174] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): "الزهد"، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 1999 م، ص 31.

[175] أبو جعفر الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن"، 18/ 516.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَأما قَوْله: {فَنَادَى فِي الظُّلُمَات} أَي: ظلمَة اللَّيْل، وظلمة الْبَحْر، وظلمة بطن الْحُوت، قَالَ ابْن عَبَّاس: مكث فِيهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَعَن غَيره: ثَلَاثَة أَيَّام، وَرُوِيَ أَنه لما دَعَا بِهَذِهِ الدعْوَة سَمِعت الْمَلَائِكَة صَوته، فَقَالُوا: يَا رب صَوت مَعْرُوف من مَكَان مَجْهُول، فَقَالَ الله تَعَالَى: هُوَ عَبدِي يُونُس جعلت بطن الْحُوت سجنا لَهُ فدعوا.

وَفِي الْقِصَّة: أَن الْحُوت مر بِهِ إِلَى الأَرْض السَّابِعَة، وَسمع من تَسْبِيح الْأَرْضين والأحجار ودواب الْبحار أمرا عَظِيما، فَنَادَى فِي الظُّلُمَات: {أَن لَا إِلَه إِلَّا أَنْت سُبْحَانَكَ إِنِّي كنت من الظَّالِمين}

وَقَوله تَعَالَى: {فاستجبنا لَهُ} يَعْنِي: أجبناه.

وَقَوله: {ونجيناه من الْغم} أَي: من غم الْبَحْر وضيق الْمَكَان.

{وَكَذَلِكَ ننجي الْمُؤمنِينَ}. [176]

(لا إله إلا أنت سبحانك) يعني تنزيهاً من أن يعجزك شيء (إني كنت من الظالمين) الذين يظلمون أنفسهم، وأول هذا الدعاء تهليل وأوسطه تسبيح وآخره إقرار بالذنب. [177]

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ قَالَ: لَمَّا الْتَقَمَ الْحُوتُ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ فَطَوَّلَ رِجْلَيْهِ فَإِذَا هُوَ لَمْ يَمُتْ فَقَامَ إِلَى عَادَتِهِ يُصَلِّي فَقَالَ فِي دُعَائِهِ:" وَاتَّخَذْتُ لَكَ مَسْجِدًا حَيْثُ لَمْ يَتَّخِذْهُ أَحَدٌ". [178]

---

[176] أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ): " تفسير القرآن"، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، 1418هـ- 1997م 3/ 403 – 404.

[177] أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي : " فتح البيان في مقاصد القران"، 9/ 366.

[178] القرطبي: " الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، 333/12.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يقول الأستاذ النورسي في اللمعة الأولى من كتابه: " اللمعات":

" ان مناجاة سيدنا يونس بن متى – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – هي من أعظم انواع المناجاة واروعها، ومن ابلغ الوسائل لاستجابة الدعاء وقبوله.

تتلخص قصته المشهورة بأنه – عليه السلام – قد أُلقي به الى البحر، فالتقمه الحوت، وغشيته امواج البحر الهائجة، واسدل الليل البهيم ستاره المظلم عليه. فداهمته الرهبة والخوف من كل مكان وانقطعت امامه اسباب الرجاء وانسدت ابواب الامل.. وإذا بمناجاته الرقيقة وتضرعه الخالص الزكي:

﴿لا إله إلاّ أنتَ سُبحانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظالمين﴾ (الانبياء:87) يصبح له في تلك الحالة واسطة نجاة ووسيلة خلاص". [179]

ويبين الأستاذ النورسي (سر هذه المناجاة العظيم)، فيقول:

"ان الاسباب المادية قد هوت كلياً في ذلك الوضع المرعب، وسقطت نهائياً فلم تحرك ساكناً ولم تترك أثراً، وذلك لان الذي يستطيع ان ينقذه من تلك الحالة، ليس الاّ ذلك الذي تنفذ قدرتُه في الحوت، وتهيمن على البحر وتستولي على الليل وجو السماء؛ حيث أن كلا من الليل الحالك والبحر الهائج والحوت الهائل قد اتفق على الانقضاض عليه، فلا ينجيه سبب، ولا يخلصه أحد، ولا يوصِله الى ساحل السلامة بأمان، الاّ من بيده مقاليد الليل وزمام البحر والحوت معاً، ومَن يسخّر كل شيء تحت امره.. حتى لو كان الخلق اجمعين تحت خدمته عليه السلام ورهن اشارته في ذلك الموقف الرهيب، ما كانوا ينفعونه بشيء! "[180]

[179] النورسي: "اللمعات"، ترجمة إحسان قاسم الصالحي"، ط6، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، 2011، ص 6.

[180] النورسي: "اللمعات"، ص 6.

ويضيف الأستاذ النورسي: "

"أجل لا تأثير للأسباب قط.. فما أن رأى عليه السلام بعين اليقين ألاّ ملجأ له من امره تعالى إلاّ اللواذ الى كنف مسبب الاسباب، انكشف له سرُّ الأحدية من خلال نور التوحيد الساطع، حتى سخرتْ له تلك المناجاةُ الخالصة الليل والبحر والحوت معاً، بل تحوّل له بنور التوحيد الخالص بطنُ الحوت المظلمة الى ما يشبه جوف غواصة أمينة هادئة تسير تحت البحر، وأصبح ذلك البحر الهائج بالأمواج المتلاطمة ما يشبه المتنزه الآمن الهادئ، وانقشعت الغيوم عن وجه السماء – بتلك المناجاة – وكشف القمر عن وجهه المنير كأنه مصباح وضيء يتدلى فوق رأسه..

وهكذا غدت تلك المخلوقات التي كانت تهدده وترعبه من كل صوب وتضيق عليه الخناق، غدت الآن تسفر له عن وجه الصداقة، وتتقرب اليه بالود والحنان، حتى خرج الى شاطئ السلامة وشاهد لطف الرب الرحيم تحت شجرة اليقطين.

فلننظر بنور تلك المناجاة الى أنفسنا.." [181]

ويقول الأستاذ النورسي عن بحر الدنيا الذي نحن فيه:

" وبحرنا، هو بحر الكرة الارضية، فكل موجة من امواج هذا البحر المتلاطم تحمل آلاف الجنائز، هو ما نحمله من نفس أمارة بالسوء، فهي حوت يريد ان يلتقم حياتنا الابدية ويمحقها.... حوتنا نحن يحاول افناء مئات الملايين من سني حياة خالدة هنيئة رغيدة. ".

ولكي نخرج من البحر الذي غرقنا فيه، وهو بحر الدنيا، يقول النورسي:

"فما دامت حقيقة وضعنا هذه، فما علينا اذاً إلاّ الاقتداء بسيدنا يونس عليه السلام والسير على هديه، معرضين عن الاسباب جميعاً، مقبلين كلياً الى ربّنا الذي هو مسبب الاسباب متوجهين

[181] النورسي: "اللمعات"، ص 6 – 7.

اليه بقلوبنا وجوارحنا، ملتجئين اليه سبحانه قائلين : ﴿لا إله إلاّ أنتَ سُبحانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظالمين﴾(الانبياء:87) مدركين بعين اليقين ان قد ائتمر علينا – بسبب غفلتنا وضلالنا – مستقبلُنا الذي يرتقبنا، ودنيانا التي تضمنا، ونفوسُنا الامارة بالسوء التي بين جنبينا، موقنين كذلك انه لا يقدر ان يدفع عنا مخاوف المستقبل واوهامه، ولا يزيل عنا اهوال الدنيا ومصائبها، ولا يبعد عنا اضرار النفس الامارة بالسوء ودسائسها، الاّ من كان المستقبل تحت أمره، والدنيا تحت حكمه، وانفسنا تحت ادارته".

ويضيف الأستاذ النورسي أخيراً:

" ...فما دامت هذه حقيقة وضعنا فما علينا إلاّ ان نرفع اكفّ الضراعة اليه سبحانه متوسلين، مستعطفين نظر رحمته الربانية الينا، اقتداء بسر تلك المناجاة الرائعة التي سخّرت الحوت لسيدنا يونس عليه السلام كأنه غواصة تسير تحت البحر، وحولت البحر متنزها جميلا، وألبست الليل جلباب النور الوضيء بالبدر الساطع. فنقول: ﴿لا إله إلاّ أنتَ سُبحانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظالمين﴾ (الانبياء:87). فنلفت بها نظر الرحمة الإلهية الى مستقبلنا بقولنا: ﴿لا إله إلاّ أنتَ﴾. ونلفتها الى دنيانا بكلمة: ﴿سُبحانَكَ﴾ ونرجوها ان تنظر الى أنفسنا بنظر الرأفة والشفقة بجملة: ﴿إنّي كُنْتُ مِنَ الظالمين﴾ كي يعم مستقبلنا نور الايمان وضياء بدر القرآن، وينقلب رعب ليلنا ودهشته الى أمن الانس وطمأنينة البهجة.... ". [182]

[182] النورسي: "اللمعات"، ص 7. شكراً للأستاذ إحسان قاسم الصالحي الذي نبهنا لكلام الأستاذ النورسي في هذه اللمعة من كتاب "اللمعات".

الحكمة الرابعة

قميص يوسف

يرد ذكر قميص يوسف في سورة يوسف عليه السلام مرات عدة في سياقات مختلفة. وذلك في الايات الكريمة الاتية:

1-{وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ} ﴿يوسف: ١٨﴾.

2-{وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ﴿يوسف: ٢٥﴾.

3-{قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} ﴿يوسف: ٢٦﴾.

4-{وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ} ﴿يوسف: ٢٧﴾.

5-{فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} ﴿يوسف: ٢٨﴾.

6-{اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ} ﴿يوسف: ٩٣﴾.

قميص يوسف بيد إخوته:

ونلحظ أن (قميص يوسف) عليه السلام له علاقة وثيقة بتسلسل الأحداث في السورة من أولها إلى آخرها. فبعد أن اتفقت كلمة الإخوة على رأي واحد في قضية التخلص من يوسف عليه السلام، بعد نقاش بينهم: {لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾} (يوسف: 7 – 10).

وبعد وضع الخطة بينهم، اتجهوا ليقنعوا آباهم بأن يأخذوا يوسف معهم:

{قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾} (يوسف: 11–14).

وحين حان وقت تنفيذ الخطة، بعد أن أخذوا يوسف معهم في تلك الرحلة، وبعد أن جعلوه في غياب الجب، رجعوا إلى أبيهم وبيدهم القميص وعليه الدم من أجل أن يقنعوا آباهم أن الذئب قد أكل آخاهم يوسف عليه السلام.

يقول الله سبحانه وتعالى واصفاً ذلك: {وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾} (يوسف: 16 – 18).

عن السدي، قال: "فبكى الشيخ وصاح بأعلى صوته ثم قال: أين القميص؟ فجاءوا بقميصه عليه دم كذب فأخذ القميص، فطرحه على وجهه، ثم بكى حتى خضب وجهه من دم القميص. ثم قال: إن هذا الذئب يا بني لرحيم، فكيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه؟" [183]

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: (وجاؤوا على قميصه بدم كذب) ، وسماه الله"كذبًا" لأن الذين جاؤوا بالقميص وهو فيه، كذَبوا، فقالوا ليعقوب:"هو دم يوسف"، ولم يكن دمه، وإنما كان دم سَخْلةٍ، فيما قيل. [184]

وقوله تعالى: {وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ} يقول تعالى: وجاء إخوة يوسف أباهم بعد ما ألقوا يوسف في غيابة الجب عشاءً يبكون, وروي عن السدي قال: أقبلوا إلى أبيهم عشاءً يبكون, فلما سمع أصواتهم فزع, وقال: مالكم يا بني: هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا, قال: فما فعل يوسف؟ قالوا: {يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ} فبكى الشيخ, وصاح بأعلى صوته, وقال: أين القميص؟ فجاءوه بالقميص, عليه دم كذب, فأخذ القميص وطرحه على وجهه وبكى, حتى تخضب وجهه من دم القميص. ومعنى قولهم نستبق: نفتعل من السباق. وقوله تعالى: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا} يقولون: بِمُصَدِّقِنَا عَلَى قولنا أن يوسف أكله الذئب, {وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} , فإن قال قائل: وما معنى قوله: {وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} أخبر عنهم أنهم غير صادقين, فذلك تكذيب منهم أنفسهم, أم خبر منهم عن أبيهم أنه لا يصدقهم لو صدقوه, فقد علمت أنهم لو

---

[183] أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب: " تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم"، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة – 1419 هـ، 7/ 111.

[184] أبو جعفر الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن"، 15/ 579.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صدقوا أباهم الخبر لصدقهم؟ قيل معنى ذلك: وما أنت بمصدق لنا ولو كنا من أهل الصدق الذين لا يُتَّهَمُونَ لِسُوءِ ظنك بنا وَتُهْمَتِك لَنَا.

وقوله تعالى: {وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} أي: وجاءوا على قميص يوسف بدم كذب أي: ذي كذب". [185]

وذكر السيوطي عدداً من الروايات في تفسير قوله تعالى: {وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ}، منها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما {وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} قال: لما أتي يعقوب بقميص يوسف عليه السلام فلم ير فيه خرقا قال كذبتم لو كان كما تقولون أكله الذئب لخرق القميص.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن الحسن رضي الله عنه قال: "لما جيء بقميص يوسف عليه السلام إلى يعقوب عليه السلام جعل يقلبه فيرى أثر الدم ولا يرى فيه شقا ولا خرقا فقال: يا بني والله ما كنت أعهد الذئب حليما إذ أكل ابني وأبقى قميصه".

وأخرج ابن جرير عن الشعبي رضي الله عنه قال: ذبحوا جدياً ولطخوه بدمه فلما نظر يعقوب إلى القميص صحيحا عرف أن القوم كذبوه فقال لهم: ان كان هذا الذئب لحليما حيث رحم

[185] البرهان في علوم القرآن للإمام الحَوفيّ – سورة يوسف دارسة وتحقيقا رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن المؤلف: علي بن إبراهيم بن سعيد، أبو الحسن الحوفي (المتوفى: 430 هـ) اسم الباحث: إبراهيم عناني عطية عناني تحت إشراف: السيد سيد أحمد نجم الجامعة: جامعة المدينة العالمية – كلية العلوم الإسلامية قسم القرآن الكريم وعلومه، ماليزيا العام الجامعي: 1436 هـ – 2015 م، ص 148.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

القميص ولم يرحم ابني". وأخرج ابن جرير عن قتادة رضي الله عنه قال: "لما أتوا نبي الله يعقوب بقميصه قال: ما أرى أثر سبع ولا طعن ولا خرق". [186]

قميص يوسف بيد امرأة العزيز:

بين الله سبحانه وتعالى أن يوسف عليه السلام بعد أن وجدته السيارة في البئر قد شروه بثمن بخس دراهم معدودة وأن الذي اشتراه من مصر قد طلب من امرأته أن تكرم مثواه، فقال تعالى:

{وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ } (يوسف: 21 – 22).

لكن الذي حدث أن امرأة العزيز كان لها غرض آخر من يوسف عليه السلام، قال تعالى:

{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾

[186] جلال الدين السيوطي: " الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، 4/ 513.

فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾} (يوسف: 23-28).

وهنا نرى مشهداً آخر من مشاهد سورة يوسف عليه السلام إذ يكون القميص فيها في قلب الأحداث من جديد.

قوله تعالى: {وَاسْتَبَقَا الْبَابَ} روي أن يوسف اتجه للباب ليفتحه ويخرج، ولكن المرأة بادرت الباب فامسكت به فلا يخرج يوسف منه، فسبق يوسف إلى الباب وأدركته المرأة وأخذت بثوبه وشقته من دبر؛ وهذا معنى قوله: {وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ} أي: شقت. وقوله: {وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ} يعني: وجدا زوج المرأة عند الباب فبادرت المرأة {قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا} ثم خافت عليه أن يقتل فقالت: {إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ضرب بالسياط. [187]

فلما سمع يوسف مقالتها {قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ} يعني: هي طلبت مني الفاحشة. وقوله: { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا} فيه قولان: أحدهما: إن الشاهد كان رجلاً حكيماً من قرابات المرأة وكان قائماً مع زوجها فسمع الجلبة من وراء الباب ورأى شق القميص فقال القول وهو قوله تعالى: {إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} الآية. والقول الثاني: إن الشاهد كان صبياً في المهد قال هذا القول، وهذا قول أبي هريرة وسعيد بن جبير والضحاك، وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس. قال أبو هريرة: " تكلم ثلاثة من الصبيان في المهد: عيسى ابن مريم صلوات الله عليه (وصاحب) جريج وشاهد يوسف". [188]

[187] السمعاني: " تفسير القرآن"، 3/ 24.

[188] السمعاني: "تفسير القران"، 3/24-25.

وقوله: {فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ} عرف أن الذنب لها { قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} وفي القصة: أنه كان قليل الحمية والغيرة، ثم قال ليوسف: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ} يعني: لا تذكر هذا حتى يشيع، ثم قال للمرأة: { وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ} توبي إلى الله تعالى { إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ} ظاهر المعنى. [189]

وقوله: {هِيَ رَاوَدَتْنِي} لما كذبت عليه دافع عن نفسه بالصدق ولو كفت عن كذبها لكف عن الصدق، ولو خلص حبها من الشهوة لما كذبت عليه {شَاهِدٌ} صبي أنطقه الله – تعالى – في مهده، أو خلق من خلق الله – تعالى – ليس بإنس ولا جن، أو حكيم {مِّنْ أَهْلِهَآ} ابن عمها، أو شهادة القميص المقدود لو كان مقدوداً من قُبُل لَدلَّ على الطلب لكنه قد من دُبُر فَدَلَّ على الهرب. [190]

لحظة تناسي الآلام:

العجيب أن سيدنا يوسف عليه السلام لحظتها كان قد تناسى كل الآلام (بعده عن أبيه يعقوب عليه السلام، مؤامرات أخوته ضده، غربة البئر والسيارة، غواية إمرأة العزيز ، ومحنة السجن وآلامه) وانشغل حينها بقضية واحدة (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن

[189] السمعاني: "تفسير القران"، 3/25-26.

[190] تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي) المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ) المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي الناشر: دار ابن حزم – بيروت الطبعة: الأولى، 1416هـ/ 1996م، 2/ 117.

سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾.{

قضية التوحيد التي نذر لها عمره كله، وكذلك فعل أباؤه الكرام من قبل: { وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ }...

والسؤال المستنبط من (سجن يوسف) :

هل ستنشغل يا عبد الله بالتوحيد كما فعل يوسف وآباؤه الكرام من قبل؟ !

فصبر جميل:

ظل يعقوب عليه السلام مصراً على أن يواجه الآلام التي مر بها (بالصبر الجميل):

قال تعالى: { وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ }.

وقال سبحانه: { قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ }...

فجزاه الله سبحانه وتعالى بأن رد عليه بصره وابنه وحبيبه يوسفاً عليه الصلاة والسلام وأصلح حال وأولاده، وجمعه بهم جميعاً، وكشف عنه كل ما فيه من هم وغم ..

اعلم أن الصبر الجميل منهاج الأنبياء، يقول الله سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه عليه الصلاة والسلام: { فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ } ...

فهما بلغت الآلام والمحن فعلاجها صبر جميل... ريثما تتكشف المحنة، ويستبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر..

تأمل في قوله تعالى: {إنما أشكو بثي وحزني إلى الله }:

هل أنت مهموم؟

هل أنت حزين؟

هل عصفت بك الأحزان والأشجان لفقد قريب، أو صديق، أو أي شيء اخر، تعال معي لنتأمل تلك اللحظة التي خرجت فيها تلك الكلمة الصادقة من فم واحد من أطهر الناس وأكرمهم على الله تعالى، إنه نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام، وهذه الوقفة اختصرتها لك من تفسير الإمام الطبري رحمه الله :

{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (86)}

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال يعقوب للقائلين له من ولده: تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ: لست إليكم أشكو بثي وحزني، وإنما أشكو ذلك إلى الله. ويعني بقوله: (إنما أشكو بثي)، ما أشكو هَمِّي وحزني إلا إلى الله.

عن ابن جريج: (إنما أشكو بثي) ، قال ابن عباس: " بثي"، همي.

عن ابن إسحاق قال: قال يعقوب عَنْ عِلْمٍ بالله: (إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون) ، لما رأى من فظاظتهم وغلظتهم وسوء لَفْظهم له: (41) لم أشك ذلك إليكم ، (وأعلم من الله ما لا تعلمون).

عن الحسن: (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) قال: حاجتي وحزني إلى الله. [191]

وقيل: إن " البثّ"، أشد الحزن، (42) وهو عندي من: " بَثّ الحديث "، وإنما يراد منه: إنما أشكو خبري الذي أنا فيه من الهمّ، وأبثُّ حديثي وحزني إلى الله.

عن الحسن، (إنما أشكو بثي)، قال: حزني.

وعن الحسن: (إنما أشكو بثي وحزني)، قال: حاجتي[192].

وأما قوله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) فإن ابن عباس كان يقول في ذلك فيما ذكر عنه ما– :

عن ابن عباس، في قوله: (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يقول: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني سأسجد له.

عن السدي قال: (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون) ، قال: لما أخبروه بدعاء الملك، أحسَّت نفسُ يعقوب وقال: ما يكون في الأرض صِدِّيق إلا نبيّ ! فطمع قال: لعله يوسف(43) .

[191] تفسير الطبري، تحقيق شاكر، 16 / 225 – 226.

[192] تفسير الطبري، تحقيق شاكر، 16/ 226– 227.

عن قتادة: (قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) الآية ، ذكر لنا أن نبي الله يعقوب لم ينزل به بلاءٌ قط إلا أتى حُسْنَ ظنّه بالله من ورائه.

عن الحسن قال، قيل: ما بلغ وجدُ يعقوب على ابنه؟ قال: وجد سبعين ثكلى! قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مئة شهيدٍ. قال: وما ساء ظنه بالله ساعةً من ليل ولا نهارٍ.

عن المبارك بن مجاهد، عن رجل من الأزد، عن طلحة بن مصرِّف الإيامي قال، ثلاثة لا تذْكُرْهنّ واجتنب ذكرهُنّ: لا تشك مَرَضَك، ولا تَشكُّ مصيبتك ، ولا تزكِّ نفسك . قال: وأنبئت أنّ يعقوب بن إسحاق دخل عليه جار له ، فقال له: يا يعقوب ما لي أراك قد انهشمت وفنيتَ، ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك؟ قال: هَشَمني وأفناني ما ابتلاني الله به من همّ يوسف وذكره! فأوحى الله إليه: يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي؟ فقال: يا رب خطيئة أخطأتُها، فاغفرها لي! قال: فإني قد غفرت لك . وكان بعد ذلك إذا سئل قال، (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون).

عن حبيب بن أبي ثابت قال، بلغني أن يعقوب كبر حتى سقط حاجبَاه على وجنتيه، فكان يرفعهما بخِرْقَة، فقال له رجل: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان. فأوحى الله إليه: يا يعقوب تشكوني؟ قال: خطيئة فاغفرها.

وعن ثور بن يزيد قال: دخل يعقوب على فرعون وقد سقط حاجبَاه على عينيه، فقال: ما بلغ بك هذا يا إبراهيم؟ فقالوا: إنّه يعقوب، فقال: ما بلغ بك هذا يا يعقوب؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان. فقال الله: يا يعقوب أتشكوني؟ فقال: يا رب خطيئة أخطأتها، فاغفرها لي. [193]

[193] تفسير الطبري، تحقيق شاكر، 16/ 227 – 228.

وعن ليث بن أبي سليم قال، دخل جبريل على يوسف السجنَ، فعرفه، فقال: أيها المَلَكُ الحسن وجهه، الطيبة ريحُه، الكريمُ على ربه، ألا تخبرني عن يعقوب أحيٌّ هو؟ قال: نعم. قال: أيها الملك الحسنُ وجههُ، الطيبة ريحه، الكريم على ربه، فما بلغ من حزنه؟ قال: حزن سبعين مُثْكِلة. قال: أيها الملك الحسن وجهه، الطيبة ريحه، الكريم على ربه، فهل في ذلك من أجر؟ قال: أجر مئة شهيد.

عن مجاهد قال: حُدّثت أن جبريل أتى يوسف صلى الله عليه وسلم وهو بمصر في صورة رجل، فلما رآه يوسف عرَفه، فقام إليه: فقال: أيها الملك الطيبُ ريحه، الطاهرُ ثيابه، الكريم على ربه، هل لك بيعقوب من علم؟ قال: نعم! قال: أيها الملك الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، فكيف هو؟ قال: ذهب بصره. قال: أيها الملك الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، وما الذي أذهب بصره؟ قال: الحزنُ عليك. قال: أيها الملك الطيب ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، فما أعطي على ذلك؟ قال: أجر سبعين شهيدًا. [194]

وقال أبو شريح: سمعت من يحدث أن يوسف سأل جبريل: ما بلغ من حزن يعقوب؟ قال: حزن سبعين ثكلى. قال: فما بلغ أجره؟ قال: أجر سبعين شهيدًا.

وعن عبيد الله بن أبي جعفر قال، دخل جبريل على يوسف في البئر أو في السجن، فقال له يوسف: يا جبريل، ما بلغ حزن أبي؟ قال: حزن سبعين ثكلى. قال: فما بلغ أجره من الله؟ قال: أجر مئة شهيدٍ.

وعن عبد الصمد بن معقل قال، سمعت وهب بن منبه يقول: أتى جبريل يوسف بالبشرى وهو في السجن. فقال: هل تعرفني أيها الصِّدِّيق؟ قال: أرى صورة طاهرة ورُوحًا طيبة لا تشبه

[194] تفسير الطبري، تحقيق شاكر، 16/ 228 – 229.

أرواح الخاطئين. قال: فإني رسول رب العالمين، وأنا الروح الأمين. قال: فما الذي أدخلك على مُدْخَل المذنبين، وأنت أطيب الطيبين، ورأس المقربين، وأمين رب العالمين؟ قال: ألم تعلم يا يوسف أن الله يطّهر البيوت بطُهْر النبيين، وأن الأرض التي يدخلونها هي أطهر الأرَضِين، وأن الله قد طهَّر بك السجن وما حوله يا أطهر الطاهرين وابن المطهَّرين؟ (44) إنما يتطهر بفضل طهرك وطهر آبائك الصالحين المخلَصِين! قال: كيف لي باسم الصّدِّيقين، وتعدُّني من المخلصين، وقد أدخلت مُدْخَل المذنبين، وسميت في الضالين المفسدين؟ (45) قال: لم يُفْتَتَنْ قلبُك، ولم تطع سيدتك في معصية ربك، ولذلك سمَّاك الله في الصديقين، وعدّك من المخلَصين، وألحقك بآبائك الصالحين. قال: لك علم بيعقوب أيها الروح الأمين؟ قال: نعم، وهبه الله الصبر الجميل، وابتلاه بالحزن عليك، فهو كظيم. قال: فما قَدْرُ حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى. قال: فماذا له من الأجر يا جبريل؟ قال: قدر مئة شهيدٍ.

وعن ثابت البناني قال، دخل جبريل على يوسف في السجن ، فعرفه يوسف قال، فأتاه فسلم عليه ، فقال: أيها الملك الطيبُ ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل لك من علم بيعقوب؟ قال: نعم . قال: أيها الملك الطيبُ ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل تدري ما فعل؟ قال: ابيضَّت عيناه . قال: أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، ممّ ذاك؟ قال: من الحزن عليك. (46) قال، أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، وما بلغ من حزنه؟ قال: حزن سبعين مُثْكِلة . قال: أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل له على ذلك من أجر؟ قال: نعم أجر مئة شهيدٍ. [195]

وعن السدي قال، أتى جبرئيل يوسف وهو في السجن فسلّم عليه ، وجاءه في صورة رجلٍ حسن الوجه طيّب الريح نقيّ الثياب ، فقال له يوسف: أيها المَلك الحسن وجهه ، الكريم على ربه

[195] تفسير الطبري، تحقيق شاكر، 16/ 229 – 230.

، الطيب ريحه ، حدثني كيف يعقوب؟ قال: حزن عليك حزنًا شديدًا . قال: وما بلغ من حزنه؟ قال: حزن سبعين مُثْكِلة . قال: فما بلغ من أجره؟ قال: أجر سبعين أو مئة شهيدٍ . قال يوسف: فإلى من أوَى بعدي؟ قال: إلى أخيك بنيامين . قال: فتراني ألقاه أبدًا؟ قال: نعم . فبكى يوسف لما لقي أبوه بعده ، ثم قال: ما أبالي ما لقيت إنِ اللهُ أرانيه.

وعن عمرو بن دينار ، عن عكرمة قال، أتى جبريل يوسف وهو في السجن ، فسلم عليه ، فقال له يوسف، أيها الملك الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، هل لك من علم بيعقوب؟ قال: نعم ما أشد حزنه ! قال: أيها الملك الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، ماذا لَه من الأجر؟ قال: أجر سبعين شهيدًا . قال: أفتراني لاقيه؟ قال: نعم . قال: فطابت نفس يوسف. [196]

قميص يوسف بيد البشير:

يقول الله سبحانه وتعالى: {فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [يوسف: 96].

ذكر الطبري أقوال المفسرين في تفسير الآية الكريمة. فأشار أنه لما أن جاء يعقوب البشير من عند ابنه يوسف، وهو المبشر برسالة يوسف، وذلك بريد فيما ذكر كان يوسف يرده إليه، وكان البريد فيما ذكر والبشير يهوذا بن يعقوب أخا يوسف لأبيه . عن ابن عباس: "البشير: البريد" عن مجاهد، في قوله : (البشير) قال: «يهوذا بن يعقوب». قال يهوذا: أنا ذهبت بالقميص

[196] تفسير الطبري، تحقيق شاكر، 16/ 230 – 231.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ملطخاً بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب، وأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنه حي، فأفرحه كما أحزنته، فهو كان البشير". وقوله: {أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ} [يوسف: 96] يقول: ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب، ألقى القميص على وجهه "وقوله: {فَارْتَدَّ بَصِيرًا} [يوسف: 96] يقول: رجع وعاد مبصراً بعينيه بعد ما قد عمي {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [يوسف: 96] يقول عز وجل: قال يعقوب لمن كان بحضرته حينئذ من ولده: ألم أقل لكم يا بني إني أعلم من الله أنه سيرد علي يوسف، ويجمع بيني وبينه، وكنتم لا تعلمون أنتم من ذلك ما كنت أعلمه، لأن رؤيا يوسف كانت صادقة، وكان الله قد قضى أن أخر أنا وأنتم له سجوداً، فكنت موقناً بقضائه. [197]

عن وهب بن منبه قال: لما كان من أمر إخوة يوسف ما كان، كتب يعقوب إلى يوسف وهو لا يعلم أنه يوسف:

بسم الله الرحمن الرحيم، من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم إلى عزيز آل فرعون، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنا أهل بيت مولع بنا أسباب البلاء، كان جدي إبراهيم خليل الله ألقي في النار في طاعة ربه، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، وأمر الله جدي أن يذبح له أبي ففداه الله بما فداه، وكان لي ابن وكان من أحب الناس إلي ففقدته، فأذهب حزني عليه نور بصري، وكان له أخ من أمه كنت إذا ذكرته ضممته إلى صدري فأذهب عني بعض

[197] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ): "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م، 13/ 343 - 346.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجدي، وهو المحبوس عندك في السرقة، وإني أخبرك أني لم أسرق، ولم ألد سارقًا فلما قرأ يوسف الكتاب بكى وصاح وقال:

{اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا}. [198]

[198] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ): " فتح القدير"، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – 1414 هـ، 3/ 65.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة الخامسة

ضيف إبراهيم المكرمين

قال الله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ}.

المطلع على الاية منذ أول وهلة يرى أن الملائكة أتوا إبراهيم في صورة الأضياف يأكلون ويشربون وبشروه بغلام عليم، وعجبت امرأته من ذلك فأخبرتها الملائكة أن الله قال ذلك. ولم يتجاوز التدبر غير ذلك. [199]

لكن ابن القيم يكشف عن الكثير من الأسرار في هذه الآيات المباركات. فقد تضمنت من الثناء على إبراهيم، وجمعت أصول الضيافة وحقوقها، وتضمنت الرد على أهل الباطل من الفلاسفة والمعطلة، وتضمنت علما عظيماً من أعلام النبوة، وتضمنت جميع صفات الكمال التي ردها إلى العلم والحكمة، وتضمنت الأخبار عن عدل الرب وانتقامه من الأمم المكذبة وتضمنت ذكر الإسلام والإيمان والفرق بينهما، وتضمنت بقاء آيات الرب الدالة على توحيده وصدق رسله وعلى

[199] ابن قيم الجوزية: "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه"، ص 63.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اليوم الآخر، وتضمنت انه لا ينتفع بهذا كله إلا من في قلبه خوف من عذاب الآخرة وهم المؤمنون بها، وأما من لا يخاف الآخرة ولا يؤمن بها فلا ينتفع بتلك الآيات ... [200]

ويسرد ابن القيم بعض التفاصيل في الآيات المباركات: قال الله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ} افتتح سبحانه وتعالى القصة بصيغة موضوعة للاستفهام، وليس المطلوب بها الاستفهام حقيقة، ولهذا قيل: إن (هل) في مثل هذا الموضع بمعنى (قد) التي تقتضي التحقيق. ولكن في ورود الكلام في مثل هذا بصيغة الاستفهام سر لطيف، ومعنى بديع، فإن المتكلم إذا أراد أن يخبر المخاطب بأمر عجيب ينبغي الاهتمام به، وحضور الذهن له افتتح الكلام بأداة الاستفهام لتنبيه سمعه وذهنه للمخبر به، فأحياناً يصدره بألا، وأحياناً أخرى يصدره بهل، فقول: هل علمت ما كان من كيت وكيت؟ إما مذكرا به، وإما واعظاً له مخوفا، وإما منبها على عظمه ما يخبر به، وإما مقرراً له، فقوله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى} و {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ} و {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ} و {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ} متضمن لتعظيم هذه القصص والتنبيه على تدبرها ومعرفتها ما تضمنته. [201]

وفيه أمر آخر. وهو التنبيه على أن وصول هذا العلم إليك علم من أعلام النبوة فانه من الغيب الذي لا تعمله أنت ولا قومك فهل أتاك من غير إخبارنا وإرسالنا وتعريفنا؟ أم لم يأتك إلا من قبلنا؟ فتأمل صدور هذا الكلام بصيغة الاستفهام، وتدبر عظم موقعه من جميع موارده يشهد أنه من الفصاحة في ذروتها العليا. وقوله {ضيف إبراهيم المكرمين} متضمن لثنائه على خليله إبراهيم فإن في المكرمين قولين. أحدهما: إكرام إبراهيم لضيوفه ففيه مدح إبراهيم عليه السلام بإكرام الضيف. والثاني: انهم مكرمون عند الله كقوله تعالى: {بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ} وهو متضمن

[200] ابن قيم الجوزية: "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه"، ص 64.

[201] ابن قيم الجوزية: "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه"، ص 64 – 65.

أيضاً لتعظيم خليله ومدحه، إذ جعل ملائكته المكرمين ضيوفاً له، فعلى كلا التقديرين فيه مدح لإبراهيم. وقوله: {فَقَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ} متضمن بمدح آخر لإبراهيم عليه السلام إذ رد عليهم السلام أحسن مما حيوه به، فإن تحيتهم باسم منصوب متضمن لجملة فعلية تقديره: سلمنا عليك سلاماً. وتحية إبراهيم لهم باسم مرفوع متضمن لجملة اسمية تقديره سلام دائم أو ثابت أو مستقر عليكم، ولا شك أن الجملة الاسمية تقتضي الثبوت واللزوم والفعلية تقتضي التجدد والحدوث فكانت تحية إبراهيم أكمل واحسن. [202]

ثم قال {قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} وفي هذا من حسن مخاطبة الضيف والتذمم منه وجهان في المدح. إحداهما: أنه حذف المبتدأ والتقدير: أنتم قوم منكرون، فتذمم منهم ولم يواجههم بهذا الخطاب لما فيه من الاستيحاش. وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحداً بما يكرهه بل يقول: " وما بال أقوام يقولون كذا ويفعلون كذا ". الثاني: قوله {قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} فحذف فاعل الإنكار وهو الذي كان أنكرهم كما قال في موضع آخر (نكرهم) ولا شك أن قوله (منكرون) ألطف من أن يقول أنكرتكم. [203]

وقوله {فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ} يشمل وجوها من المدح وآداب الضيافة وإكرام الضيف. منها قوله: {فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ} والروغان الذهاب بسرعة واختفاء وهو يتضمن المبادرة إلى إكرام الضيف، والاختفاء يتضمن ترك تخجيله وألا يعرض للحياء، وهذا بخلاف من يتثاقل ويكون كسلاناً على ضيفه ثم يبرز بمرأى منه ويحل صرة النفقة ويزن ما يأخذ، ويتناول الإناء بمرأى منه ونحو ذلك مما يتضمن تخجيل الضيف وحياءه فلفظة (راغ) تنفي هذين الأمرين. وفي قوله تعالى: {إِلَى أَهْلِهِ} مدح آخر لما فيه من الإشعار أن كرامة الضيف معدة

[202] ابن قيم الجوزية: "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه"، ص 66.
[203] ابن قيم الجوزية: "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه"، ص 66 – 67.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حاصلة عند أهله، وأنه لا يحتاج أن يستقرض من جيرانه، ولا يذهب إلى غير أهله إذ قرى الضيف حاصل عندهم. [204]

وقوله: {فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ} يشمل ثلاثة أنواع من المدح: الأول: انه جاءهم بحيوان تام لم يأتهم ببعضه. ليتخيروا من أطيب لحمه ما شاءوا. الثاني: خدمة ضيفه بنفسه فإنه لم يرسل به وإنما جاء به بنفسه. الثالث: انه سمين ليس بهزيل، وهذا من نفائس الأموال، ولد البقر السمين فإنهم يعجبون به، فمن كرمه هان عليه ذبحه وإحضاره. وقوله {إليهم} متضمن المدح وآداباً أخرى وهو إحضار الطعام إلى بين يدي الضيف، بخلاف من يهيئ الطعام في موضع ثم يقيم ضيفه فيورده عليه. وقوله {أَلا تَأْكُلُونَ} فيه مدح وآداب أخر، فإنه عرض عليهم الأكل بقوله: {ألا تأكلون} وهذه صيغة عرض مؤذنة بالتلطف بخلاف من يقول:: ضعوا أيديكم في الطعام، كلوا، تقدموا، ونحو هذا. [205]

وقوله: {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} لأنه لما رآهم لا يأكلون من طعامه أضمر منهم خوفاً في نفسه أن يكونوا قد جاؤوا بالشر، فإن الضيف إذا أكل من طعام صاحب المنزل اطمأن إليه وأنس به، فلما علموا منه ذلك قالوا: {لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ} وهذا الغلام اسحق لا إسماعيل، لأن امرأته عجبت من ذلك فقالت: عجوز عقيم، لا يولد لمثلي، فأنى لي بالولد؟ وأما إسماعيل فإنه من سريته هاجر وكان بكره وأول ولده. وقد بين سبحانه هذا في سورة هود في قوله تعالى: {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} وهذه هي القصة نفسها. وقوله تعالى: {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ

[204] ابن قيم الجوزية: "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه"، ص 67.

[205] ابن قيم الجوزية: "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه"، ص 67 – 68.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ} فيه بيان حال إمرأة إبراهيم عليه السلام إذ بادرت إلى الندبة فصكت الوجه عند هذا الإخبار. [206]

وقوله: {عَجُوزٌ عَقِيمٌ} فيه حسن أدب المرأة عند خطاب الرجال واقتصارها من الكلام على ما تؤدي به الحاجة، فإنها حذفت المبتدأ ولم تقل أنا عجوز عقيم، واقتصرت على ذكر السبب الدال على عدم الولادة لم تذكر غيره، وأما في سورة هود فذكرت السبب المانع منها ومن إبراهيم وصرحت بالعجب. [207]

وقوله تعالى {قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ} يشمل إثبات صفة القول له. وقوله {إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ} متضمن لإثبات صفة الحكمة والعلم اللذين هما مصدر الخلق والأمر، فجميع ما خلقه سبحانه صادر عن علمه وحكمته سبحانه وتعالى، وكذلك أمره وشرعه مصدره عن علمه وحكمته. والعلم والحكمة متضمنان لجميع صفات الكمال، فالعلم يتضمن الحياة ولوازم كمالها من القيومية والبقاء والقدرة والسمع والبصر وجميع الصفات التي يستلزمها العلم التام، والحكمة تتضمن كمال الإرادة والرحمة والعدل والإحسان والبر والجود، ووضع الأشياء في مواضعها على أحسن وجوهها، ويتضمن إرسال وإثبات الثواب والعقاب. كل هذا العلم من اسمه الحكيم كما هي طريقة القرآن في الاستدلال على هذه المطالب العظيمة بصفة الحكمة، والإنكار على من يزعم أنه خلق الخلق عبثاً وسُدى وباطلاً فحينئذ صفة حكمته تتضمن الشرع والقدر والثواب. [208]

---

[206] ابن قيم الجوزية: "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه"، ص 68.

[207] ابن قيم الجوزية: "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه"، ص 68.

[208] ابن قيم الجوزية: "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه"، ص 69.

الحكمة السادسة

نملة سليمان

قال تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾} (النمل: 18).

سبحان من جعل النمل والنحل والأنعام والعنكبوت سوراً في كتابه دالة على توحيده. حين اقرأ في هذه السور المباركات أندهش وأتعجب كيف اشتملت هذه السور على أقوى الأدلة على وجود الله وعلى أعلى الاستدلالات العقدية. سبحان من جعل الأنعام دليلاً وآيات على وجوده.

قال {حتى إِذَآ أَتَوْا على وَادِ النمل}، يعني أتى سليمان وجنوده على واد النمل، وهو واد كان بالشام نمله على قدر الذباب، {قَالَتْ نَمْلَةٌ يا أيها النمل ادخلوا مَسَاكِنَكُمْ} أي بيوتكم {لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ}، أي يكسرنكم. {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ}، أي يكسرونكم بوطئهم غير عالمين بكم. فتكون الجملة في موضع الحال من سليمان وجنوده، والعامل في الحال يحطمنكم، ويجوز أن تكون الجملة حالاً من النملة، ويكون العامل في الحال: قالت. أي قالت نملة ذلك في حال غفلة الجنود، كما تقول: قلت خيراً والناس نيام. وقيل: إن قوله: {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ}، راجع إلى النمل. أي والنمل لا يشعر أن سليمان يفهم مقالتها. ولما فهم سليمان قول النمل وصارت بمنزلة

من يعقل في الفهم عنها، أخبر عنها كما يخبر عن من يعقل، فلذلك قال: {قَالَتْ}، وقال: {ادخلوا} ولذلك أضاف إلى الطير منطقاً في قوله: {عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطير} [النمل: 16]. [209]

وروي: أن الله جلّ ذكره: فهم سليمان كلام الإنس باختلاف لغاتها، وفهمه كلام الطير والبهائم، وكان إذا أراد أن يسير على الأرض أمر بالكرسي فوضع له فجلس عليه، ثم أمر بكراسي فوضعت لأصحابه فأجلس عليها من أراد، فالذين يلونه الإنس، ثم الجن، ثم الشياطين ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والأرض، وإذا أراد صار على الخيل في الأرض، فبينما سليمان ذات يوم يسير بين أيدي الناس على الأرض، ورجلان معه أحدهما ختنه: زوج ابنته، والآخر عن يساره من أهل مملكته كريم عليه، ولم يكن أحد يسير بين يديه تواضعاً لله، إذ مر على واد النمل وهو واد فيه نمل، فسمع نملة تقول: {يا أيها النمل ادخلوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ} وكان قد أعطى الله سليمان زيادة في ملكه ألا يذكره أحد إلا حملت ريح ذلك الكلام إليه حتى يسمعه، فلما فهم سليمان كلام النمل تبسم ووقف فوقف الناس معه، فقال الرجلان: ما يضحك نبي الله؟ فأخبرهما بكلام النملة، فلم يزل واقفاً حتى دخلت النمل مساكنها ثم سار. [210]

روى الأعمش عن نوف أنه قال: كانت نمل سليمان أمثال الذباب، وكانت هذه النملة مثل الذيب في العظم. قوله تعالى ذكره: {فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا}، أي فضحك سليمان من قول النملة، وقال: {رَبِّ أوزعني أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ}، أي ألهمني الشكر على ما أنعمت به علي وعلى والدي وألهمني أن أعمل عملاً صالحاً ترضاه. وقيل: معناه كفني عن الأشياء إلا عن شكر

---

[209] أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ): "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه"، وجمل من فنون علومه المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م، 8/ 386 – 387.

[210] نفسه، 8 / 387 – 388.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نعمتك. {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصالحين}، أي مع عبادك الصالحين، يعني الأنبياء، أي أدخلني معهم الجنة. [211]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن نملة قرصت نبياً من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه في أن قرصتك نملة فأحرقت أمة من الأمم تسبح". زاد في رواية" "فهلا نملة واحدة" رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه. وفي رواية لمسلم وأبي داود قال: "نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ثم أمر فأحرقت فأوحى الله إليه هلا نملة واحدة".

قال الحافظ قد جاء من غير ما وجه أن هذا النبي هو عزير عليه السلام وفي قوله: "فهلا نملة واحدة" دليل على أن التحريق كان جائزاً في شريعتهم. وقد جاء في خبر أنه بقرية أو بمدينة أهلكها الله تعالى، فقال: يا رب كان فيهم صبيان ودواب ومن لم يقترف ذنباً، ثم إنه نزل تحت شجرة فجرت به هذه القصة التي قدرها الله على يديه تنبيهاً له على اعتراضه على بديع قدرة الله وقضائه في خلقه، فقال: "إنما قرصتك نملة واحدة فهلا قتلت واحدة"، وفي الحديث تنبيه على أن المنكر إذا وقع في بلد لا يؤمن العقاب العام. [212]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم: "نهى عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد ." قال الخطابي: "أما نهيه عن قتل النمل فإنما أراد نوعاً منه خاصاً وهو الكبار ذوات الأرجل الطوال لأنها قليلة الأذى والضرر، وأما النحلة فلما فيها من

---

[211] نفسه، 8 / 388.

[212] عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: 656هـ): "الترغيب والترهيب من الحديث الشريف"، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1417، 3 / 385.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المنفعة وأما الهدهد والصرد فإنما نهى عن قتلهما لتحريم لحمهما وذلك أن الحيوان إذا نهي عن قتله ولم يكن لحرمة ولا لضرر فيه كان ذلك لتحريم لحمه". [213]

[213] المنذري: "الترغيب والترهيب"، 3 / 385 – 386.

الفصل الرابع

من مسائل العلم القرآني

الحكمة الأولى

{وفتحت أبوابها}

أخي طالب الحكمة الإسلامية:

أفرغ قلبك وعقلك في هذه اللحظة من كل شيء، إلا من ذكر الله تعالى، وتعال لتحلق بمشاعرك ووجدانك وأحاسيسك في تلك اللحظة التي ستفتح فيها أبواب الجنة للمتقين.. وهم القادمون من عناء الدنيا ومن تعبها، ومن وحشة القبر، ومن زلزلة الساعة وأهوال يوم القيامة..

إنتهى في تلك اللحظة كل شيء، وحان الان الاوان لكي يلقى كل إنسان جزاء ما قدم لاخرته..

سأكتفي الان لأجعلك تنتقل بمشاعرك وأحاسيسك إلى تلك اللحظة التي ستفتح فيها أبواب الجنة للمتقين، ومن أصدق من الله قيلاً، سيحدثنا كتاب الله سبحانه وتعالى عن تلك اللحظة، فتابع بتركيز، إن شاء الله:

يقول ربنا تبارك وتعالى:

{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ } (الزمر: 73).

في الاية أوجه للتفسير منها:

أحدها: طبتم بطاعة الله قاله مجاهد. الثاني: طبتم بالعمل الصالح , قاله النقاش. الثالث: ما حكاه مقاتل أن على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المؤمنون من إحداهما فتطهر أجوافهم فذلك قوله{وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً} [الإنسان: 21] ثم يغتسلون من الأخرى فتطيب أبشارهم , فعندها يقول لهم خزنتها: {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} فإذا دخلوها قالوا {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ}.وفي معنى طبتم ثلاثة أوجه: أحدها: نعمتم , قاله الضحاك. الثاني:كرمتم , قاله ثعلب. الثالث: زكوتم , قاله الفراء وابن عيسى. {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ} وعده في الدنيا بما نزل به القرآن , وفيه وجهان: أحدهما: أنه وعده بالجنة في الآخرة ثواباً على الإيمان. الثاني:أنه وعده في الدنيا بظهور دينه على الأديان , وفي الآخرة بالجزاء على الإيمان. {أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ} وفي هذه الأرض قولان: أحدهما: أرض الجنة , قاله أبو العالية وأبو صالح وقتادة والسدي وأكثر المفسرين. الثاني: أرض الدنيا. فإن قيل إنها أرض الجنة ففي تسميتها ميراثاً وجهان: أحدهما: لأنها صارت إليهم في آخر الأمر كالميراث. الثاني: لأنهم ورثوها من أهل النار , وتكون هذه الأرض من جملة الجزاء والثواب , والجنة في أرضها كالبلاد في أرض الدنيا لوقوع التشابه بينهما قضاء بالشاهد على الغائب. {تَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ} يعني منازلهم التي جوزوا بها , لأنهم مصروفون عن إرادة غيرها. [214]

{وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ} يريد أن خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون: طبتم. قال ابن عباس: طاب لكم المقام. قال قتادة:هم إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا أدخلوا الجنة، فقال لهم رضوان وأصحابه: "سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين". وروي عن علي عليه السلام قال: سيقوا إلى الجنة فإذا

[214] ينظر: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ): تفسير الماوردي "النكت والعيون"، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، 5 / 138.

انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيغتسل المؤمن من إحداهما فيطهر ظاهره، ويشرب من الأخرى فيطهر باطنه،وتلقيهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون: {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}. [215]

{ادخلوها بِسَلام آمِنين} وذلك حين تلقاهم الملائكة؛ تقول لهم:{سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدين} آمِنين من الْمَوْت. [216]

(سَلامٌ عَلَيْكُمْ) : أمنة من الله لكم أن ينالكم بعدُ مكروه أو أذى. وقوله (طِبْتُمْ) يقول: طابت أعمالكم في الدنيا، فطاب اليوم مثواكم.

(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) يقول وقال الذين سيقوا زمرا ودخلوها: الشكر خالص لله الذي صدقنا وعده، الذي كان وعَدناه في الدنيا على طاعته، فحققه بإنجازه لنا اليوم، (وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ) يقول: وجعل أرض الجنة التي كانت لأهل النار لو كانوا أطاعوا الله في الدنيا، فدخلوها، ميراثا لنا عنهم. (نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) يقول: نتخذ من الجنة بيتا، ونسكن منها حيث نحب ونشتهي.

(فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) يقول: فنعم ثواب المطيعين لله، العاملين له في الدنيا الجنة لمن أعطاه الله إياها في الآخرة. [217]

عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) حتى إذا انتهوا إلى بابها، إذا هم بشجرة يخرج من أصلها عينان، فعمدوا إلى إحداهما، فشربوا منها كأنما

---

[215] محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: "معالم التنزيل في تفسير القرآن" = تفسير البغوي، 7 / 133.

[216] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: 399هـ): " تفسير القرآن العزيز"، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة الطبعة: الأولى، 1423هـ – 2002م، 2 / 386.

[217] أبو جعفر الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن"، 21 / 341 – 342.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمروا بها، فخرج ما في بطونهم من قذر أو أذى أو قذى، ثم عمدوا إلى الأخرى، فتوضئوا منها كأنما أمروا به، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تشعث رءوسهم بعدها أبدا ولن تبلى ثيابهم بعدها، ثم دخلوا الجنة، فتلقتهم الولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون، فيقولون: أبشر، أعد الله لك كذا، وأعد لك كذا وكذا، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه جندل اللؤلؤ الأحمر والأصفر والأخضر، يتلألأ كأنه البرق، فلولا أن الله قضى أن لا يذهب بصره لذهب، ثم يأتي بعضهم إلى بعض أزواجه، فيقول: أبشري قد قدم فلان بن فلان، فيسميه باسمه واسم أبيه، فتقول: أنت رأيته، أنت رأيته! فيستخفها الفرح حتى تقوم، فتجلس على أسكفة بابها، فيدخل فيتكئ على سريره، ويقرأ هذه الآية: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) ... الآية. [218]

عن عليّ رضي الله عنه قال: "يساقون إلى الجنة، فينتهون إليها، فيجدون عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان تجريان، فيعمدون إلى إحداهما، فيغتسلون منها، فتجري عليهم نضرة النعيم، فلن تشعث رءوسهم بعدها أبدا، ولن تغبر جلودهم بعدها أبدا، كأنما دهنوا بالدهان، ويعمدون إلى الأخرى، فيشربون منها، فيذهب ما في بطونهم من قذى أو أذى، ثم يأتون باب الجنة فيستفتحون، فيفتح لهم، فتتلقاهم خزنة الجنة فيقولون (سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)"، قال: "وتتلقاهم الولدان المخلدون، يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم إذا جاء من الغيبة، يقولون: أبشر أعد الله لك كذا، وأعد لك كذا، فينطلق أحدهم إلى زوجته، فيبشرها به، فيقول: قدم فلان باسمه الذي كان يسمى به في الدنيا، وقال: فيستخفها الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها، وتقول: أنت رأيته، أنت رأيته؟ قال: فيقول: نعم، قال: فيجيء حتى يأتي منزله، فإذا أصوله من جندل اللؤلؤ من بين أصفر وأحمر وأخضر، قال: فيدخل فإذا الأكواب موضوعة، والنمارق مصفوفة، والزرابيّ مبثوثة قال: ثم يدخل إلى زوجته من الحور العين، فلولا أن الله أعدها

[218] أبو جعفر الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن"، 21/ 339.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

له لالتمع بصره من نورها وحسنها، قال: فاتكأ عند ذلك ويقول: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) قال: فتناديهم الملائكة: (أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)".[219]

هل تأملت الان سعادة أولئك المتقين في تلك اللحظات التي ستفتح فيها أبواب الجنة لهم؟!

[219] أبو جعفر الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن"، 21/ 339 – 340.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة الثانية

تغريدات قرآنية

في الفرق بين الناس:

هل سألت نفسك لماذا هناك أناس في القمة وهناك أناس في الحضيض؟ لماذا هناك مدير وهناك غفير؟ لماذا هناك عالم وجاهل؟ لماذا هناك أناس في منصب رفيع وأناس في منصب وضيع؟

تمهل قليلاً، فالقرآن يجيبك:

1- الفارق بين العالم والجاهل:

يقول سبحانه وتعالى : { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ } (الزمر : 9) هنا الفارق يكمن في العلم...

يقول الطبري: "يقول – تعالى ذكره – : قل يا محمد لقومك : هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب ، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات ، والذين لا يعلمون ذلك ، فهم يخبطون في عشواء ، لا يرجون بحسن أعمالهم خيرا ، ولا يخافون بسيئها شرا ؟ يقول : ما هذان بمتساويين".

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

2- التفاوت في العلم:

إن الناس يتفاوتون في العلم { وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ } (يوسف: 67).

يقول الطاهر بن عاشور: "وفيها شاهد لتفاوت الناس في العلم المؤذن بأن علم الذي خلق لهم العلم لا ينحصر مداه ، وأنه فوق كل نهاية من علم الناس" .

3- التفاوت في العمل:

{ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ} (الأحقاف: 19) هنا الفارق في العمل..

يقول الفخر الرازي: " عام في المطيع والعاصي ، والتقدير :

ولكل عامل عمل فله في عمله درجات ، فتارة يكون في درجة ناقصة ، وتارة يترقى منها إلى درجة كاملة ، وأنه تعالى عالم بها على التفصيل التام ، فرتب على كل درجة من تلك الدرجات ما يليق به من الجزاء ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ".

(ولا تفرقوا)...

دواء قراني لمعاناتكم...

جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى، ما يأتي:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

1. {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} ﴿آل عمران: ١٠٣﴾.

2. و{لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ﴿آل عمران: ١٠٥﴾.

3. {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا} ﴿النساء: ١٥٠﴾.

4. {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} ﴿النساء: ١٥٢﴾.

5. إ{نَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} ﴿الأنعام: ١٥٩﴾.

6. {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} ﴿الروم: ٣٢﴾.

7. {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ} ﴿الشورى: ١٣﴾.

8. {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ} ﴿الشورى: ١٤﴾.

في إجابة الدعاء :

هل تعلم أخي طالب الحكمة أن سرعة إستجابة الدعاء تعتمد، في أحد مسائلها، على قوة اليقين بالله سبحانه وتعالى... فكلما ازداد يقين المؤمن بالله كانت إجابة دعائه أسرع.. تأمل معي أخي طالب الحكمة الإسلامية فاء التعقيب في قوله تعالى :{ فاستجبنا } في الايات الاتية:

{ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ }..

علم العلوم:

لا أعلم علماً، لا في السموات ولا في الأرضين كلها، أشرف من العلم المذكور في هذه الاية الجليلة المباركة (فاعلم أنه لا إله إلا الله)....

. علم العلوم (المعرفة بالله عز وجل)...

حلم الإستقرار:

..يحلم الإنسان بالاستقرار في هذه الحياة، ما أشد جهله إذ لم يعلم أن لا استقرار هنا الإستقرار فقط في الدار الآخرة... ألم يسمع لقول ذلك الرجل الصالح في كتاب الله سبحانه وتعالى في سورة غافر: { يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾

في التذكير:

{ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين }... المؤمن دائماً بحاجة إلى التذكير، فلا تبخل على إخوانك المؤمنين بالتذكير... فإن التذكير يعقبه التفكير فالتدبير وصولاً إلى حكمة العزيز الخبير...

في علاج الغم:

وقتلت نفساً فنجيناك من الغم)... يقول الطبري: " فنجيناك من غمك بقتلك النفس } التي قتلت، إذ أرادوا أن يقتلوك"... حين يصل بك الغم إلى حد لا يطاق، فاعلم أن لا كاشف له .....في تلك اللحظة إلا الله سبحانه وتعالى.

(ويخرج أضغانكم)

هل إلى هذا الحد يصل حب الإنسان للمال؟

بين الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم حب الإنسان للمال وبين أنه مرتبط به إرتباطاً قلبياً، فالإنسان سيبخل بإعطاء المال حتى لو كان السائل هو الله سبحانه وتعالى...

يقول الله تعالى:

{ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾ } (محمد: 36 – 38).

يقول الطبري: " وَيُخْرِجُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَوْ سَأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ بِمَسْأَلَتِهِ ذَلِكَ مِنْكُمْ أَضْغَانَكُمْ قَالَ: قَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ فِيَ مَسْأَلَتِهِ الْمَالَ خُرُوجُ الْأَضْغَانِ". [220]

وفي تفسير السمعاني:

" وَقَوله تَعَالَى: {ن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا } أَي: يُبَالغ فِي مسألتكم،وَيُقَال: يلح عَلَيْكُم ويجهدكم. وَفِي بعض أَمْثَال الْعَرَب: لَيْسَ للسَّائِل المحفي مثل منع (الْخَامِس) .

وَفِي بعض الْأَخْبَار عَن النَّبِي: " إِن الله يحب الْحَيِي الْمُتَعَفِّف، وَيبغض السَّائِل الْمُلْحِف".

قَوْله {تَبْخَلُوا} أَي: تمنعوا

وَقَوله: {وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ} أَي: وَيخرج الإحفاء أضغانكم، وَيظْهر مَا فِي بواطنكم من الْبُخْل والإمساك والنفاق وَالشَّكّ. وَفِي بعض الْأَخْبَار عَن النَّبِي أَنه قَالَ: " أخبر تقله " أَي: أخبر الْإِنْسَان ببغضه،وَعَن بَعضهم أَنه قَالَ: " أَقله بِخَبَر، يَعْنِي: ابغضه، فَهُوَ المختبر". [221]

ويقول ابن زمنين:

[220] تفسير الطبري، 21/ 231.

[221] تفسير السمعاني، 5/ 186.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

" {إِن يَسْئَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ} بِالْمَسْأَلَة {تبخلوا} أَي: لَو سألكم أَمْوَالكُم لبخلتم بهَا {وَيخرج أضغانكم} عداوتكم". [222]

بشارة عظيمة هذه الليلة :

اخي الحبيب هل ظلمت في وطنك وبين أهلك وعشيرتك فاضطررت إلى الهجرة في أرض الله الواسعة لتدفع عن نفسك الظلم إذا اعلم أن لديك بشارة عظيمة في كتاب الله، وتحديداً في الاية 41 من سورة النحل :

يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾} .

فهنيئاً لك أخي الحبيب يا من امتثلت لأمر الله في كتابه بالهجرة لتدفع الظلم عن نفسك. هنيئاً لك تلك الحسنة في الدنيا التي حصلت عليها والتي لا يعلمها إلا من هاجر في أرض الله الواسعة، وهنيئاً لك وعد الله سبحانه وتعالى بأن أجر الآخرة لك سيكون أكبر.

والحمد لله رب العالمين.

[222] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: 399هـ): " تفسير القرآن العزيز"، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة الطبعة: الأولى، 1423هـ – 2002م ، 4/ 246.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الطاغية والمؤمن من الرعية: ما أشبه الليلة بالبارحة:

11 اية في سورة غافر تفصل بين منهجين مختلفين تماماً، كلاهما ورد فيهما (سبيل الرشاد)، لكن شتان بينهما، الأول منهج (الطاغية) الذي لا يكترث لشيء إلا لرغبته في الاستبداد:

(قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) ﴿غافر: ٢٩﴾.

والمنهج الثاني منهج المؤمن الصادق من الرعية الذي لا يريد إلا الخير لعموم الشعب :

(وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) ﴿غافر: 38﴾ .

فما أشبه الليلة بالبارحة.

(إنما أنت مذكر... لست عليهم بمسيطر):

يخطأ عدد من الدعاة والعلماء وطلاب العلم بأنهم يريدون من الناس أن يسيروا بالضبط على منهجهم، وأن يقلدوهم كما يفكرون ويفعلون بالضبط.. وهذا خطأ فادح، فوظيفة الحكماء المسلمين تقع في مجال التذكير وليس في مجال السيطرة على الآخرين.. ذكر الناس بدين الله لكن لا تكرههم على شيء (لا اكراه في الدين)..

الحمد لله:

التجربة التي مررنا بها مؤخراً كشفت لنا الكثير عن الطبيعية الطينية للإنسان، والتي كنت نغفل عن الكثير من حقائقها... ربما نحن أكثر فهماً الان ل(طينية الإنسان) من ذي قبل ..

وصدق ربنا تبارك وتعالى إذ قال :

{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾}.

إني أخاف الله رب العالمين:

كلمة عصمت هابيل من أن يرتكب أبشع جريمة عرفها التاريخ أن يقتل أخيه الذي لم يقل {إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾} (المائدة: 28) فارتكبها، وباء بإثمه وإثم أخيه.....

هل تريد النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة فكن من أولئك {الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ}.. (الأنبياء: 49) كن واحداً ممن قال: {إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾} (المائدة: 28).

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يخافه في الدنيا لنأمن من عقابه يوم القيامة...

خاطرة جديدة حول اللعب:

لاحظت أن كثيراً من الناس يلعبون، وليس لديهم أي خارطة طريق لا للدنيا ولا للآخرة.. ويلهم ثم ويلهم من هذا اللعب، ألم يسمعوا قول الله تبارك وتعالى: { وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } ﴿الأنعام: ٧٠﴾...

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القرآن وتفسير طبيعة الإنسان:

هل وقعت ذات يوم بشدة كبيرة، ووجدت أنك وحيد في مواجهتها وأن الناس من حولك يتفرجون ولا أحد منهم يحرك ساكناً ولا يهب لنجدتك؟

هل سألت نفسك لماذا؟

القرآن يجيب، يقول ربنا تبارك وتعالى: { يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ } (المعارج: ١١ –١٤).

ويقول ربنا سبحانه وتعالى: { فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ } (المعارج: ٣٣ –٣٧) .

هذه الآيات تكشف عن الطبيعة الأنانية للإنسان، وأنه مستعد، إذا وقع في يوم عصيب كيوم القيامة، أن يضحي بأقرب الناس إليه، أخيه، وأمه وأبيه، وعشيرته، لا بل ومن في الأرض جميعاً حتى ينقذ نفسه.

هل علمت الان السبب أنك حين وقعت بشدة ورأيت أن من حولك يتفرجون لماذا لم يهب أحد لنجدتك ..

لذلك فاعلم أن الله وحده من ينجيك ويخلصك من أي شدة أو ظرف عصيب تمر به..

رسالة اليوم:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

توكل على الله سبحانه وحده، وإياك أن تعتقد أن غيره ينفع أو يضر، فالضار والنافع هو الله تبارك الله وتعالى..

إعلم أن { لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّـهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ } (النجم: ٥٨)..

فإذا علمت ذلك فاعلم أيضاً أنك قد تحققت بالتوحيد الخالص...

القرآن والكلمة:

فعلا انتصر ابراهيم على الطاغية بكلمة { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّـهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّـهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّـهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ }.

بل عجلتم:

كل المشكلة في أنكم {تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾} (القيامة: 20 – 21)، .. اه لو لم تحبوا الدنيا بكل هذا الحجم لما كانت الدنيا بهذا السوء.

من الأناني:

كم نحن بحاجة إلى بحث بعنوان: (من الأناني؟) وبحث بعنوان: (ما الأنانية؟)

(قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾) (الأعراف: ١٢) ..

في تلك اللحظة بدأت الأنانية، وبدأ الشر كله...

من التنافس الدنيوي إلى التنافس الآخروي:

في نظام التنافس الدنيوي هناك شخص ما يلعب لعبة ما يوظف إناساً ما ويطلب منهم أن يتنافسوا في مشروع ما موهماً إياهم أن الفائز ينال جائزة ما وفي الحقيقة إنما المشروع كله خدمة لصاحب المشروع.

أما التنافس الاخروي فواضح المعالم من أجل رب معبود ويوم موعود وجنة عرضها السموات والأرض... التنافس هنا قوانينه واضحة جداً، والمصلحة والنفع تعود للمتنافسين أنفسهم لأن من تنافسوا من أجله غني عن العالمين.

قال ربنا تبارك وتعالى: {وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ } (المطففين: 26).

تعاهد القرآن

عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن طلقها ذهبت".

عن عبيد الله أخبرني نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل صاحب القرآن مثل صاحب الإبل المعقلة إن عقلها صاحبها حبسها وإن أطلقها ذهبت".

عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار"، وقال سليمان: "آناء الليل وآناء النهار فإن عقلها حفظها"، وقال: "أحمد كمثل رجل له إبل فإن عقلها حفظها وإن أطلق عقلها ذهبت فكذلك صاحب القرآن". [223]

عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إنما مثل القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها صاحبها على عقلها أمسكها وإذا أغفلها ذهبت إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقرأه نسيه".

عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قام صاحب القرآن يقرأه بالليل والنهار ذكره وإن لم يقم به نسيه".

عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بئس ما لأحدكم أن يقول نسيت أنه كيت وكيت بل هو نسي واستذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من الإبل".

عن الأعمش عن شقيق قال،: قال عبد الله: " تعاهدوا هذه المصاحف وربما قال القرآن فلهو أسرع وقال سهل أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم من عقله، فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يقولن أحدكم نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي". [224]

---

[223] أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ): "المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم"، 2 / 379 – 380.

[224] أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ): "المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم"، 2 / 380 – 382.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة الثالثة

لحن القول

هذا نداء يستوجب الحذر ممن في لا يطابق قوله فعله.

لأي واحد من هؤلاء نقول (ولا نعني شخصاً بعينه) اخلص نيتك وصحح عملك فإن من وراءك برزخ إلى يوم يبعثون.

ولتعلم أن (لحن القول) من صفات المنافقين الذي ذكرهم الله بقوله: (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ(30)).

قال الحافظ ابن كثير في تفسيرها:

"وقوله : {وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ} يقول تعالى : ولو نشاء يا محمد لأريناك أشخاصهم ، فعرفتهم عيانا ، ولكن لم يفعل تعالى ذلك في جميع المنافقين سترا منه على خلقه ، وحملا للأمور على ظاهر السلامة ، ورد السرائر إلى عالمها ، {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ} أي : فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم ، يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه ، وهو المراد من لحن القول ، كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه : ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه ، وفلتات لسانه . وفي الحديث : " ما أسر أحد سريرة إلا كساه الله جلبابها ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر " . وقد ذكرنا ما يستدل به

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على نفاق الرجل ، وتكلمنا على نفاق العمل والاعتقاد في أول " شرح البخاري " ، بما أغنى عن إعادته هاهنا . وقد ورد في الحديث تعيين جماعة من المنافقين . قال الإمام أحمد:

حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن سلمة ، عن عياض بن عياض ، عن أبيه ، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو – رضي الله عنه – قال : خطبنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خطبة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : " إن منكم منافقين ، فمن سميت فليقم " . ثم قال : " قم يا فلان ، قم يا فلان ، قم يا فلان " . حتى سمى ستة وثلاثين رجلا ثم قال : " إن فيكم – أو : منكم – فاتقوا الله " . قال : فمر عمر برجل ممن سمى مقنع قد كان يعرفه ، فقال : ما لك ؟ فحدثه بما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : بعدا لك سائر اليوم." [225]

[225] تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – 1419 هـ، 7 / 297

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة الرابعة

موعظة لقمان

كم يحتاج الآباء اليوم إلى وثيقة مكتوبة بينهم وبين أبنائهم تستمد بنودها من موعظة لقمان لابنه في القرآن الكريم !

كم يحتاج الآباء اليوم إلى الجلوس مع ابنائهم، وتقديم النصح والوعظ لهم كما فعل لقمان رحمه الله .

قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ } (لقمان: 13 – 19) .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ} [لقمان: 12] يعني العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور {أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان: 12].

{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ} [لقمان: 13] واسمه أَنْعَمُ ويقال: مِشْكَمٌ، {وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13] قرأ ابن كثير: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ} [لقمان: 13] بإسكان الياء، وفتحها حفص، والباقون بالكسر، {يا بُنَيَّ إِنَّهَا} [لقمان: 16] بفتح الياء حفص، والباقون بالكسرِ، {يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ} [لقمان: 17] بفتح الياء البزي عن ابن كثير وحفص، وبإسكانها الْقَوَّاسُ، والباقون بكسرها. [226]

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ} [لقمان: 14] قال ابن عباس: "شدة بعد شدة". قال مجاهد: "مشقة على مشقة". وقال الضحاك: ضعفاً على ضعف. وقال الزجاج: "المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة". ويقال: "الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف"، {وَفِصَالُهُ} [لقمان: 14] فطامه، {فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان: 14] المرجع، قال سفيان بن عيينة في هذه الآية: "من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين." [227]

{وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان: 15] أي بالمعروف، وهو البر والصلة والعشرة الجميلة، {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} [لقمان: 15] أي دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال

[226] عبد الله بن أحمد بن علي الزيد: "مختصر تفسير البغوي"، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى، 1416هـ، 5 / 738.

[227] عبد الله بن أحمد بن علي الزيد: "مختصر تفسير البغوي"، 5 / 738.

عطاء عن ابن عباس: "يريد أبا بكر وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، فقالوا له: قد صدقت هذا الرجل وآمنت به؟ قال: نعم هو صادق فآمنوا به ثم حملهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فهؤلاء لهم سابقة الإسلام أسلموا بإرشاد أبي بكر"، قال الله تعالى: {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} [لقمان: 15] يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ، {ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [لقمان: 15] وقيل: "نزلت هاتان الآيتان في سعد بن أبي وقاص وأمه"، وقيل: "الآية عامة في حق كافة الناس." [228]

{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ} [لقمان: 16] الكناية في قوله: {إِنَّهَا} [لقمان: 16] راجعة إلى الخطيئة، وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه: "يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟" فقال: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ} [لقمان: 16]. [229]

قال قتادة: "تكن في جبل". وقال ابن عباس: في صخرة تحت الأرضين السبع {أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ} [لقمان: 16] باستخراجها، {خَبِيرٌ} [لقمان: 16] عالم بمكانها، قال الحسن: "معنى الآية هي الإحاطة بالأشياء صغيرها وكبيرها. {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ} [لقمان: 17] يعني من الأذى، {إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [لقمان: 17] يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى فيهما من الأمور الواجبة التي أمر الله بها أو من الأمور التي يعزم عليها لوجوبها. [230]

---

[228] عبد الله بن أحمد بن علي الزيد: "مختصر تفسير البغوي"، 5 / 738.

[229] عبد الله بن أحمد بن علي الزيد: "مختصر تفسير البغوي"، 5 / 738.

[230] عبد الله بن أحمد بن علي الزيد: "مختصر تفسير البغوي"، 5 / 738-739.

{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} [لقمان: 18] قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب: {وَلَا تُصَعِّرْ} [لقمان: 18] بتشديد العين من غير ألف وقرأ الآخرون تصاعر بالألف يقال: "صعر وجهه وصاعر إذا مال "أعرض تكبراً ورجل أصعر أي مائل العنق". قال ابن عباس: "يقول لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك". وقال مجاهد: "هو الرجل يكون بينك وبينه إحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه". وقال عكرمة: "هو الذي إذا سلم عليه لوى عنقه تقصيرا". وقال الربيع بن أنس وقتادة: "ولا تحتقرن الفقراء ليكن الفقر والغني عندك سواء"، {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} [لقمان: 18] خيلاء تكبراً، {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ} [لقمان: 18] في مشيه {فَخُورٍ} [لقمان: 18] على الناس. [231]

{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} [لقمان: 19] أي ليكن مشيك قصداً لا تخيلاً ولا إسراعاً. وقال عطاء: "امش بالوقار والسكينة"، كقوله: {يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} [الْفُرْقَانِ: 63] {وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ} [لقمان: 19] وقال مقاتل: "تخفض من صوتك" {لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان: 19] أوله زفير وآخره شفيق وهما أصوات أهل النار، وقال موسى بن أعين: "سمعت سفيان الثوري يقول في قوله: {إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان: 19] قال: صياح كل شيء تسبيح لله إلا الحمار". وقال جعفر الصادق في قوله: {إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان: 19] قال: "هي العطسة القبيحة المنكرة." [232]

ذكر الله سبحانه تبارك وتعالى في هذه الآيات من مواعظ لقمان الحكيم لابنه، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ} [لقمان:13] وفرض على الأب أن ينصح أبناءه، وأن يعظهم ويذكرهم بالله سبحانه تبارك وتعالى. تقديم الأب النصح لابنه يتجلى فيما قصه ربنا سبحانه وتعالى

[231] عبد الله بن أحمد بن علي الزيد: "مختصر تفسير البغوي"، 5 /739.
[232] عبد الله بن أحمد بن علي الزيد: "مختصر تفسير البغوي"، 5 /739.

علينا في هذه الآيات من سورة لقمان، وهذا لم يذكره الله عز وجل هنا لنسمعه ونضيعه، ولكنه ذكره لنا لنسمعه ونعيه ونفعل مثل ذلك، ومن أجل أن نقتدي بهذا الرجل الحكيم الفاضل رضي الله عنه، ونقول كما قال ونعظ أبناءنا وأهلنا ومن يلزمنا وعظهم، فننصح ونذكرهم بالله سبحانه وتعالى، فننصح الناس الأقربين ثم الأبعدين، وننصح من استطعنا أن ننصحه، وأول وأعظم ما ننصح به هو تقوى الله سبحانه وتعالى والبعد عن الشرك به سبحانه، وقد كان هذا أول نصائح لقمان لابنه، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان:13]. [233]

وقوله تعالى: (يا بُنَيَّ) تصغير ابن، وقد يراد به الحقيقة، أي: أن الابن صغير، والابن الصغير لا يوعظ بهذه الأشياء، فكأن التصغير هنا المقصود به التحنن، فالأب يعطف على ابنه ويترفق معه ويتحنن عليه، فيقول له: يا بني! وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينادي بها الحسن والحسين رضي الله عنهما، وكان يقولها لصغار أصحابه، صلوات الله وسلامه عليه، مثل أنس بن مالك وغيره ممن كانوا صغاراً في السن، وقد كان يقولها النبي صلى الله عليه وسلم لهم على وجه الترقيق لقلوبهم والتلطف بهم، صلوات الله وسلامه عليه. وفي قوله تعالى: {لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ} [لقمان:13] تحذير من الشرك بالله سبحانه تبارك وتعالى، وهذا التحذير مقصود في كتاب الله سبحانه، فقد نهى الله عن الشرك به، وذكر أنه لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جاءوا إلى أقوامهم بالأمر بالتوحيد والتحذير من الشرك بالله سبحانه وتعالى. [234]

---

[233] تفسير الشيخ أحمد حطيبة المؤلف: الشيخ الطبيب أحمد حطيبة مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية] http://www.islamweb.net الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 510 درسا[، 3 / 227.

[234] تفسير الشيخ أحمد حطيبة المؤلف: الشيخ الطبيب أحمد حطيبة مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية] http://www.islamweb.net الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 510 درسا[، 4 / 227.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة الخامسة

تأملات في سورة الجمعة

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾} (الجمعة: 9 – 11).

عن الحسن، في قوله: { فَاسْعَوْا} [الجمعة: 9] قال: «إنه والله ليس بسعي على الأقدام وحده، ولكنه سعي بالنية، وسعي بالرغبة، وسعي القلوب» عن أبي العالية، قال: «كان أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود يقرآنها {امْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} » عن مجاهد، قال: " رجال كانوا يقومون إلى نواضحهم وإلى السفر يقدمون يبتغون التجارة، وينظرون إلى اللهو، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فأنزل الله عز وجل: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا} [الجمعة: 11] " عن عبد الله، قال آدم: لا أدري من؟ عن إبراهيم بن أبي بكر، عن مجاهد في قول الله عز وجل: { قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ} [الجمعة: 11]، قال: " اللهو: الطبل ". [235]

---

[235] أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ): " تفسير مجاهد"، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر الطبعة: الأولى، 1410 هـ – 1989 م، ص 659 – 660.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9) } (الجمعة: 9).

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) وذلك هو النداء، ينادي بالدعاء إلى صلاة الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للخطبة؛ ومعنى الكلام: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) يقول: فامضوا إلى ذكر الله، واعملوا له؛ وأصل السعي في هذا الموضع العمل، وقد ذكرنا الشواهد على ذلك فيما مضى قبل". [236]

قوله تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10) }.

يقول الطبري: "إذا قُضيت صلاة الجمعة يوم الجمعة، فانتشروا في الأرض إن شئتم، ذلك رخصة من الله لكم في ذلك". [237]

قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11) } (الجمعة:11).

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المؤمنون عير تجارة أو لهوًا (انْفَضُّوا إِلَيْهَا) يعني أسرعوا إلى التجارة (وَتَرَكُوكَ قَائِمًا) يقول للنبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: وتركوك يا محمد قائمًا

[236] أبو جعفر الطبري: " جامع البيان في تأويل القرآن"، 23/ 380.

[237] تفسير الطبري، تحقيق شاكر، 23/ 384 – 385.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على المنبر؛ وذلك أن التجارة التي رأوها فانفضّ القوم إليها، وتركوا النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قائما كانت زيتًا قدم به دحية بن خليفة من الشام". [238]

وهنا نورد بعض الأحكام الخاصة المتعلقة بالصيام يوم الجمعة:

المسألة الأولى: حكم صيام يوم الجمعة

أولاً: في الفقه الحنفي :

قال الطحطاوي في حاشيته: "وكره إفراد يوم الجمعة" بالصوم لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم" رواه مسلم" . [239]

وقال العيني: "قوله: (والجمعة) أي يستحب صوم يوم الجمعة، قال في الإيضاح: لا بأس بصوم يوم الجمعة في قول أبي حنيفة ومحمد، وقال أبو يوسف: قد جاء حديث في كراهته، غلا

[238] تفسير الطبري، تحقيق شاكر، 23/ 386.

[239] ينظر: أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي – توفي 1231 هـ: "حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح"، المحقق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1418هـ – 1997م، ص 640.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أن يصوم قبله يوماً أو بعده يوماً، وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يصم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله بيوم أو بعده" رواه مسلم وأبو داود ." [240]

وقال الشلبي في حاشيته على الزيلعي: "ولا بأس بصوم الجمعة مفردًا عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله ." [241]

ثانياً: في الفقه المالكي :

قال ابن رشد: "ولم ير مالك – رحمه الله تعالى – النهي الذي جاء في صيام يوم الجمعة منفردا لا يصوم قبله ولا بعده، وقال: لا بأس بصيامه منفردا وأن يتحرى ذلك ." [242]

وقال عبد الرزاق في مصنفه: كان ابن عباس ينهى عن صيام رجب كله لئلا يتخذ عيدًا، وإسناده صحيح. ومثل هذا ما رويناه في مسند سعيد بن منصور أن عمر كان يضرب أيدي الرجال في رجب إذا رفعوها عن الطعام حتى يضعوها فيه، ويقول: إنما هو موسم، كان أهل الجاهلية يعظمونه. قال الحافظ ابن حجر: فهذا النهي منصرف لمن يصومه معظمًا لأمر الجاهلية، أما من صامه لقصد الصوم في الجملة، من غير أن يجعله حتمًا، أو يخص منه أيامًا

---

[240] ينظر: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ): "منحة السلوك في شرح تحفة الملوك"، المحقق: د. أحمد عبد الرزاق الكبيسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، الطبعة: الأولى، 1428هـ – 2007م، ص 279.

[241] ينظر: عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: 743 هـ): "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ"، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: 1021 هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1313 هـ، ص 332.

[242] ينظر: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: 520هـ): "المقدمات الممهدات"، تحقيق: الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1408 هـ – 1988 م، 1 / 243.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معينةً يواظب على صومها، أو ليالي معينةً يواظب على قيامها، بحيث يظن أنها سنة، فهذا من فعله مع السلامة مما استثني فلا بأس به، فإن خص ذلك أو جعله حتمًا فهذا محظور.

وهو في المنع بمعنى قوله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تخصوا يوم الجمعة بصيام ولا ليلتها بقيام» . رواه مسلم، وإن صامه معتقدًا أن صيامه أو صيام شيء منه أفضل من صيام غيره ففي هذا نظر. [243]

وقال ابن جزي الجلبي الغرناطي: " (والمكروه) صوم الدهر وصوم يوم الجمعة خصوصا إلا أن يصوم يومًا قبله أو يومًا بعده وصوم يوم السبت خصوصا وصوم يوم عرفة بعرفة وصوم يوم الشك وهو آخر يوم من شعبان احتياطًا إذا لم يظهر الهلال وقيل إن كانت السماء متغيمة فالاختيار إمساكه ويجوز صومه تطوعا خلافًا للشافعي ." [244]

ثالثاً : من الفقه الشافعي :

قال الشيخ زكريا الأنصاري: "(ويكره إفراد الجمعة) بالصوم لقوله «– صلى الله عليه وسلم – لا يصم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يومًا قبله أو يومًا بعده» رواه الشيخان وليتقوى بفطره

[243] ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: 954هـ): "مواهب الجليل في شرح مختصر خلي
ل"، دار الفكر، الطبعة: الثالثة، 1412هـ – 1992م، 2 / 411.

[244] ينظر: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ): "القوانين الفقهية"، بدون بيانات أخرى، ص 78.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

على الوظائف المطلوبة فيه ومن هنا خصصه البيهقي والماوردي وابن الصباغ والعمراني نقلًا عن مذهب الشافعي بمن يضعف به عن الوظائف ." [245]

ونقل الروياني: "قال المزني: في "جامعه"، قال الشافعي: ولا يبين لي أن أنهي عن صيام يوم الجمعة إلا على اختياره لمن كان إذا صامه منعه عن الصلاة التي لو كان مفطراً فعلها وذهب أبو حامد وجماعة من أصحابنا إلى أنه يكره صومه منفردا لما روي أن أبا هريرة رضي الله عنه سأل عن صيام الجمعة فقال: على الخبير رجعت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن يوم الجمعة يوم عيد وذكر فلا تجعلوا عيدكم يوم صيامكم ولكن اجعلوه يوم ذكر إلا أن تخلطوا بأيام". وروي عن أبي الأوبر أنه قال: كنت عند أبي هريرة فأتاه رجل فقال: يا أبا هريرة أأنت نهيت الناس أن يصوموا يوم الجمعة قال: لا لعمرو الله ما نهيتهم أن يصوموا يوم الجمعة ولكن ورب هذه الحرمة ثلاث مرات لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يصومن أحد منكم يوم الجمعة إلا أياما يصومه معها أو يصومها معه."

وروي عن أبي قتادة العدوي قال: ما يوم أكره إلي أن أصومه من يوم الجمعة من يوم الجمعة، فقيل وكيف في أيام متتابعة لما أعلم من فضيلته وأكره أن أخصه من بين الأيام. وقال أبو حنيفة ومالك: لا يكره فإن وصله بيوم قبله أو بيوم بعده لم يكره لما روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يصومن أحدكما يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله او يصوم بعده"، وروي عن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال: "صمت أمس قالت: لا قال: وتريدين أن تصومي غداً قالت: لا قال: فأفطري ."

[245] ينظر: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ): "أسنى المطالب في شرح روض الطالب"، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، 1 / 432.

وروي عن محمد بن عباد بن جعفر أن رجلا سأل جابر بن عبد الله وهو يطوف فقال أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام يوم الجمعة قال: نعن ورب هذا البيت"، وبهذا القول قال أحمد وإسحاق وأبو يوسف واختاره ابن المنذر. وقال بعض أصحابنا: هذا خلاف ما حكاه المزني عن الشافعي، وفي التحقيق مذهب الشافعي أن معنى النهي فيه أن يضعف عن حضور الجمعة والدعاء فيها فإن كان هكذا فإنه يكره له صومه وإلا فلا بأس . [246]

وقال النووي: " قال الأصحاب وغيرهم الحكمة في كراهة إفراد يوم الجمعة بالصوم أن الدعاء فيه مستحب وهو أرجى فهو يوم دعاء وذكر وعبادة من الغسل والتبكير إلى الصلاة وانتظارها واستماع الخطبة وإكثار الذكر بعدها لقوله تعالى (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا) ويستحب فيه أيضًا الإكثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من العبادات في يومها فاستحب له الفطر فيه ليكون أعون على هذه الطاعات وأدائها بنشاط وانشراح والتذاذ بها من غير ملل ولا سآمة وهو نظير الحاج بعرفات فإن الأولى له الفطر كما سبق لهذه الحكمة (فإن قيل) لو كان كذلك لم تزل الكراهة بصيام قبله أو بعده لبقاء المعنى الذي نهى بسببه. (فالجواب) أنه يحصل له بفضيلة الصوم الذي قبله أو بعده ما يجبر ما قد يحصل من فتور أو تقصير في وظائف يوم الجمعة بسبب صومه فهذا هو المعتمد في كراهة إفراد يوم الجمعة بالصوم (وقيل) سببه خوف المبالغة في تعظيمه بحيث يفتتن به كما افتتن قوم بالسبت وهذا باطل منتقض بصلاة الجمعة وسائر ما شرع في يوم الجمعة مما ليس في غيره من التعظيم والشعائر (وقيل) سببه لئلا يعتقد وجوبه وهذا باطل ومنتقض

[246] ينظر: الروياني، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل (ت 502 هـ): " المذهب (في فروع المذهب الشافعي)"، المحقق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 2009 م، 3 / 284.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بيوم الاثنين فإنه يندب صومه ولا يلتفت إلى هذا الخيال البعيد وبيوم عرفة وعاشوراء وغير ذلك فالصواب ما قدمناه والله أعلم ." [247]

وأضاف النووي: "في مذاهب العلماء في إفراد يوم الجمعة بالصوم قد ذكرنا أن المشهور من مذهبنا كراهته وبه قال أبو هريرة والزهري وأبو يوسف واحمد واسحق وابن المنذر وقال ملك وأبو حنيفة ومحمد بن الحسن لا يكره قال مالك في الموطأ لم أسمع أحدًا من أهل العلم والفقه ومن يقتدى به ينهى عن صيام يوم الجمعة قال وصامه قال وقد رأيت بعض أهل العلم يصومه وأراه كان يتحراه فهذا كلام مالكوقد يحتج لهم بحديث ابن مسعود السابق. ودليلنا عليهم الأحاديث الصحيحة السابقة في النهي وسبق الجواب عن حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم الخميس والجمعة فلا يفرده (وأما) قول مالك في الموطأ أنه ما رأى من ينهى فيعارضه أن غيره رأى فالسنة مقدمة على ما رآه هو وغيره وقد ثبتت الأحاديث بالنهي عن إفراده فيتعين العمل بها لعدم المعارض لها ومالك معذور فيها فإنها لم تبلغه قال الداوودى من أصحاب مالك لم يبلغ مالكًا حديث النهي ولو بلغه لم يخالفه ."

أعلم ." [248]

رابعاً: من الفقه الحنبلي :

---

[247] ينظر: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ): "المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، دار الفكر، (طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي)، بدون بيانات أخرى، 6 / 438.

[248] ينظر: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ): "المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، 6 / 438 – 439.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال ابن قدامة: " (مسألة) (ويكره إفراد يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الشك ويوم النيروز والمهرجان إلا أن يوافق عادة) وجملته أنه يكره إفراد يوم الجمعة بالصوم إلا أن يوافق عادة مثل من يصوم يوماً ويفطر يوماً فيوافق صومه يوم الجمعة أو من عادته صومه أول يوم الشهر أو آخره أو يوم لضعفه ونحو ذلك نص عليه أحمد في رواية الأثرم قال قيل لأبي عبد الله صيام يوم الجمعة فذكر حديث النهي أن يفرد ثم قال إلا أن يكون في صيام كان يصومه، أما أن يفرد بفلا قال قلت رجل كان يصوم يوماً ويفطر يوماً فوقع فطره يوم الخميس وصومه يوم الجمعة وفطره يوم السبت فصام الجمعة مفرداً فقال هذا الآن لم يتعمد صومه خاصة إنما كره أن يتعمد الجمعة، وقال أبو حنيفة ومالك لا يكره إفراد الجمعة لأنه يوم فأشبه سائر الأيام. ولنا ما روى أبو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده " وقال محمد بن عباد سألت جابراً: انهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة؟ قال نعم متفق عليهما وعن جويرية بنت الحرث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال " صمت أمس؟ " قالت لا قال " أتريدين أن تصومي غدا؟ " قال لا قال " فافطري " رواه البخاري وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن تتبع وهذا الحديث يدل على أن المكروه افراده لانه نهيه معلل بكونها لم تصم أمس ولا غداً."[249]

ونقل أبو يعقوب المروزي في " مسائل الإمام أحمد"، قلت: صيام يوم الجمعة مفرداً؟

[249] ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين (المتوفى: 682هـ): "الشرح الكبير على متن المقنع"، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار، 3 / 108)، (وينظر: شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: 682 هـ): "الشرح الكبير (المطبوع مع المقنع والإنصاف)"، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي – الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، 1415 هـ – 1995 م، 7 / 531.

قال: أكرهه، إي لعمري.

قال إسحاق: كما قال، لما خص النبي صلى الله عليه وسلم النهي فيه ." [250]

وقال ابن قدامة المقدسي أيضاً: [فصل إفراد يوم الجمعة بالصوم]: فصل: ويكره إفراد يوم الجمعة بالصوم، إلا أن يوافق ذلك صومًا كان يصومه، مثل من يصوم يومًا ويفطر يومًا فيوافق صومه يوم الجمعة، ومن عادته صوم أول يوم من الشهر، أو آخره، أو يوم نصفه، ونحو ذلك. نص عليه أحمد، في رواية الأثرم. قال: قيل لأبي عبد الله: صيام يوم الجمعة؟ فذكر حديث النهي أن يفرد، ثم قال: إلا أن يكون في صيام كان يصومه، وأما أن يفرد فلا. قال: قلت: رجل كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، فوقع فطره يوم الخميس، وصومه يوم الجمعة، وفطره يوم السبت، فصام الجمعة مفردًا؟ فقال: هذا الآن لم يتعمد صومه خاصةً، إنما كره أن يتعمد الجمعة. [251]

وأضاف ابن قدامة: " وقال أبو حنيفة، ومالك: لا يكره إفراد الجمعة؛ لأنه يوم، فأشبه سائر الأيام. ولنا ما روى أبو هريرة، قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «لا يصومن أحدكم يوم الجمعة، إلا يومًا قبله أو بعده» . وقال محمد بن عباد: سألت جابرًا، «أنهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن صوم يوم الجمعة؟ قال: نعم.» متفق عليهما.

وعن جويرية بنت الحارث، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – دخل عليها يوم الجمعة، وهي صائمة، فقال: «أصمت أمس؟ قالت: لا. قال: أتريدين أن تصومي غدًا؟ قالت: لا. قال:

---

[250] ينظر: إسحاق بن منصور بن بهرام، أبو يعقوب المروزي، المعروف بالكوسج (المتوفى: 251هـ): "مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه"، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2002م، 3 / 1238).

[251] ينظر: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ): "المغني لابن قدامة"، مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، 1388هـ - 1968م، 3 / 170.

فأفطري» . رواه البخاري. وفيه أحاديث سوى هذه، وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أحق أن تتبع.

وهذا الحديث يدل على أن المكروه إفراده؛ لأن نهيه معلل بكونها لم تصم أمس ولا غدًا ".[252]

ومن المعاصرين :

قال الشيخ ابن باز وقد سئل: "ما حكم صيام يوم الجمعة فقط قضاءً لا تطوعاً، وهل يجب صيام يوم قبله أو يوم بعده؟"، فقال عن صيام يوم الجمعة: " أما في التطوع فلا بد من صوم يوم قبله أو يوم بعده؛ لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – نهى أن يصام الجمعة، قال: (إلا أن تصوم يوما قبله أو يوما بعده). ولما صامت إحدى زوجاته – صلى الله عليه وسلم – يوم الجمعة قال: هل صمت أمس؟ قالت: لا، قال: هل تصومين غدا؟ قالت: لا قال: أفطري). أما إن كان عن الفريضة فلا حرج –إن شاء الله– ، لأنه ما خص الجمعة، ولكن وافقت الجمعة أنها وقت راحته وعدم العمل أو لأسباب أخرى فصام الجمعة لقضاء ما عليه من رمضان، أو نذر أو غير ذلك، فهذا لم يخصها لفضلها وإنما صامها من أجل أنها أيسر له في قضاء ما عليه بسبب الأعمال، وإن صام معها يوما قبلها أو يوما بعدها على سبيل الاحتياط فهو أحسن من قضاءه يصوم يومين جميعا، وثلاث: الخميس والجمعة والسبت يكون أبعد عن الشبهة: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك). أما النهي فهو جاء في التطوع فيها، لا تتطوع فيها وحدها، بل يصوم قبلها يوم، أو بعدها يوم ." [253]

وورد أيضاً :

---

[252] ينظر: " المغني"، لابن قدامة، 3 / 170 – 171.

[253] ينظر: الموقع الرسمي لسماحة الإمام ابن باز، على الرابط الآتي: http://www.binbaz.org.sa/noor/4667).

"الحمد لله والصلاة السلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد :

فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام؛ إلاّ أن يكون في صوم يصومه أحدكم . "

وهذا الحديث دليل على كراهة إفراد يوم الجمعة بصيام، وقد استثنى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ما إذا وافق صوماً يصومه المكلف.

وعليه، فنقول للأخت: صيام الجمعة مفرداً صحيح، ولكنه مكروه، فإن قدرت على أن تصومي قبله أو بعده فذاك أفضل حتى تزول الكراهة، فإن لم تقدري فصومي يوم الجمعة قضاءً عما فاتك من الصيام، ولا حرج في ذلك إن شاء الله .

والله أعلم ." [254]

[254] ينظر فتوى، صيام يوم الجمعة قضاء لا حرج فيه، الثلاثاء 27 محرم 1423 - 9-4-2002 ، رقم الفتوى: 15115، التصنيف: الصيام المكروه والمحرم، على الرابط الآتي:
http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=15115

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة السادسة

المعرفة الدينية

أمر الله سبحانه وتعالى عباده بعبادات تتصل به سبحانه وبرسالاته وكتبه إليهم، وتتصل باليوم الآخر الذي اعده لحساب الخلائق، أعده لدار الجزاء ، وأمرهم بعبادات هي غذاء لهذا الإيمان وعلامة الصدق فيه، وحرم عليهم محرمات من أجل حماية حياتهم ولحفظ عقولهم وأعراضهم وأخلاقهم ، وقد بين لهم بشكل واضح لا لبس فيه في كتبه ورسالاته ما كلفهم به وماحرمه عليهم ، وكان مجموع ما فصل وبين هو الدين الذي تعبدهم به ، ولا يقبل منهم سواه ، وكان امتثاله والقيام به ، على وجه المبين في الكتب الإلهية وعلى ألسنة الرسل ، هو التدين الصادق ، التي يجعل صاحبه يؤدي ما عليه في العقيدة والعبادة ، والحل والحرمة عند حد ما شرع الله سبحانه وتعالى ، وكان التصرف في شيء منه هو الانحراف عن دين الله ، وهو الابتداع فيه[255].

اهتم الإسلام اهتماماً كاملاً بالإرشاد إلى الوسائل التي تخلص المجتمع الإنساني من الوهم ، وعبث الجهل . ومن هنا حارب الجهل و تتبعه أينما كان ، وفي كل شكل من أشكاله ، عن طريق الدعوة إلى توحيد الله، و تحذير الإنسان من الشرك والوثنية ، وبث في الأنفس والآفاق

[255] محمود شلتوت: "الفتاوى : دراسة لمشكلات المسلم المعاصرة حياته اليومية "، ط 18، دار الشروق، 1421هـ — 2001م، ص 178 .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دلائل التوحيد ولفت نظر الإنسان إليها ، وحثه على النظر والتفكير فيها ، ليؤمن بأن العظمة هي لله الذي تخضع له الرقاب ، والعلم الواسع الذي لا يعزب عنه شيء ، والقدرة النافذة التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء ليست لأحد سوى الله . و بذلك يتجه الإنسان إليه وحده ، ويقبل على عمله معتمداً عليه وحده، وحارب الإسلام أيضاً جهالة التقليد، وأنكر على الإنسان أن يسلم عقله لغيره، وأن يقف – في عقائده و معارفه العامة ، وسبل حياته – عندما ورثه عن الآباء والأجداد ، أو نبت في زوايا الأوهام والخرافات[256].

ولنقرأ في ظل هذه الفكرة الايات القرآنية المباركة الاتية التي تحرر العقل من ظلمةالجهل وتدعوه الى التفكر في الافاق والأنفس :

فقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن في خلق السموات والارض لايات للذين يتفكرون، فقال سبحانه وتعالى :

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ } (ال عمران: 190). لكن من هم هؤلاء المتفجرين، هل هم هم كل من ينظر الناس في السموات والأرض أم لهم صفات وخصائ محددة، نعم إنهم يتصفون بصفات محددة تميزهم عن غيرهم من الناس، فهم {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} ﴿آل عمران: ١٩١﴾.

وضرب الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم مثل الحياة الدنيا من اجل تحفيز العقل على التفكير في طبيعة هذه الحياة الدنيا ومال الانسان فيها، فقال سبحانه وتعالى :

[256] محمود شلتوت: "الفتاوى : دراسة لمشكلات المسلم المعاصرة حياته اليومية "، ص 29.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ﴿يونس: ٢٤﴾ .

وذكر الله سبحانه تعالى في كتابه أنه هو الذي مد الأرض، وجعل فيها الجبال الرواسي والثمرات ويغشي الليل النهار من أجل أن يكون ذلك ايات للمتفكرين، وما انبت في الارض من الزرع والزيتون، والنخيل والاعناب، ومن كل الثمرات، فقال تعالى:

{وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ﴿الرعد: ٣﴾ .

{يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ﴿النحل: ١١﴾ .

وذكر الله سبحانه النحل في كتابه، وجعله اية من اياته من اجل ان يتفكر الناس في ذلك :

{ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ﴿النحل: ٦٩﴾ .

وسخر ما السموات والارض للإنسان، فقال تعالى :

{وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ﴿الجاثية: ١٣﴾ .

وهكذا خلق الله للأنفس اية من اياته التي تحفز العقل الانساني على التفكير بالخالق وتعزز لديه التدين :

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وذكر الله سبحانه أنه أنزل الذكر وهو الوحي والقرآن الحكيم الى رسوله صلى الله عليه وسلم من أجل أن يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أجل أن يتفكر الناس في الوحي :

{بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} ﴿النحل: ٤٤﴾ .

لا يمكن أن نفهم حقائق (الدين) بمجرد فهرسة مماثلة لجميع الأشكال الموجودة في المجتمعات باسم الدين . والدين يختلف عن غيره كل الاختلاف ، فليس من الممكن البحث عن عن حقائقه ، كما يبحث عن تطورات فنون العمارة والسيارات والنسيج والحياكة، لأن الدين علم على حقيقة يقبلها المجتمع أو برفضها ، أو يقبلها في شكل ناقص . ويبقى الدين في جميع هذه الأحوال حقيقة واحدة في ذاتها ، وإنما يختلف في أشكاله المقبولة. [257]

"وبهذا لا ينبغي القول بأن الدين هو « الإيمان بالغيب ، وبأن العلم الإيمان و بالملاحظة العلمية ، ، فالدين والعلم كلاهما يعتمد على الإيمان بالغيب . غير أن دائرة الدين الحقيقية هي دائرة و تعيين حقائق الأمور ، نهائيا وأصلياً ، أما العلم فيقتصر بحثه على المظاهر الأولية والخارجية ، فحين يدخل العلم ميدان تعيين حقائق الأمور تعييناً حقيقياً ونهائياً و هو ميدان الدين الحقيقي – فإنه يتبع نفس طريق الإيمان بالغيب ، الذي يتم به الدين ." [258]

يتحدث وحيد الدين خان عن التوازن المدهش في الأرض، فالأرض أهم عالم عرفناه ، إذ توجد فيها أشياء لا توجد في شيء من هذا الكون الواسع ، وهي في ضخامتها (كما تبدو لنا) لا تساوي ذرة من هذا الكون العظيم ، ولو أن حجمها كان أقل أو أكثر ، مما هي عليه الآن ،

[257] وحيد الدين خان: "الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان"، تعريب د. ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الرسالة، ص 28.

[258] وحيد الدين خان: "الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان"، ص 49.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لأصبحت الحياة فوقها مستحيلة ، فلو أنها كانت في حجم القمر مثلاً، بأن كان قطرها ربع قطرها الموجود فعلاً، لكانت جاذبيتها سدس جاذبيتها الحالية ، ونتيجة لذلك لا يمكن أن تمسك الماء والهواء من حولها ، كما هي الحال في القمر ، الذي لا يوجد فيه ماء ولا يحوطه غلاف هوائي ، لضعف قوة الجاذبية فيه . وانخفاض الجاذبية في الأرض إلى مستوى جاذبية القمر سيترتب عليه اشتداد البرودة ليلاً حتى يتجمد كل ما فيها ، واشتداد الحرارة نهاراً حتى يحترق كل ما عليها . وكذلك يترتب على نقص حجم الأرض إلى مستوى حجم القمر أنها لن تمسك مقداراً كبيراً من النار .[259]

ونرى بعد ذلك أن الدين أطلق للعقل حريته ، فلم يلزم الناس بتشريعاته الجزئية في كل شيء ، بل ترك لهم كثيرا من الشئون ، يشرعون فيها بما يرونه محققاً للمصلحة تبعاً لما يجود به الزمن ، ولم يكلفهم فيها سوى الشورى و تبادل الرأي ، ليقع التشريع في دائرة العدل والرحمة ، والإحسان والمساواة ، هدف الدين تزكية النفس ، وتطهير القلب ، وظهور روح الامتثال والطاعة ، واستشعار عظمة الله ، وإقرار الخير والصلاح في الأرض على أساس قوي متين من ربط الإنسان بخالقه الذي يعلم سره و نجواه . نرى كل ذلك في تشريعات الدين ، وفي ذلك يقول النبي : « إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها ، أي لاتنتظروا حكمها من الله ، فقد فوض الحكم فيها إليكم تبعا لما ترونه من الخير والمصلحة : {وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾} (الآية ٢٢٠ من سورة البقرة)[260].

---

[259] وحيد الدين خان: "الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان"، ص 67 – 68.

[260] الإمام الأكبر محمود شلتوت: "من توجيهات الإسلام"، ط 8، دار الشروق، 1424 هـ – 2004 م، ص 21.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقيام الإنسان بما يرسمه شرع الله وهدايته هو التدين عند الله ، وأساسه إفراده سبحانه بالعبادة والاستعانة و إياك نعبد وإياك نستعينه وامتثال أوامره في النفس وفي الخلق . {اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾} (الآية 3 من سورة الأعراف). وكما خلق الله الكون ودبره وهيمن عليه بما يمسكه ويحفظه من التدهور والانقلاب ، خلق الإنسان وهيمن عليه بشرعه وهداه ، فالإيمان بشرع الله وهدايته لازم عقلي للإيمان بالله ، {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ } (الآية 50 من سورة طه)[261].

ومراقبة الله في السر والعلن مع استحضار عظمته ، وتمثلها في كل شيء ، وبذلك يكون وازع الإنسان نابعاً من ضميره وإيمانه ، يخشاه في سره قبل أن يخشى الناس في علانيته ، ولا يكون من هؤلاء الذين يقول الله فيهم : {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿النساء: ١٠٨﴾ } (الآية 108 من سورة النساء) . هذا هو جماع الأمر في التدين عند الله . [262]

الإسلام نظام يكفل سعادة الفرد والجماعة شرع الله الإسلام وجعل منه نظاما يكفل سعادة الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة ، لم يترك عنصرا من عناصر الخير والصلاح ، عناصر الحياة الطيبة والسعادة الخالدة ، إلا أمر به ودعا إليه وحث عليه ، ولم يترك عنصرا من عناصر الشر والفساد ، عناصر الحياة الذليلة والشقاء المقيم ، إلا نهى عنه وحذر ونفر منه ، ذلك أن الإسلام بنى تنظيمه للعالم على الواقع : وهو أن الإنسان جسم وروح ، وأن للجسم حظا ومتعة ، وأن للروح حظا ومتعة ، وأن للإنسان شخصية مستقلة عن بني جنسه ، وشخصية بها يكون لبنة في المجتمع الوطني والإنساني ، وأن له بكل من هاتين الشخصيتين حقوقا وعليه واجبات . ولا تتحقق

[261] محمود شلتوت: "من توجيهات الإسلام"، ص 32.

[262] محمود شلتوت: "من توجيهات الإسلام"، ص 33.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سعادة الإنسان إلا باستكماله حظي الجسم والروح ، وتنظيم حقوقه وواجباته في نفسه وفي مجتمعه دون إفراط ولا تفريط . وكل ما جاء به الإسلام ، من عقائد وعبادات و آداب وتشريعات ، لا يخرج عن هذه الدائرة ، دائرة رعاية حظ الجسم ، وحظ الروح للإنسان في شخصه وفي مجتمعه. [263]

يناقش الإمام الشيخ محمد الخض حسين مفهوم الاجتهاد في أحكام الشريعة فيبين أن الشريعة الإسلامية عامة ، فلا يختص بها مجموعة من البشر دون مجموعة أخرى ، وهي شريعة دائمة ، فلا يختص بها فئة دون فئة ، وأفعال البشر – على اختلاف أجناسهم ، وتعاقب عصورهم – لا تنتهي إلى حد ، ولا تدخل تحت حصر ، ومن أجل هذا لم تنزل أحكامها في نسق واحد من التفصيل والبيان ، بل أرشدت الشريعة إلى بعضها بدلائل خاصة ، وقررت بقيتها في أصول كلية؛ ليستنبطها الذين أوتوا العلم عند الحاجة إليها . [264]

ويذكر الإمام محمد الخضر حسين أنه يتمكن العالم من استنباط الأحكام بمعرفة أمرين : أحدهما : الأدلة السمعية التي تنتزع منها القواعد والأحكام . ثانيهما : وجود دلالة اللفظ المعتد بها في لسان العرب ، واستعمال الفصحاء . ويرجع النظر في الأدلة السمعية إلى الكتاب والسنة والإجماع ، ويتصل بهذه الأدلة أصول اختلفت فيها أفهام الأئمة ؛ كمذهب الصحابي ، وعمل أهل المدينة ، وشرع من قبلنا الذي لم يرد في شريعتنا ما ينسخه ، فإن الأخذ بهذه الأصول يرجع

[263] محمود شلتوت: "من توجيهات الإسلام"، ص 54 – 55.

[264] محمد الخضر حسين: " الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان"، ضمن مجموعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به ابن أخيه المحامي علي الرضا الحسيني، ط 1، دار النوادر، سوريا، لبنان، الكويت، 1431 هـ –2010م، 6/ 7.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إلى التمسك بدليل منقول لا يدخل فيه العقل إلا على وجه الفهم ؛ كما يدخل في غيره من نصوص الكتاب والسنة[265].

ويبين الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي في سياق الفهم لقوله تعالى:{كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ } (الأعراف: 2)، أن حرج الصدر : ضيقه و غمه ، أخذ من الحرجة التي هي مجتمع الشجر المشتبك الملتف الذي لا يجد السالك فيه سبيلاً واضحاً ينفذ منه . ويطلق الحرج على الشك أيضا لأن الشك في أمر لا يكون إلا من ضيق الصدر به وقلة الاتساع لتوجيهه الوجهة الصحيحة ؛ ولذلك اختلف المفسرون هنا في معنى الحرج ؛ ففسره بعضهم يضيق الصدر ، و فسره بعضهم بالشك، كما روي عن ابن عباس ومجاهد [266].

ومعنى الآية : أن هذه السورة كتاب أنزله الله اليك لتبلغه للناس كافة و تخوفهم سوء عاقبة مخالفة ما فيه من أمر ونهى ، و تذكر به المؤمنين ، فلا يكن في صدرك ضيق وغم منه ، أو لا يكن في صدرك شك في أنه من نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحرج وضيق الصدر في القرآن ، والنهي لا يكون إلا عن أمر يتصور وقوعه وهو مظنة الوقوع. والانذار : التعليم المقترن بالتخويف من سوء عاقبة المخالفة . والذكرى : مصدر ذكر الشيء بقلبه أو لسانه ، والاسم منه الذكر بالضم والكسر والكتاب والقرآن : كلاهما يطلق على الكل و على البعض ، يقال : سمعت فلاناً يقرأ القرآن أو يتلو كتاب الله إذا سمعت منه بعضه[267].

---

[265] محمد الخضر حسين: " الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان"، 6 / 7.

[266] محمد مصطفى المراغي: "الدروس الدينية لسنة 1362 هـ"، مطبعة الأزهر، 1364هـ - 1945م، ص 1 - 2.

[267] محمد مصطفى المراغي: "الدروس الدينية لسنة 1362 هـ"، ص 2.

والأمر كذلك هنا من وجهين. الأول :أنه كان بلاغاً وهداية للناس و إصلاحاً لهم به، والمتصدى لذلك لا بد أن يتوقع أذى ومقاومة و عنتاً ، وأن يلقى أشد الطعن في شخصه وفي الكتاب الذي يحمله ، وقد حصل ذلك فعلاً حيث لاق من أهله وعشيرته العنت الشديد، وقد قال الله سبحانه له « واصبر وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما مكرون ."

والوجه الثاني : أن القرآن نفسه عظيم ، وقد قال الله سبحانه فيه : {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾} (المزمل: 5)، وقال {لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا القرآن عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾} (الحشر: 21)، وقد كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الشديد البرد فينفصم عنه الوحي وهو يتفصد عرقاً ، وكان يكاد يهيم لشدة وقعه وعظيم تأثيره . وأي قلب يحتمل وصدر يتسع لكلام الله سبحانه ينزل به الروح الأمين إذا لم يتول الله سبحانه شرحه ويتول إعانته على حمله. [268]

[268] محمد مصطفى المراغي: "الدروس الدينية لسنة 1362 هـ"، ص 2-3.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة السابعة

عدم الإكراه في الدين

يقول الله سبحانه وتعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾} (البقرة: 256).

والمعنى أي لا ينبغي أن يحتاج عاقل إلى الإكراه على دين الإسلام، لوضوح أدلته، فعليه أن يتجه إليه باختياره ومحض إرادته.

ويجوز أن يكون النفي بمعنى النهي للمسلمين عن إكراه أحد على الدِّين. ولذا قال تعالى: {أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} (1). وقال تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ} (2). وقال: {مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ} (3). إلى غير ذلك من الآيات. أي لا تكرهوا – معشر المسلمين – أحدا على الإسلام، لأن الحق فيه واضح بَيِّن، لا يحتاج إلى إكراه أحد عليه ولا أجباره لكي يعتنقه. [269]

كانت دعوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أولها وأساسها توحيد الخالق ، والتوجه إليه وحده بالعبادة والإيمان به منزها عن شوائب النقص والإحتياج والمائلة لشيء من خلقه، بديع السموات والأرض {أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة . وخلق كل شيء . وهو بكل شيء

---

[269] التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (1393 هـ = 1973 م) – (1414 هـ = 1993 م)، 1 / 435.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليم}، {لِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ } (الأنعام: 102). أرسل الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل: داعياً ومبشرا ونذيراً . وأوحى إليه كتاباً جمع بين دفتيه أصول السعادة للأمة والفرد، وأمر بتحكيم العقل، عظم شأن البرهان، حبب في العلم والمعرفة ، وفصل الأحكام ، وشرع الحدود ، ودعا إلى الرحمة وحض على السلام ، ورغب في الخير ، ورفع الحرج ، وتوخي اليسر ، وأحكم أصول السياسة وقواعد الاجتماع ، وحارب الركود العقلي ، وحارب البغي والفساد ، وارشد الناس أن لهم حياة أخرى أسمي من هذه الحياة ، فهي النعيم الدائم ، والخلود الأبدي ، وأن منتهى الإنسان من مبدئه ، وآخرته من دنياه[270].

والقرآن يدعو إلى الفضيلة و ينفر من الرذيلة : {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾} (ال عمران: 64)، {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾} البقرة: 137)، {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾} (العنكبوت:46)، {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾} (الشورى:13)، إلى آخر الآيات التي حددت دعوة الإسلام ، وهي دعوة واضحة بينة .

[270] محمود شلتوت: "الاسلام والعلاقات الدولية (السلم والحرب)"، مكتب شيخ الجامع الأزهر للشئون العامة، بدون تاريخ، ص 14-15.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سهلة خالية من التعقيد، بعيدة عن االتعقيد والإبهام، لايعجز عقل عن فهمها ولايلتوى فكر عن طريقها وهي دعوة الأديان السابقة، ودعوة الرسل الأولين. [271]

هذه هي دعوة الإسلام . فهي دعوة لا يحتاج في إيمان الناس به إلى إكراه، إن الإنسان إذا شعر أنه مكره على شيء ملجأ إليه صرفه ذلك عن تقديره واحترامه والتفكر فيه . فضلا عن الايمان به فاتخاذ الإكراه وسيلة إلى اعتناقها فيه الباسها ثوب التعقيد والالتواء والغموض ، وابعاد لها عن متناول العقول والقلوب ، ولا ريب أن هذا ظلم لها أي ظلم ، وهو في الوقت نفسه من العوامل التي تسيء إليها وتقف عثرة في طريقها ، وليس من المعقول أن دعوة تريد لنفسها النجاح تحمل في طياتها عوامل ضعفها وفنائها ، أو ما يسيء إلها ويشوه جمالها معنى واضح. [272]

فالقرآن يرشدنا في وضوح وجلاء إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يرد من الناس أن يكونوا مؤمنين عن طريق القهر والإكراه، بل عن طريق النظر والفكر والتدبر ، و يرشدنا مع هذا إلى أنه لو أراد منهم إيماناً عن طريق الإكراه لجبلهم عليه ، وجعلهم كالملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، عن طبع و تكوين . لا يملكون الخروج عليه ولا التخلص منه . [273]

ولكن القرآن لم يشأ اكراه الناس على الإيمان بل ترك الناس وما يختارون لأنفسهم من إيمان أو كفر ، وهداية أو ضلال ، واكتفي بأن أخذ عليهم مواثيق الفطرة ، وأشهدهم بها على أنفسهم ، وأرسل إليهم رسلاً تذكرهم ، وتدعوهم إلى النظر في ملكوت السموات والأرض ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، {وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾} (الأنعام: 35)، {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ

[271] محمود شلتوت: "الاسلام والعلاقات الدولية (السلم والحرب)"، ص 15-16.
[272] محمود شلتوت: "الاسلام والعلاقات الدولية (السلم والحرب)"، ص 17.
[273] محمود شلتوت: "الاسلام والعلاقات الدولية (السلم والحرب)"، ص 18.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾} (المائدة: 19)، {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾} (يونس: 99) {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾} (المائدة: 48)، {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ} (هود: 118 – 119). [274]

[274] محمود شلتوت: "الاسلام والعلاقات الدولية (السلم والحرب)"، ص 22.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحكمة الثامنة

الاختلاف

أشار القرآن الكريم إلى اختلاف الناس في العديد من الآيات المباركات، وبين الأسباب وراء ذلك، مقدماً النصحية المهمة لتجاوز الاختلاف، ومن ذلك:

{ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ } ﴿البقرة: ١٧٦﴾.

فالله نزل ما نزل من الكتب بالحق { وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ} أي في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل {لَفِى شِقَاقٍ} خلاف {بَعِيدٍ} عن الحق أو كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وإن الذين اختلفوا فيه لفي شقاق بعيد عن الهدى. [275]

{ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} ﴿البقرة: ٢١٣﴾.

[275] تفسير النسفي، 153/1.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقد كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله سبحانه النبيين مبشرين ومنذرين لهم. فكان أول رسول نوحٌ عليه الصلاة والسلام. وآدم نبي مُكلَّم. فإذا قال قائل كيف يكون نبياً ولا يكون رسولاً؟ الجواب: يكون نبياً ولا يكون رسولاً؛ لأنه لم يكن هناك داع إلى الرسالة، فالناس كانوا على ملة واحدة والبشر لم ينتشروا بعد كثيراً ولم يفتتنوا في الدنيا كثيراً، نفر قليل، فكانوا يستنون بأبيهم ويعملون عمله، ولما انتشرت الأمة وكثرت واختلفوا أرسل الله الرسل. [276]

{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ﴿آل عمران: ١٠٥﴾.

{ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿يونس: ١٩﴾.

{ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} ﴿النحل: ٦٤﴾.

{وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} ﴿الجاثية: ١٧﴾.

الاختلاف المذموم الذي ينهى عنه القرآن الكريم هو الاختلاف الذي يؤدي إلى الافتراق، وهو الاختلاف في أصول الديانة الذي يفضي إلى تكفير بعض الأمة بعضاً، أو تفسيقه، وليس المراد به الاختلاف في الفروع المبنية على اختلاف مصالح الأمة في الأقطار والأعصار، وهو

[276] محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ): " تفسير الكهف"، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1423، 90/1.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المعبر عنه بالاجتهاد. ونحن إذا تقصينا تاريخ المذاهب الإسلامية لا نجد افتراقا نشأ بين المسلمين إلا عن اختلاف في العقائد والأصول، دون الاختلاف في الاجتهاد في فروع الشريعة. [277]

قال تعالى: {فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} ثم قال: {وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ} .

أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل وأنزل الكتب عند الاختلاف {وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} أي أنزل الكتاب عند الاختلاف. {وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ} أوتوا الكتاب والعلم {مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ أي بغياً على الدنيا وطلب ملكها وزخرفها وزينتها أيهم يكون له الملك والمهابة في الناس فبغى بعضهم على بعض وضرب بعضهم رقاب بعض {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ} يعني فهداهم الله عند الاختلاف أنهم أقاموا على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف أقاموا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. وأقاموا على الأمر الأول الذي كان قبل الاختلاف واعتزلوا الاختلاف. فكانوا شهداء على الناس يوم القيامة كانوا شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وآل فرعون أن رسلهم قد بلغتهم وأنهم كذبوا رسلهم. [278]

والاختلاف المذموم يكون سببه أحياناً: فساد النية؛ لما في النفوس من البغي وإرادة العلو في الأرض والحسد وغير ذلك، فيجب لذلك ذم قول غيرها، أو فعله، أو غلبته ليتميز عليه، أو يحب قول من يوافقه في نسب أو مذهب أو بلد أو صداقة، ونحو ذلك، لما في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة وما أكثر هذا من بني آدم، وهذا ظلم. ويكون سببه – أحياناً أخرى –

---

[277] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: "التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، 4/ 43.

[278] ابن تيمية: "مجموع الفتاوى"، 16 / 513-514.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق: في الحكم، أو في الدليل، وإن كان عالماً بما مع نفسه من الحق حكماً ودليلاً، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، والجهل والظلم: هما أصل كل شر، كما قال سبحانه: {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب: 72] . [279]

الاختلاف يبعد الطالب عن معرفة المراد الذي يحصل به الهدى والرشاد والاستقامة فإن الله تعالى إنما نزل القرآن ليهتدي به لا ليختلف فيه والهدى إنما يكون إذا عرفت معانيه فإذا حصل الاختلاف المضاد لتلك المعاني التي لا يمكن الجمع بينه وبينها ولم يعرف الحق ولم تفهم الآية ومعناها ولم يحصل به الهدى والعلم الذي هو المراد بإنزال الكتاب. قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عثمان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا .وقال الحسن البصري ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم في ماذا نزلت وماذا عنى بها وقد قال تعالى {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾} (النساء: 82) وتدبر الكلام إنما ينتفع به إذا فهم وقال {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾} (الزخرف: 3) . [280]

فالغاية من إنزال الرسل التبيان للناس ما أنزل إليهم من ربهم وعليهم أن يبلغوا الناس البلاغ المبين، والمطلوب من الناس أن يعقلوا ما بلغه الرسل، وأن يعملوا بمقتضى ذلك، والعقل يتضمن العلم والعمل فمن عرف الخير والشر فلم يتبع الخير ويحذر الشر لم يكن عاقلاً ولهذا لا

---

[279] ابن تيمية: "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، 1 / 148.

[280] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية"، المحقق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن – دمشق، الطبعة: الثانية، 1404، 2 / 227.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يعد عاقلاً إلا من فعل ما ينفعه واجتنب ما يضره فالمجنون الذي لا يفرق بين هذا وهذا قد يلقي نفسه في المهالك وقد يفر مما ينفعه. [281]

الاختلاف سببه اشتباه الحق وخفاؤه، وهذا لعدم العلم الذي يميز بين الحق والباطل. فالله – سبحانه – ذم الاختلاف في القرآن الكريم، ونهى عن الاختلاف في الدين والتفرق والتنازع، فقال: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى: 13]، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الأنعام: 159] وقال: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال: 46] وقال: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} [آل عمران: 105]، وقال: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} [آل عمران: 106] قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف، وقال: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [المؤمنون: 53] والزبر: الكتب، أي كل فرقة صنفوا كتبا أخذوا بها وعملوا بها ودعوا إليها دون كتب الآخرين كما هو الواقع سواء. [282]

وقوله تعالى : {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾} (الأنفال: 46) فذلك نهي عن الاختلاف في التوحيد، والإيمان بالنبي – عليه السلام –، والقيام بنصرته، وكذلك أصول جميع الديانات التي الحق فيها واحد، ولذلك قال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ} [آل عمران: 105] وقوله تعالى: { وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ} [الأنفال: 46] أراد به التخاذل عن نصرة الدين. وقوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾}

---

[281] ابن تيمية: "دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية"، 2 / 227.

[282] ابن قيم الجوزية: "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، 1/ 197 .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[النساء: 82] معناه التناقض، والكذب الذي يدعيه الملاحدة أو الاختلاف في البلاغة واضطراب اللفظ الذي يتطرق إلى كلام البشر بسبب اختلاف أحواله في نظمه، ونثره، وليس المراد به نفي الاختلاف في الأحكام؛ لأن جميع الشرائع، والملل من عند الله، وهي مختلفة، والقرآن فيه أمر، ونهي، وإباحة، ووعد، ووعيد، وأمثال، ومواعظ، وهذه اختلافات. [283]

الشريعة كلها ترجع إلى قول واحد في فروعها وإن كثر الخلاف، كما أنها في أصولها كذلك؛ ولا يصلح فيها غير ذلك، والدليل عليه أمور: منها أدلة القرآن، من ذلك قوله تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: 82] ؛ فنفى أن يقع في الشرع الاختلاف مطلقاً. [284]

وقال تعالى: {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾} [الأنعام: 153] فبين أن طريق الحق واحد، وذلك عام في جملة الشريعة وتفاصيلها. وقال تعالى: {{وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} [آل عمران: 105]، والبينات هي الشريعة، فلولا أنها لا تقتضي الاختلاف ولا تقبله البتة لما قيل لهم: من بعد كذا، ولكان لهم فيها أبلغ العذر، وهذا غير صحيح؛ فالشريعة لا اختلاف فيها. وفي القرآن: {ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾} الآية [النساء: 59] ، وهذه الآية صريحة في رفع التنازع والاختلاف؛ فإنه رد المتنازعين

---

[283] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ): "المستصفى"، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية،الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م، 1 / 297.

[284] إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ): "الموافقات"، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م، 5 / 59.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إلى الشريعة، وليس ذلك إلا لإنهاء الاختلاف، ولا يرتفع الاختلاف إلا بالرجوع إلى شيء واحد؛ إذ لو كان فيه ما يقتضي الاختلاف لم يكن في الرجوع إليه رفع تنازع، وهذا باطل. [285]

وقال تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾} [البقرة: 176]. وقال: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾} قال: {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾} [الشورى: 14] . وقال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾} [البقرة: 213] ، ولا يكون حاكما بينهم إلا مع كونه قولا واحدا فصلا بين المختلفين. والآيات في ذم الاختلاف والأمر بالرجوع إلى الشريعة كثير كله، قاطع في أنها لا اختلاف فيها، وإنما هي على مأخذ واحد وقول واحد، قال المزني صاحب الشافعي: "ذم الله الاختلاف وأمر عنده بالرجوع إلى الكتاب والسنة". [فلو كان الاختلاف من دينه ما ذمه، ولو كان التنازع من حكمه ما أمرهم بالرجوع عنده إلى الكتاب والسنة"][286].

ومن مجالات الاختلاف غير المذموم، اختلاف علماء أصول الفقه الإسلامي في القواعد والمبادئ الأصولية. فقد اختلفوا في القواعد والضوابط التي وضعوها في علم الأصول، ونتج عن

[285] الشاطبي: "الموافقات"، 5 / 60.

[286] الشاطبي: "الموافقات"، 5 / 61.

هذا الاختلاف في القواعد اختلاف بين الفقهاء في الفروع الفقهية، والأحكام التفصيلية، ونذكر بعض الأمثلة:

ب- الاختلاف في القواعد الأصولية في شمول الألفاظ وعدمها، كالعام والخاص، والزيادة على النص، والمطلق والمقيد، هذا الاختلاف نشأ عن والاختلاف في معرفة المراد من النص، والاختلاف في اللغة، وترتب عليه الاختلاف بين الفقهاء.

ب-دلالة الأمر والنهي، ودلالة العام القطعية والظنية، مثلًا: هل الأمر يفيد الوجوب أم الإباحة؟ وهل دلالة العام قطعية أم ظنية ... ؟وهل النهي يفيد التحريم أم الكراهة. [287]

ج- الاختلاف في القواعد الأصولية في دلالة الألفاظ على الأحكام، فقال الجمهور: إن دلالة اللفظ تكون بالمنطوق والمفهوم، وقال الحنفية: إن دلالة اللفظ تكون إما بالعبارة أو الإشارة أو النص أو الاقتضاء، واختلفوا اختلافًا واسعًا في المفهوم، ونتج عن ذلك اختلاف في الفروع.

د- قواعد التعارض والترجيح، سواء كان التعارض بين نصين في القرآن الكريم، أو بين نصين في الحديث، أو بين آية وحديث، أو كان التعارض بين قاعدتين في الترجيح، وقد اختلف العلماء في هذه القواعد، ونتج عنها اختلاف في الأحكام. [288]

ويبين الإمام الشافعي أن الاختلاف من وجهين: أحدهما: محرم، ولا أقول ذلك في الآخر. فالاختلاف المحرم هو كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصاً بيناً: لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه. وما كان من ذلك يحتمل التأويل، ويُدرك قياساً، فذهب المتأول أو القايس إلى معنى يحتمله الخبر أو القياس، وإن خالفه فيه غيره: لم أقل أنه يُضَيَّق عليه ضِيقَ

[287] الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي: "الوجيز في أصول الفقه الإسلامي"، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، الطبعة: الثانية، 1427 هـ - 2006 م، 1 / 90 – 91.

[288] الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي: "الوجيز في أصول الفقه الإسلامي"، 1/ 91.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخلاق في المنصوص. والحجة التي تُبَين الفرق بين الاختلافين: قال الله في ذم التفرق: {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾} [البينة 4]، وقال جل ثناؤه: {{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} [آل عمران 105]، فَذَمَّ الاختلاف فيما جاءتهم به البينات. فأما ما كُلِّفوا فيه الاجتهاد، فمثله الشافعي بالقبلة والشهادة وغيرها. [289]

[289] الشافعي: " الرسالة"، 1/ 560.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخاتمة

(1) العلم القرآني يريد أن يصل العقل البشري إلى الاقتناع واليقين، وأن يجابه الشبهات عند المتشككين، فالقرآن الحكيم جميعه كتاب محكم لا يأتيه الريب والشك من بين يديه ولا من خلفه، وقد بين القرآن أن أولي الألباب، أي من لديهم الأذهان السديدة التي تقصد إلى استحصال الدليل الحق هم وحدهم من سيكون لهم الفرصة لجمع حكمة القرآن. ولذلك ينبغي القول إن القرآن الحكيم كتاب الحكمة الأول، فكل ما فيه حكمة تستهدف تقويم العقل الإنساني، وصلاح حياة الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة.

(2) إن علم الحكمة الإسلامية إنما يهدف إلى أن يصيب المسلم الحق في القول والعمل... وأن يعرف الحق ويعمل به. ومن هنا يتضح مدى شمولية هذا العلم وآفاقه الواسعة... والحمد لله الذي يؤت الحكمة من يشاء..

(3) يرى الشيخ محمد رشيد رضا أن الحكمة أخص من العلم، هي العلم بالشيء على حقيقته وبما فيه من الفائدة والمنفعة الباعثة على العمل، فهي بمعنى الفلسفة العملية كعلم النفس والأخلاق وأسرار الخلق، وقرر أن الإسلام دين العقل والحكمة.

(4) أفضل طريقة لاستنباط حكمة القرآن أن هذه القواعد هي:

- تفسير القرآن بالقرآن، وهو أصح طرق التفسير كما قرر ذلك الشيخ ابن تيمية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- تفسير القرآن بالسنة النبوية، فإن لم يتمكن المفسر من أن يفسر القرآن بالقرآن فينبغي عليه أن يفسر القرآن بالسنة النبوية.
- تفسير القرآن بأقوال الصحابة: فإذا لم نجد التفسير في القرآن الحكيم ولا في السنة النبوية بحثنا في أقوال الصحابة.
- تفسير القرآن بأقوال التابعين: فإذا لم يستطع المفسر أن يجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا عند الصحابة، فينبغي أن يرجع إلى أقول الأئمة من التابعين.

وبينا أن ملاحظة: تفسير القرآن بمجرد الرأي حرام.

(5) إن كون الوحي مصدراً للتفكير في الإسلام لا يعني تعطيل دور العقل وإنما يعني أن يهتدي العقل بالقرآن من أجل أن يصل إلى الصراط المستقيم.

(6) اللحظات الأولى لنزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل البداية من اجل انبعاث المفهوم التوحيدي من جديد، بعد أن اندرس هذا المفهوم، فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم لكي يعيد تجديد عقيدة التوحيد التي جاء بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من جديد.

(7) من الأمور الاعجازية في الكتاب الحكيم أن يكون قد نبه على أهمية القراءة أول نزوله. وبذلك يكون القرآن الكريم قد سبق كل الدراسات المعاصرة في الإشارة إلى أهمية القراءة. وبالرغم من كون النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً حين نزلت عليه هذه الآيات المباركات، ولكن جاء الأمر الرباني بالقراءة تنبيهاً على عظم أهميتها.

(8) بسم الله الرحمن خير ونعمة من الله سبحانه وتعالى ولا ينبغي لمؤمن ولا مؤمنة أن يتغافل عن الاستهلال بأعماله بالتسمية باسم الله، ففي ذلك فحوى التوكل على الله

والاتكال عليه سبحانه وتعالى، والتوق إلى طلب الخير منه، وقصد السبيل من خلاله جل وعلا. إن بسم الله الرحمن الرحيم منهج للمتعبدين يعربون فيه عن حبهم لله وعبوديتهم له سبحانه وتعالى. فالمؤمن حين يقول بسم الله الرحمن الرحيم سراً أو جهراً في نفسه أو في ملأ فإنه يصرح بذلك بعبوديته الصميمة لله رب العالمين. وكل ذلك استناداً إلى نصيب المحبة والتوحيد الخالص في قلبه، فكلما نمت المودة والإيمان زاد التعلق ببسم الله الرحمن الرحيم. وإذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد شرعوا أعمالهم من قبل ببسم الله الرحمن الرحيم فجدير بالمؤمن أن يبدأ بذلك فيعبر عن عبوديته لله سبحانه. إن (بسم الله الرحمن الرحيم) اعلان للعبودية وإذعان للربوبية ورغبة خالصة بالمحبة لله سبحانه وتعالى.

(9) المسلم الموحد العابد لله سبحانه وتعالى والمتبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعيش مع التوحيد عيشه كله، فهو المنتهى الرئيس من حياته، فهو يعيش ليوحد الله سبحانه وتعالى وينفذ تعاليم دينه ويطبق أوامره وينتهي عند نواهيه... وليس هذا حال الفرد المسلم فقط، بل المجتمع المسلم فيصبح التشبث بالتوحيد جماعياً يسعى كل أفراد المجتمع أن يعيشوا في ظله، وهم ما يحقق لهم السعادة، والأمن، والرخاء، والطمأنينة. ولذلك فهناك تعلق وثيق بين التوحيد والحياة.

(10) ينبغي القول إن هناك حكمة شاملة ومعنى متكامل ودقيق للحياة في القرآن الكريم. فالحكماء المسلمون لا يفكرون بالحياة من وجهة نظر شخصية، ولكنهم يهتدون بالوحي من أجل إدراك معنى الحياة. فمعنى الحياة في القرآن الحكيم كامل ونهائي ولا نقص فيه، ويمثل أقصى وصف دقيق لمعنى الحياة. إن حكمة القرآن قد بينت المعنى المضبوط للعيش بطريقة دقيقة للغاية بما يساعد العقل البشري على تفهم

وظيفته الأصيلة فيها. فلا يوجد تعارض في مغزى الحياة في الكتاب الحكيم بين معناها الحقيقي وبين الوظيفة الاعتبارية للدين فكلاهما متصل ببعض تعلقاً وثيقاً.

(11) في اللحظات المتأزمة يتمثل الإيمان الحقيقي وتتكشف معادن المؤمنين الحقيقيين وتبدو ظاهرة للعيان حقيقة الإيمان وتجليات اليقين.

المصادر والمراجع

1-ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (المتوفى: 327هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب: " تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم"، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة – 1419 هـ.

2-ابن أبي زَمَنِين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المالكي (المتوفى: 399هـ): " تفسير القرآن العزيز"، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة الطبعة: الأولى، 1423هـ – 2002م.

3-ابن باديس عبد الحميد محمد الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ): "تفسير ابن باديس: في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، 1416هـ – 1995م.

4-ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " مقدمة في أصول التفسير"، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان الطبعة: 1490هـ/ 1980م.

5-ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "الاستقامة"، المحقق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1403هـ.

6- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية"، المحقق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن - دمشق، الطبعة: الثانية، 1404.

7-ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "درء تعارض العقل والنقل"، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991 م؟تقي الدين أبو العباس.

8-ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "الفتاوى الكبرى لابن تيمية"، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م.

9-ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "درء تعارض العقل والنقل"، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991 م.

10- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (المتوفى: 728هـ): "مجموع الفتاوى"، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة

المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م، الكتاب مشكول ومقابل مع إضافة: 1- العناوين التي وضعها محققا طبعة دار الوفاء (أنور الباز وعامر الجزار) ط 3، 1426 هـ / 2005 م، 2- في الهامش أضيف كتاب صيانة مجموع الفتاوى من السقط والتصحيف، للشيخ ناصر بن حمد الفهد / نشر: دار أضواء السلف، الطبعة الأولى: 1423 هـ / 2003 م.

11- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة: السابعة، 1419هـ - 1999م.

12- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "الرد على الأخنائي قاضي المالكية"، المحقق: الداني بن منير آل زهوي الناشر: المكتبة العصرية - بيروت الطبعة: الأولى - 1423هـ.

13- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): "التدمرية": تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع المؤلف: المحقق: د. محمد بن عودة السعوي الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض الطبعة: السادسة 1421هـ / 2000م.

14- ابن جزي الكلبي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الغرناطي (المتوفى: 741هـ): "القوانين الفقهية"، بدون بيانات أخرى.

15- ابن حديدة، محمد (أو عبد الله) بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 783هـ): " المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي" المحقق: محمد عظيم الدين الناشر: عالم الكتب – بيروت، بدون تاريخ.

16- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ): " المحلى بالآثار"، دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ.

17- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: 520هـ): "المقدمات الممهدات"، تحقيق: الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م.

18- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ): " الطبقات الكبرى"، المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الأولى، 1968 م.

19- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى : 1393هـ): "التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»"، الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: 1984 هـ.

20- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ): "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ.

21- ابن قدامة، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين (المتوفى: 682هـ): "الشرح الكبير على متن المقنع"، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار.

22-

23- ابن قدامة، شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي (المتوفى: 682 هـ): "الشرح الكبير (المطبوع مع المقنع والإنصاف)"، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي – الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، 1415 هـ – 1995 م.

24- ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ): "المغني لابن قدامة"، مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، 1388هـ – 1968م.

25- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ): "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ – 1996م.

26- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (المتوفى: 751 هـ): "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1423 هـ.

27- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ): "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل"، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1398هـ/1978م.

28- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ): "بدائع الفوائد"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

29- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ): "الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه"،المحقق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني – جدة، بدون تاريخ.

30- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـــــ): "تفسير القرآن العظيم"، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – 1419 هـ.

31- أبو بكر، عوض عبد الله: "نظام الإثبات في الفقه الإسلامي"، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

32- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ): "المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم"، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1417هـ – 1996م.

33- أدلر، الفرد: "معنى الحياة"، ترجمة عادل نجيب بشري، ط1، المجلس الاعلى للثقافة، مصر ، 2005.

34- الأصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423 هـ.

35- الألباني: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط1، 1421 – 2000 م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

36- الألباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط1، المكتب الاسلامي، بيروت، 1400 هـ.

37- البخاري، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين الحنفي (المتوفى: 730هـ): "كشف الأسرار شرح أصول البزدوي"، دار الكتاب الإسلامي، بدون طبعة وبدون تاريخ.

38- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي:" الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه "، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ.

39- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"،: المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ عدد الأجزاء: 9 [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج، ومتن مرتبط بشرحيه فتح الباري لابن رجب ولابن حجر] مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا.

40- البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (المتوفى: 510هـ): "معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي"، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م.

41- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (المتوفى: 885هـ): " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.

42- البيهقي (المتوفى: 458هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، 1413 هـ.

43- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: 685هـ): "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418 هـ.

44- الحطاب الرُّعيني المالكي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف (المتوفى: 954هـ): "مواهب الجليل في شرح مختصر خليل"، دار الفكر، الطبعة: الثالثة، 1412هـ – 1992م.

45- الحمود، فهد: "قراءة القراءة"، ط 2، العبيكان، الرياض، 1427- 2006.

46- الحوفي، البرهان في علوم القرآن للإمام الحَوفيّ – سورة يوسف دارسة وتحقيقا رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن المؤلف: علي بن إبراهيم بن سعيد، أبو الحسن الحوفي (المتوفى: 430 هـ) اسم الباحث: إبراهيم عناني عطية عناني تحت إشراف: السيد سيد أحمد نجم الجامعة: جامعة المدينة العالمية – كلية العلوم الإسلامية قسم القرآن الكريم وعلومه، ماليزيا العام الجامعي: 1436 هـ – 2015 م.

47- الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح: "التفسير والتأويل في القرآن"، 1، دار النفائس، عمان، 1416هـ- 1996م.

48- الخضير، عبد الكريم: "التعليق على تفسير القرطبي" مؤلف الأصل: أبو عبد الله محمد بن أحمد، شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 22 درسا].

49- الخضير، عبد الكريم: "التعليق على تفسير الجلالين"، مؤلف الأصل: جلال الدين المحلي (محمد بن أحمد) (المتوفى: 864هـ)، وجلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) (المتوفى: 911هـ) الشافعيان، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن

بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، لألكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 27 درسا].

50- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ): "حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوي"، دار صادر – بيروت.

51- الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي, المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ): "روح البيان"، دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ.

52- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد ، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ): "مسند الدارمي المعروف ب (سنن الدارمي)"، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ – 2000م.

53- الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن: "شرح تفسير ابن كثير"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 116 درسا].

54- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ): "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420 هـ.

55- الروياني، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل (ت 502 هـ): " المذهب (في فروع المذهب الشافعي)"، المحقق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 2009 م.

56- الزحيلي، الأستاذ الدكتور محمد مصطفى: "الوجيز في أصول الفقه الإسلامي"، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، الطبعة: الثانية، 1427 هـ - 2006 م.

57- الزحيلي، د وهبة بن مصطفى: "التفسير الوسيط للزحيلي"، دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى – 1422 هـ.

58- الزحيلي، د وهبة بن مصطفى: "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، دار الفكر المعاصر – دمشق. الطبعة : الثانية ، 1418 هـ.

59- الزرقاني، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد المالكي (المتوفى: 1122هـ): "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1417هـ-1996م.

60- الزيد، عبد الله بن أحمد بن علي: "مختصر تفسير البغوي"، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى، 1416هـ.

61- الزيلعي، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الحنفي (المتوفى: 743 هـ): "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ"، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: 1021 هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1313 هـ.

62- السجستاني، أبو داود سليمان بن الاشعث: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1389 هـ.

63- السرجاني، راغب: "السيرة النبوية" مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net/ [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 46درساً].

64- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: 1376هـ): "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق"، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.

65- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (المتوفى: 375هـ): "بحر العلوم"، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1413 هـ - 1993م.

66- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (المتوفى: 373هـ): "بحر العلوم"، بدون بيانات أخرى.

67- السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ): " تفسير القرآن"، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، 1418هـ- 1997م.

68- السندي، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين (المتوفى: 1138هـ): " حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه"، دار الجيل - بيروت.

69- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ): "الخصائص الكبرى"، دار الكتب العلمية - بيروت.

70- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ): " الدر المنثور في التفسير بالمأثور "، دار الفكر - بيروت.

71- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (المتوفى: 790هـ): "الموافقات"، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.

72- الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ): " الرسالة"، المحقق: أحمد شاكر الناشر: مكتبه الحلبي، مصر الطبعة: الأولى، 1358هـ/1940م.

73- الشعراوي، محمد متولي (المتوفى: 1418هـ): "تفسير الشعراوي – الخواطر"، مطابع أخبار اليوم، بدون بيانات أخرى.

74- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى : 1393هـ): "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995 مـ.

75- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى: 1393هـ): "العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ"،المحقق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، 1426 هـ.

76- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: 1250هـ): " فتح القدير"، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – 1414 هـ.

77- الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): " التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير"، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه: محَمَّد صُبْحي بن حَسَن

حَلّاق أبو مصعب الناشر: مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض – المملكة الْعَرَبيَّة السعودية الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م.

78- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

79- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ): "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.

80- الطحطاوي، أحمد بن محمد بن إسماعيل الحنفي (توفي 1231 هـ): "حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح"، المحقق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م.

81- العثيمين، محمد بن صالح: "شرح أصول في التفسير"، ط1، موسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، عنيزة، المملكة العربية السعودية، 1434هـ.

82- العثيمين، محمد بن صالح: "التعليق على القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن"، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، عنيزة، ودار ابن الجوزي، الدمام، 1435هـ.

83- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: 1421هـ): " تفسير الكهف"، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1423.

84- العلواني، د. طه جابر: " نحو منهجية معرفية قرآنية: محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة، ط 1، دار الهادي، بيروت، 1425 هـ - 2004.

85- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين (المتوفى: 855هـ): "منحة السلوك في شرح تحفة الملوك"، المحقق: د. أحمد عبد الرزاق الكبيسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، الطبعة: الأولى، 1428هـ - 2007م.

86- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: 505هـ): "المستصفى"، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية،الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م.

87- القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (المتوفى: 1014هـ): "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م.

88- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671هـ): "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.

89- القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (المتوفى: 1307هـ): "فتحُ البيان في مقاصد القرآن"، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت، عام النشر: 1412 هـ - 1992 م.

90- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ): "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه"، وجمل من فنون علومه المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م.

91- الكردي، د. راجح: "نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة"، ط1، مكتبة المؤيد – الرياض، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، 1412 هـ – 1992م.

92- الكتاني، محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الإدريسي الحسني (المتوفى: 1419هـ): "تفسير القرآن الكريم"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net،]الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 357 درساً.

93- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ): تفسير الماوردي "النكت والعيون"، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

94- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: 852هـ): "العجاب في بيان الأسباب"، المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس"، دار ابن الجوزي.

95- الكوسج، إسحاق بن منصور بن بهرام، أبو يعقوب المروزي، (المتوفى: 251هـ): "مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه"، عمادة البحث العلمي، الجامعة

الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2002م.

96- المازري، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المالكي (المتوفى: 536هـ): "المُعْلم بفوائد مسلم"، المحقق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة، الطبعة: الثانية، 1988 م، والجزء الثالث صدر بتاريخ 1991م.

97- المراغي، أحمد بن مصطفى (المتوفى: 1371هـ): "تفسير المراغي"، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م.

98- المراغي، محمد مصطفى: "الدروس الدينية لسنة 1362 هـ"، مطبعة الأزهر، 1364هـ - 1945م.

99- المغامسي، أبو هاشم صالح بن عوّاد بن صالح: "سلسلة محاسن التأويل"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 73 درسا].

100- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (المتوفى: 845هـ): " إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع"، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.

101- المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين (المتوفى: 656هـ): "الترغيب والترهيب من الحديث الشريف"، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417.

102- النخجواني، نعمة الله بن محمود ، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ): "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية"، دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م.

103- النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الاردن، بدون تاريخ.

104- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (المتوفى: 710هـ): "تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)"، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

105- النورسي: كليات رسائل النور: "الكلمات"، ترجمة احسان قاسم الصالحي، الكلمة الأولى، من الرابط الآتي:

http://www.iqra.rasaelalnour.com/2017/06/08/الكلمة-الأولى/

106- النورسي: "اللمعات"، ترجمة إحسان قاسم الصالحي"، ط6، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، 2011.

107- النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط1، مكتبة المؤيد، 1408 هـ.

108- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ): "المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، دار الفكر، (طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي)، بدون بيانات.

109- الهلالي، سليم بن عيد (و) محمد بن موسى آل نصر: "الاستيعاب في بيان الأسباب «أول موسوعة علمية حديثية محققة في أسباب نزول آي القرآن الكريم»، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1425.

110- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي ، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ): " أسباب نزول القرآن" المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان قال المحقق: قمت بتوفيق الله وحده بتخريج أحاديث الكتاب تخريجا مستوفى على ما ذكر العلماء أو ما توصلت إليه من خلال نقد تلك الأسانيد الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م.

111- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، أبو عبد الله الشيباني (المتوفى: 241هـ): "الزهد"، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.

112- بكار، د. عبد الكريم: " القراءة المثمرة: مفاهيم واليات"، ط ، 6، دار القلم، دمشق ، الدار الشامية، بيروت، 1429 هـ - 2008م.

113- حسين، د. رواء محمود: "حكمة القرآن"، الجزء الأول، الألوكة، تاريخ الإضافة: 2019/11/13 ميلادي - 1441/3/15 هجري، على الرابط الآتي: https://www.alukah.net/sharia/0/137156/

114- حسين، د. رواء محمود حسين: "إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ: معنى وحكمة "، نشرت في الألوكة، تاريخ الإضافة: 2020/8/18 ميلادي - 1441/12/28 هجري، على الرابط الاتي: https://www.alukah.net/sharia/0/141498/

115- حسين، د. رواء محمود: "حكمة يونسية (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)"، نشرت في مدونة الحكمة الإسلامية، بتاريخ 17/ 6 / 2018م، على الرابط الاتي: https://rawaamahmoudhussain.wordpress.com/

116- حسين، محمد الخضر: " الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان"، ضمن مجموعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به ابن أخيه المحامي علي الرضا الحسيني، ط 1، دار النوادر، سوريا، لبنان، الكويت، 1431 هـ -2010م.

117- حطيبة، الشيخ الطبيب أحمد: "تفسير الشيخ أحمد حطيبة"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net،]الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 510 درسا[

118- حوّى، سعيد (المتوفى 1409 هـ): "الأساس في التفسير"، دار السلام - القاهرة، الطبعة: السادسة، 1424 هـ.

119- خان، وحيد الدين: "الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان"، تعريب د. ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الرسالة.

120- خلاف، عبد الوهاب (المتوفى : 1375هـ): " علم أصول الفقه"، مكتبة الدعوة - شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم).

121- دروزة، محمد عزت: "التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]"، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة: 1383 هـ.

122- زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ): "أسنى المطالب في شرح روض الطالب"، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

123- سلطان العلماء، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، (المتوفى: 660هـ): " تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)"، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي الناشر: دار ابن حزم - بيروت الطبعة: الأولى، 1416هـ/ 1996م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

124- شلتوت، الإمام الأكبر محمود: " الإسلام عقيدة وشريعة"، ط 18، دار الشروق،القاهرة، 1421هـ - 2001م.

125- شلتوت، الإمام الأكبر محمود: "الفتاوى: دراسات لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة"، ط 18، دار الشروق، القاهرة، 1421 هـ- 2001م.

126- شلتوت، الإمام الأكبر محمود: "من توجيهات الإسلام"، ط 8، دار الشروق، 1424 هـ - 2004 م.

127- شلتوت، محمود: "الاسلام والعلاقات الدولية (السلم والحرب)"، مكتب شيخ الجامع الأزهر للشئون العامة، بدون تاريخ.

128- عبد الرحمن، طه: "العمل الديني وتجديد العقل"، ط 2، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997م.

129- عمارة، د. محمد: "معالم المنهج الإسلامي"، ط 2، دار الشروق، القاهرة، 2009 م.

130- فروم، اريك: "حب الحياة: نصوص مختارة"، ترجمة حميد لشهب، تقديم راينر فونك، ط1، جداول للنشر، بيروت، 2015م.

131- ليونهاردت، ماري: "حب القراءة: 99 طريقة لجعل الأطفال يحبون القراءة"، نقله إلى العربية بتصرف ابرهيم الغمري، محمد جمال عمرو، بيت الأفكار الدولية، عمان - الرياض.

132- مجاهد بن جبر، أبو الحجاج التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ): " تفسير مجاهد"، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1989 م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

133- مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (1393 هـ = 1973 م) - (1414 هـ = 1993 م).

134- محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ): "تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.

مواقع انترنت:

1- الموقع الرسمي لسماحة الإمام ابن باز، على الرابط الآتي: (http://www.binbaz.org.sa/noor/4667).

2-فتوى، صيام يوم الجمعة قضاء لا حرج فيه، الثلاثاء 27 محرم 1423 - 9-4-2002 ، رقم الفتوى: 15115، التصنيف: الصيام المكروه والمحرم، على الرابط الآتي: http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=15115

انتهى العمل في الجزء الثاني من (حكمة القرآن) يوم السبت 26/ رمضان / 1442 هـ، الموافق 8 / 5 / 2021 م، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

هذا الكتاب منشور في